تنبيه المادح المقلد

على ما كان عليه سلف تنبكتو

في المولد

لمحمود بن محمد ددب الملقب بحمّو

الأرواني التنبكتي

بسم الله الرحمان الرّحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم

تنبيه المادح المقلد على ما كان عليه سلف تنبكتو في المولد لمحمود بن محمد ددب / حمّو

الحمد لله الذي بعث في الأميين رسولا كريما بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. أثنى عليه قائلا: {وإنك لعلى خلق عظيم}. وصلى عليه وأمر ملائكته ثم المؤمنين بالصلاة عليه فقال: { إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما}. وأكرمه وبجله وعظمه بقوله: { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه}. وفضله على سائر النبيين والمرسلين حتى ناداه بالوصف الشريف فقال: يا أيها النبيّ ـ يا أيها الرسول. وأقسم على عظيم فضله بقوله: { والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى}. { يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم...} وبحياته: {لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون}. وأمرنا أن نغض أصواتنا عنده فقال: { يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ و لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وانتم لا تشعرون}. ومدح الذين يغضون أصواتهم عنده وأعدّ لهم النعيم الجسيم فقال: { إن الذين يغضون أصواتهم عنده رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم}. وحذرنا من التقدم بين يديه فقال: { يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله}. وقال في الحض على الانقياد لأوامره: { فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم}. { وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}. فلا يتم إيماننا حتى يكون أحب إلينا من أنفسنا ووالدينا والناس أجمعين. بل لا يؤمن أحدنا حتى يكون هواه تبعا لما جاء به هذا النبي الكريم. هذا النبي الذي اصطفاه الله وطهره وختم به الرسل وبكتابه العزيز الكتب. وجعل أقواله وأفعاله وأخلاقه وآدابه نورا وهداية ودرسا لتربية الإنسان الخالص في حبه وحسن سلوكه بل ونيلا للفوز والسعادة في الدنيا والآخرة كما جعل ذكره ومدحه حلاوة في القلوب العامرة وبهجة وجمالا في الوجوه الناضرة بأحاديثه الفائقة، وحنانا وشوقا في النفوس القاسية، واهتزازا وزلزلة للأجسام الساكنة عند سماع ذكره أخلاقه الهادية. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وما ذلك على الله بعزيز.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعز من يشاء ويذلّ من يشاء ويفعل ما يريد لا رادّ لقضائه و لا منازع لحكمه وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وخليله وخيرته من خلقه القائل: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه القبر، وأوّل شافع وأوّل مشفع) رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة.

اللهم صل وسلم وبارك وكرم على هذا النبيّ الكريم سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه المكرمين الذين جاهدوا معه واتبعوه ونصروه.

ورضي الله عن التابعين ومن تبعهم بإحسان واقتفى آثارهم مملوء القلب واللسان بحبّهم والثناء عليهم بما هم أهله والدعاء لهم بما نبّهنا عليه تعالى في كتابه: { ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان و لا تجعل في قلوبنا غلاّ للّذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم}.

وبعد فيقول فقير مولاه محمود بن محمد ددب بن فراج سيد الملقب بحمّو الأرواني التنبكتي المالي:

قد ألح عليّ بعض أصحابي من طلبة الثانوية أن أجمع لهم جملا مختصرة في كيفية إحياء عيد المولد النبويّ عند أهل تنبكتو لفقد أربابه وحقيقة أحواله فأجبتهم إلى ذلك مسرعا ومشمرا ومحتسبا للثواب، وخدمة لمدح النبي الأوّاب، وراجيا إدخال الفرح والسرور بين الخائرين من الأصحاب وصونا وحفظا لتراث الأمة بين الوثائق الصّياب.

غير أن البحث في هذا الموضوع شاق جدا لأنه يعتمد غالبا على المسموع وعلى ما حفظ أهل الدراية. والتأليف فيه وإن كان نادر لسبب استغناء الناس غالبا في أمثال هذه عن المكتوب واكتفائهم بالمسموع سواء كان ذلك عن طريق الإنشاد والرواية والتغني.

و لاحظنا في هذا العصر الذي نعيش فيه أن قضية المولد وما يفعل فيه وما كان عليه الصالح من متابعة السنة المطهرة وإحيائها قد أخذت أبعادا أخرى من حيث لم يشعر ومن صفة لم تنعت وعلى طريقة لم ترسم.

وبالأسف أن أكثر المؤلفين من علمائنا من السلف لم يهتموا بتقييدات الحوادث أو تسجيلها؛ بل الأهم عندهم الفقه والحديث والقواعد والعلوم الأخرى الدينية.

فلذلك بيّنا في هذا المجموع إن شاء الله عدة أشياء ووسّعنا في بعضها القول لنتحف الإخوان بما يغنيهم ويكفيهم عن عدة مراجع ليكون ذلك دليلا لهم على توضيح المرام، وتاريخا لغيرهم من الباحثين وتنبيها وتذكرة للمقلدين المادحين.

فنسبنا كل قول إلى قائله وعزونا كلّ إشارة إلى من أشار إليها مع ذكر الكتاب أو المكتوب الذي فيه أو منه نقل مع تعيين الأبواب والفصول. فسهّلنا بها السير وخففنا بها البحث بذكر تراجم بعض العلماء ليستدلّوا بالشاهد على الغائب، وبالتمكن بالمناسب. فقد قيل: " ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه".

و لم آل جهدا والله الشاهد على ذلك وهو الموفق للصّواب والرّشاد في إتمام الأرب والمقصود. فله الحمد والشكر على ما أولانا به من الفضل والمنة حق حمده وحق شكره. ولكن لا يخفى على أحد كما هو شاهد أن الخلل والضعف والنسيان والإهمال وغيرها من التوابع اللازمة للإنسان في حياته الفانية. والحاصل أن ما فيه صواب فمن الله الوافي وما فيه خطأ فبتقصيري من قصوري (جل من لا عيب فيه وعلا). لذلك أرجو من الإخوان أن يتقبلوا مني هذه الأعذار وأن يصلحوا ما زلت فيه القدم أو سبقت فيه القلم. لأني لست أهلا لهذا الميدان بل شرعت فيه للهدف الذي قدمت أولا. فقلما ينجو كاتب من هفوات أو عثرات. فعلى الله أتكل وإليه مرجعي ومآبي.

ولا ننسى بل من الواجب في حق الإنسانية أن نوجه تشكراتنا الحارة الطيبة لجميع من ساعدنا في هذا العمل ونشكر بصفة خاصة الشيخين الفاضلين العالمين العاملين مولاي العربي بن مولاي هاشم الأرواني أستاذي ومربي روحي، والأستاذ الفا سالم بن الإمام بابير الشاعر الكبير والخطيب البليغ، على ما قدماه لنا من تشجيع وعون وعلى ما استفدنا لديهما من معرفتهما الواسعة. فنسأل الله أن يجزل ثواب الجميع ويجازيهم بكل خير آمين.

ولما تمّ الغرض المطلوب سميناه:

تنبيه المادح المقلد على ما كان عليه سلف تنبكتو في المولد

ورتبناه على خمسة عشر فصلا وخاتمة:

1- الفصل الأول: في تاريخ تنبكتو الثقافي وأحوال علمائها مع المولد.

ففي هذا الفصل ذكرنا قطعة من تاريخ المدينة الثقافي وكشفنا الغطاء عن أحوال علمائها كأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر واهتمامهم بالعلم والتعلم وبثّه، وذكر مذهبهم وعقيدتهم وتصوفهم والأوراد المشهورة المستعملة عندهم، وأحوالهم مع التربية التقليدية والإسلامية إشارات عن آدابها التهذيبية من مرحلة الطفولة إلى التزويج. والمناهج المسطورة في تحسين سير التعليم في الكتاتيب، وتنويع مجالس الذكر وعددها والنظام فيها، وذكر المساجد التي كانت وما زالت، وآداب قارئ الحديث وما يقرأه عند الشروع وعند الاختتام، وما يجري في المجالس من الآداب، والكتب المدروسة فيها مع بيان عوا ئدهم لكل كتاب منها، وأتينا بتنبيهات مفيدة في ذكر حيوية مجالس العلماء وعوا ئدهم كاختصاص بعض الشهور لقراءة الحديث والسبب فيها، وتلاوة القرآن في الحارات مع ذكر منهج كل فرقة فيها، ومنهجهم في الورد المشهورة باللطفية، وفوائد السبحة،

والقصيدة التي كان ينشدها أصحاب الحرَف عند رجوعهم من الحرفة؛ ودور التفسير وكيف يكون؟ وأين يقع؟ وعلاقة تنبكتو مع المدن الأخرى وأمر المخطوطات وسلاح العلماء عند نزول مصيبة فاجأتهم، والإجازة والمناولة، ومتى يحصلون عليهما؟ وكيف؟ وأتينا في جميع ما تقدم بالأدلة الواضحة، والبراهين القاطعة ليستدل بها القارئ الكريم. ولم ننس أن أضفنا على هؤلاء أحوال العلماء مع التآليف وموقفهم مع عيد المولد وما كان اعتقادهم وهدفهم فيه، وما يجري فيه ممّا يدل على اهتمامهم بهذا العيد.

2- الفصل الثاني: في معنى العيد وذكر الأعياد والأيام الفاضلة.

في هذا الفصل قيّدنا جميع العوائد الجاريّة فيها بالبراهين القاطعة وختمناه بالمقصد الذي هو عيد المولد المبارك والهدف عندهم في إحيائه لياليه وأنهاره.

3- الفصل الثالث: في ذكر أفضلية ليلة المولد على سائر الأعياد.

هنا أتينا بمقالات العلماء في ترجيح عيد المولد على غيره من الأعياد وما وقع بينهم من المناقشات والمحاورات.

4- الفصل الرابع: في جواز إحياء عيد المولد النبوي.

وهذا الفصل هو الأصل في سبب إنشاء هذا الكتاب، فقد وسّعنا فيه وأتينا بأقوال بعض فحول العلماء واعتقادهم وآرائهم وتأويلاتهم في جواز إحياء هذه الليلة المباركة.

5- الفصل الخامس: في بيان ما جاء في القيام عند ذكر ولادة النبي ﷺ.

وهذا يحتاج إلى إشارات لأن للمدّاحين مواضع مهمى وصلوا إليها ندبا عليهم أن يقوموا إكراما لهذا النبي ﷺ.

6- الفصل السادس: في بيان ما جاء في ذكر اسمه الشريف وتقبيله والولائم في المولد.

ففي هذا الفصل بيّنا بالاختصار ما جاء في تقبيل اسم النبي في الكتاب أو عند سماع ذكره وتنويع الولائم وما جاء في رفع الصوت بالصلاة عليه ﷺ.

7- الفصل السابع: في بيان ما جاء في رفع الصوت بمدحه ﷺ.

8- الفصل الثامن: في ذكر ما جاء في ضرب الدفوف والسماع في الأعياد.

9 – الفصل التاسع: في التعريف بكتاب ابن المهيب وما يضاف إليه من القصائد المدحيّة.

فلهذا الفصل أهمية كبرى إذ التعريف بكتاب ابن مهيب الذي هو الكتاب المدروس في عيد المولد وما فيه من الأمثال والفوائد والإشارات ممّا يشجّع المادح المقلد أن يتخلق بآدابه وأن يقف على حقيقة ما فيه وقد قيل: [من جهل شيئا عاداه].

وأضفنا إليه أشهر القصائد المولدية وعناوينها وتعريفها وذكر قائلها إن كان وعدد أبياتها وغيرها من المعلومات والتنبيهات.

وكمّلنا ذلك بذكر لمحة من الإشارة إلى بعض الشعراء المداحين باللغات المحلية، الذين اشتهرت قصائدهم في المدن والقرى المجاورة لتنبكتو إذ بقصائدهم أغلبية الأميين عرفوا سيرة النبيّ ﷺ ولم تخالف قصائدهم شيئا من البحور الشعرية العربية في التنظيم والنظام. فوجدنا من الواجب أن نقدّم لهم مزيّة التكريم والتبجيل بهذه الفرصة التي أتيحت لنا. فجزاهم الله خيرا آمين.

10 – الفصل العاشر: في ذكر أول من ابتدأ الاحتفال بالمولد النبوي في المشرق.

11 – الفصل الحادي عشر: في ذكر أول من ابتدأ الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب.

12 – الفصل الثاني عشر: في ذكر أول من ابتدأ الاحتفال بالمولد النبوي في تنبكتو.

وفي آخر هذا الفصل لخّصنا جميع ما تقدّم في الفصل العاشر والحادي عشر والثاني عشر.

13 – الفصل الثالث عشر: في التعريف بفرق المداحين في تنبكتو و مواقع رحابهم في الحارات.

14 – الفصل الرابع عشر: في بيان منهج كل فرقة للتنظيم في إحياء هذا العيد.

وقد قدمنا للمقلد المادح في هذا الفصل فوائد شتى حيث ذكرنا ضريبة كل صنف من أصحاب الحرف لمساعدة المجتمع التنبكتي في إحياء هذه الذكرى الخالدة وما يجري فيها من شهر صفر إلى الربيع الثاني، وما تصنعه النساء من المآكل والمشارب والهدايا وغيرها. ولما تم العمل من

هذا المهيع شرعنا في المقصد فبيّنا منهج كل فرقة وعوائدهم بالترتيب. فبيّنّاه مجملا وفصلناه بجداول ليوضح الطريق أمام المقلد ويزيل عنه الإشكال والارتياب. وذكرنا التلحينات والقصائد المخصوصة لكل فرقة، ولم نهمل ذكر الأصل في اجتماع القراء ولقاء أهل المدينة أما دار (ببّهومي) وما يجري فيه من الأمور والعوائد، وكذلك ذكر الولائم والذين يقومون بها في كل حارة وغيرها من الفوائد والإشارات والمعلومات التي لا بد منها.

15- الفصل الخامس عشر: في القصائد التي تنشدها النساء ليلة المولد وما هو تنارى وما قيل فيه.

وهذا الفصل قسمناه على ثلاثة أقسام. قسم خصصناه للنشيد الوارد باللّغة السنغايوية، وقسم وهو الثاني بالنشيد الوارد باللّغة الحسّانية، ولم نأت في هاذين بجميع الأناشيد بل اقتصرنا على البعض فقط. والقسم الثالث في ذكر تنارى وما قيل فيها.

وخاتمة جعلناها نصيحة للمادح المقلد وحذرا له من اتباع أهل الفساد الذين اتّخذوا عيد المولد النبويّ فرصة لقضاء أربهم في ما حرّم الله و رسوله ﷺ. نسأل الله السلامة، والتوفيق آمين وخلاصة مقنعة لكل ما سيرد في هذا المجموع إن شاء الله.

فهذه فصول المجموع لخّصتها في صدره لأخفّف عن القارئ من كدّ الطلب وطول الملاحظة والمراقبة، وتعب التصفّح ليحصل على مرامه ومراده في أسرع وقت مهمى يبحث عنه وسيعلم القارئ إن شاء الله إني قد خفّفت جدّا وإن كنت قد أكثرت ولخّصت و اختصرت أيضا وإن كنت قد أطلت وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه وينفع به النفع العميم.

الفصل الأول: في تاريخ تنبكتو الثقافي وأحوال علمائها مع المولد.

{ مدينة تمبكتو من أقدم مدن بلاد السودان وأعرفها، أنشئت على يد الطوارق أمقشرن في منتصف القرن الخامس الهجري وأصبحت منذ ذلك الحين أهمّ المراكز الثقافية والتجارية في غرب إفريقيا وذلك بفضل موقعها الجغرافي الممتاز. فهي تقع على منعطف نهر النيجر في الغرب وعلى باب الصحراء في الشمال الأمر الذي جعلها بؤرة التأثيرات وملتقى الحضارة العربية الإسلامية والإفريقية.

وقد لعبت دورا هاما في تاريخ المنطقة الاقتصادي والثقافي}.

ويقول الشيخ السعدي صاحب تاريخ السودان: { ثمّ اختاروا موضع هذه البلدة الطيبة الطاهرة الزّكيّة الفاخرة ذات بركة ونجعة وحركة التي هي مسقط رأسي وبغية نفسي ما دنّستها عبادة الأوثان و لا سجد على أديمها قط لغير الرحمان مأوى العلماء والعابدين ومألف الأولياء والزاهدين وملتقى الفلك والسيار. فجعلوها خزانة لمتاعهم وزروعهم إلى أن صار مسلكا للسالكين في ذهابهم ورجوعهم}.

ففي عهد كانكو موسى ملك مالي (القرن الثامن الهجري) الذي جلب إليها عددا من العلماء والمهندسين العرب، منذ ذلك العهد أصبحت تمبكتو مدينة العلم والديانة والمعرفة والحضارة في إفريقيا.

ولما جاء أسكيا محمد الأول ملك السنغاي إلى الحكم (القرن التاسع الهجري) اتخذها عاصمة ثقافية وعلمية ودينية للمملكة وشجع رجال العلم وجلب لهم الكتب النادرة من بلاد المغرب والمشرق على حد سواء.

ويقول السعدي: {ويأتيه الناس من كل جهة ومكان حتى صار سوقا للتجارة وأكثر الناس إليه ورودا للتسوق أهل وغَدُ ثم أهل تلك الجهة كلها وكان التسوق قبل في بلد بير وإليه يردّ الرفاق من الآفاق وسكن فيه الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد من أهل مصر و وجل و فزان و غدامس و توات و درعة و تفلالة و فاس و سوس و بيط إلى غير ذلك ثم انتقل الجميع إلى تنبكتو قليلا قليلا حتى استكملوا وزيادة مع جميع قبائل الصنهاجة بأجناسها}.

ففي ظل مملكة السنغاي ازدهرت الحياة الثقافية في تنبكتو ونمت حتى أصبحت نقطة إشعاع في السودان الغربي كله يقصدها الطلبة من كلّ مكان وانتشرت فيها المدارس والمعاهد وكثر فيها العلماء والفقهاء فكرّسوا حياتهم للتدريس والتأليف.

ويدلّ على ذلك أحمد بابا السوداني والقاضي سيد محمود بن عمر ومحمد بغيع والشيخ سيد المختار الكنتي والشيخ سيد أحمد بن أعمر والشيخ سيد عالي الأرواني وغيرهم من العلماء العاملين والشخصيات اللامعة الذين لعبوا دورا أساسيا وحاسما في التاريخ الثقافي للمنطقة وبالتالي في تاريخ الحضارة العربية والإسلامية.

ويرجح هذا ما قاله السعدي: { كفى في ذلك ما رواه الشيوخ الثقات عن الشيخ العالم الفاضل الصالح الوليّ ذي الكرامات والعجائب الفقيه القاضي محمد الكابريّ رحمه الله تعالى أنه قال: أدركت من صالحي سنكري من لا يقدم عليهم في الصلاح أحد إلا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي عنهم أجمعين}.

فهذا القول وإن تردّد فيه القارئ ففيه إشارة تدلّ على فضلهم وقوله تعالى {وفوق كل ذي علم عليم}، واستكفى هذا القاضي بصالحي سنكري فقط فكيف بصالحي باجندي وجنكري بار والمناطق الأخرى كأروان وأبي جبيهة وغيرها والمدن المجاورة لها كجنّي و ولاة بل بلاد السودان كلها.

وقد أقبلت عليهم الدنيا و هم لا يبالون بها ويشتغلون دائما بالتعلّم والتعليم و لا يدعي أحد منهم أبدا أنه يعرف شيئا، بل لقد كانوا يمتحنون فيما بينهم بالأسئلة من جميع الفنون من غير

تنافس. فإذا أردت أن تحقق ذلك فأنظر خطب كتبهم وإجازاتهم كيف يصغّرون أنفسهم مع ما أعطاهم الله من العلم والمعرفة والفضل.

وبلغنا من آثارهم من أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما لا تعدّ و لا تحصر.

من ذلك القاضي سيد محمود بن أعمر كان مفتّشا حاذقا يدور حول الأسواق ويراقب التجار ويسألهم عن أحوال الموازين والكيلة وغير ذلك من المسائل الفقهية في البيع والشراء وقد يمتحنهم ويشدّد عليهم في ذلك. وقد يطرد كل من جهل المسائل المطروحة له في البيع.

ومنهم لما رأوا من قلة المبالاة بالأرحام أسّسوا ما صارت عادة في البلاد ما يدعى باللغة المحليّة " جَنْكُ فُو" وأخواتها. فصارت هذه العادة بهذا التأسيس سببا يشجّع الناس على زيارة الأرحام ومنفعتهم في يوم عاشوراء ليطابق ما هو مطلوب فيه. فصار يوم عاشوراء يوم مذاكرة الأرحام ومعرفة العلاقات الرابطة بين كل فرد من الأفراد.

ومنهم تسهيل أحمد بابا السّوداني للأمّيين معرفة أوقات الصلوات بطريقة الأقدام فجمعها في بيت واحد وهو:

وَدَجْ وَبَعْدَ خَمْسَةٍ بِوَاحِدٍ * * وَمَا بَقَى بِدَهْوَ لاَتُعَانِدِ

إيضاحه:

و	د	ج	وبعد خمســـة بواحد						
6 يناير +	4 فبرائر +	3 مارس +		1 أبريل +	1 مايو +	1 يونيو +	1 يوليوز +	1 أغشت +	الظهر
7	7	7		7	7	7	7	7	العصر
وما بــــــــــــــقى بـــــــــد هــــــــو لا تعانـــــد									
				2 سبتمبر +	4 أكتوبر +	5 نوفمبر +	6 ديسمبر +	الظهر	
				7	7	7	7	العصر	

كيفيّة السير:

مثلا الواو ستة فالأقدام في شهر يناير ستة للظهر وللعصر تزيد على الستة سبعة، وفي شهر فبراير فالأقدام أربعة فقط للظهر وللعصر تزيد سبعة على الأربعة وهكذا إلى آخر السنة فتأمّل هـ.

وأمثال هذه الجداول كثيرة جدّا ولكل فن من الفنون العلمية اختراعها الخاصة إمّا للتلخيص أو لتسهيل حفظ أو لإيضاح مشكل، فليس هنا محلها ولولا ذلك لأتينا منها ما فيه كفاية وافية.

ومذهبهم في الفقه هو مذهب الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة ومهبط الوحي ومع هذا لا يجهلون المذاهب الأخرى بل يتّقنونها كل الإتقان. ويعرف ذلك عند الحضور في مجالسهم في شرح الأحاديث واستخراج فقهها ودلائلها وأحكامها. أما في الإفتاء ترى منهم العجب العجاب.

وعقيدتهم أشعريّة، وربّما يلقّبون بالأشاعرة وهو مذهب واضع العقيدة الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل بن بشر بن إسحاق بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال أبي بردة بن أبي موسى الأشعريّ، وهو أيضا مالكي المذهب.

وفي نسخة صحيحة: «علي بن إسماعيل بن بشر بن إسحاق بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال أبي بردة بن أبي موسى الأشعريّ ولد سنة ستّين ومائتين من الهجرة النبوية.»

قال ابن فورك، رضي الله عنه: توفي أبو الحسن الأشعريّ سنة 324 هجرية.

« وفضائل أبي الحسن الأشعريّ ومناقبه أكثر من أن تحصر في هذه العجالة، ومن وقف على تواليفه بعد توبته من الاعتزال ـ رأى أن الله تعالى قد أمدّه بمواد توفيقه وأقامه لنصرة الحق والذبّ عن طريقه، وقد تنازع فيه أهل المذاهب؛ فالمالكي يدّعي أنه مالكيّ، والشافعي يزعم أنه شافعيّ، والحنفيّ كذلك. قال ابن عساكر لقيت الشيخ الفاضل رافعا الحمال الفقيه، فذكر لي عن شيوخه أن أبا الحسن الأشعريّ كان مالكيا فنسب من تعلق اليوم بمذهب أهل السنّة وتفقّه في معرفة أصول الدّين من سائر المذاهب ـ إلى الأشعريّ لكثرة تواليفه وكثرة قراء الناس لها. »

وتصوّفهم جنيديّة وهو مذهب الإمام الشهير الجليل أبو القاسم الجنيد بن محمد سيّد الصوفية علما وعملا وإمامهم. نشأ وولد بالعراق وكان فقيها كبيرا وصحب خاله السري السقطي والحارث المحاسبي ومحمد بن علي القصاب. ومات ﷺ سنة سبع وتسعين ومائتين فهو من علماء القرن الثالث. وطريقته مؤسسة قواعده على الكتاب والسنّة، بل هو ثمرتها. وكان دائما في العبادة حتى قيل أن ركعاته في اليوم أربعمائة ركعة وهو أديب كبير يشهد لذلك أقواله وأمثاله فانظر في المطوّلات تستفيد إن شاء الله.

وفي الأوراد أشهر الطرق هي الطريقة القادريّة، وانتشرت بواسطة الشيخ سيد المختار الكنتي وحتى في بعض المناطق تعرف هذه الطريقة بالطريقة المختاريّة منسوبة للشيخ سيد المختار، ثم الطريقة الشاذلية منسوبة للشيخ أبي الحسن الشاذلي وتلك لم تنتشر جدّا. ثم بعد ذلك في منتصف القرن الثاني عشر الهجري بدأ ظهور الطريقة التجانية المنسوبة للشيخ مولاي أحمد التجاني. وانتشرت بواسطة الشيخ أحمد والحاج عمر ويركي تلف والشيخ حماه الله النيوروي ونادرا يوجد الطريقة الزروقية والدرديريّة والرفاعية.

وكثير من العلماء أسّسوا لأنفسهم طريقة يلازمونها وبعضهم كوّنوا أحزابا واستغاثات وتوسّلات تقرأ صباحا ومساء وانتفعت أجلة الطلبة بها لما فيها من الآيات القرآنية والدّعوات الجامعة والصلاة على النبي ﷺ وغيرها.

علماء تنبكتو والتّربـــــيّـــــة

قد قدمنا في الصفحات المتقدمة ما اخترع أحمد بابا السوداني للأميين في معرفة أوقات صلواتهم. نعم فينبغي إلى الآن أن نبين للقارئ الكريم حتى يعرف ويتحقق أن التربية في تنبكتو كانت تحت مراقبة علمائها، فكانت تربية إسلامية صحيحة طيبة لا تخالف أية خطوة من الخطوات المقرّرة عن رسول الله ﷺ ، لتكوين المسلم المؤمن الخالص المخلص الذي لا شائبة فيه ويتحلى بآداب الإسلام كلّها أو جلّها.

فالتربية التنبكتيّة الإسلامية تكون أوّلا في البيت عن طريق المحاكاة والتلقين حتى ينشأ الولد فيرى آباءه يصلّون ويصومون ويزكّون ويتصدّقون ويقرءون القرآن ويصِلون أرحامهم، بل يفعلون جميع الشعائر الدينية، فتنطبع في ذهنه هذه الصور الجميلة ويتأثّر خطاها بالتقليد.

فبهذا التقليد تصبح تحرّكات الولد كلّها عبادة لله، مثلا: طلبه للعلم، حرفته التي يعيش منها، إتقانه للعمل، تحركاته في مناكب الأرض، استثمار المال فيما ينفع الناس، إماطة الأذى، التبسم في وجه الأخ، وغير ذلك.

وهذا كلّه لانتشار الإيمان في قلوبهم وسبقه إليه وذلك لأنّ الإيمان يمنع الفوضى والتشويش ويقيم نظاما خلقيّا ممدوحا في سير الإنسان بل يجلب السلوك الحسن والخلق الحميد والتحلي بالحلم وسياسة الرعيّة بالعدل والرّحمة والسماح. والإسلام أيضا يربّي على الاعتدال والقصد حتى في عواطف القلب وهي التي تتخلق الإنسان بأخلاق لا إله إلا الله التي جاء تفصيلها في الكتاب والسنّة وتجعله شخصا إيجابيّا لتبعات أعماله بل يجعل الإنسان إنسانا صالحا في نفسه وصالحا في مجتمعه وصالحا لما بينه وبين ربّه.

فيُفهم من التربية التنبكتيّة، التربيّة الإسلاميّة لأنّ قدوة الولد هي الوالدان المسلمان وهما يقتديان برسول الله ﷺ. وهذه التربية لا تكون قهرا بل تعويد على الخير وفعل الخير.

ومن أهمّ ما قوّى به التنبكتيّون تربيتهم، استعمالهم التربية المتبادلة حيث يربّي الزملاء بعضهم بعضا بمعنى أنّهم يشتركون جميعا في التربيّة والتّعليم. مثلا ترى رجلا يؤدّب ولدا في الطرقات وهو يجهل تماما أمّه ووالده. ومهما بلغ الخبر آباءه يشكرونه شكرا تامّا. ومثله في التعليم فالقديم السابق يعلّم الحديث البادئ والذّكيّ النابه يعاون البطيء. وهذا الأسلوب شائع في الكتاتيب .

و دور التّربية ما زال مستمرّا. فالطّفل لا يهمل عند رجوعه من الكتاتيب بل يرسل إلى الورشات أو المصانع كالفلاحة والحدادة والخياطة والإسكافة من أجل « بلوغ الإنسان كماله الأخلاقيّ. » و «وأنّ الله يحبّ العبد المحترف. »

وفي التّربيّة التنبكتيّة آداب تهذيبيّة:

منها قولهم: مهمى فتحت أبواب مسجد سيدي يحي تقوم القيامة؟ وذلك لتخويف الأطفال من التقرّب في المواضع المقدّسة لا غير.

ومنها تحذيرهم من تواطأ الكبراء بالنّعال، والمرور بين أيديهم والرقص أمامهم، ومنها الرفق بالحيوان كمن أخذ هذا الطير أو ذبحه سيصيبه كذا وكذا، ومنها الأدب على المائدة، وجوب الشكر بعد الأكل على كلّ حاضر في الأسرة، التشديد في سقوط الحبوب على الأرض عند الأكل . أمر الولد بالصلاة منذ الصّغر وضربه على عشر للحديث الوارد فيه. وغير ذلك من الأمور التي لا تحصى في التربية.

و في اللّيالي أيضا التربية مستمرّة، فلا يترك الولد للّعب بل يسلّم إلى جدّاته أو جدّه لسرد القصص والحكايات والأمثال السائرة لأنّ بعض التربيّة لا تتأثّر في الولد إلاّ بسرد هذه القصص امتثالا لما كان يفعله ﷺ كما ورد في الحديث في ذكر حكاية أصحاب الغار، وحكاية الثلاثة، صاحب الأقرع والأعمى والأبرص.

ثم إذا بلغ الأطفال مبلغا مّا في السنّ يُختتن، وبعد أعوام يجعلون عليه عمامة بحضرة كبراء البلدة والأشراف والعلماء والصالحين للتبرّك ويقرءون عليه ما تيسّر من الآيات القرآنيّة ويدعون له بالدعوات الجامعة الصالحة، وذلك ليعلم أنّه الآن صار مكلّفا وذلك عادة كانت تستعملها العرب إذا بلغ الصبيّ أزالوا التمائم عنه وألبسوه العمامة وقلّدوه السّيف.

وصفة العمامة تجمعها حروف اسم الجلالة {الله} وهذه صورتها:



وهناك صفة أخرى وهي المعمولة عند أكثر سكان المناطق بقرب تنبكتو، وهي المشهورة في بلدة جنّى. وقال لي واحد من كبراء جنّى أنّ أصلها مبدأ سورة الإخلاص: هم الجناويون أخذوا (هو) والتنبكتيون أخذوا (الله). وهذه صورتها:



ثم بعد عام أو عامين يزوّجه والده بعد الاستخارة النبويّة عدّة مرّات ومن هنا يعلّمون له جميع الحقوق الزّوجيّة والتنظيم وغيرهما.

وأما النساء فليست لهنّ الحرّية في شيء كالخروج والتجوّل والتبرّج ومشاركة الرّجال بل يكون تعليمهن في البيت يقوم به والدها أو أخوها لا غير، ثم تشتغل هي بأعمال البيت فقط كالندف والطبخ والتنظيم. ثمّ إذا تزوّجت يجعلون معها عجوز تساعدها وتربّيها وتصبّرها على احترام زوجها وتحسن خلُقها وغيرها من الأخلاق وتهذيب النّفوس.

وهناك نشيد يسمّى باللّغة المحليّة [يُورُنْدِي] تنشد للعريسة دائما يشتمل جميع الآداب الحسنة والأخلاق الطيّبة وتشجّع على الصّبر والتحمّل وهي قصيدة طويلة ومطلعها:

(1) تَاري تَاري نَانَ كَيْنَ
(2) نِهِنّي دُمْبُو كُو يُوَنْدي

إلى أن تقول:

(3) كَنَ كَمُمْمي نَانَ كَيْنَ
(4) مَدَنْـگـيْ كَمُمْمي نَانَ كَيْنَ

إلى أن تقول:

(5) انْدَكَرْجِ تُمْنِي مَـگـُرُ دَكُ دَكُ
(6) انْدَ سَانَ تُمْنِي مَـگـُرُ دَكُ دَكُ

شرحها:

(1) مهلا مهلا يا نان الصغيرة
(2)
(3) انظري واستمعي يا نان الصغيرة
(4) أسكتي واستمعي يا نان الصغيرة
(5) فإن أصابك شوكة فاجلسي عليه
(7) فإن أصابك إبرة فاجلسي عليها

علماء تنبكتو ومناهج الكتاتيب

وقد نبّه ابن خلدون في مقدمته على طريقة التعليم في إفريقيّة والمغرب عامّة فقال رحمه الله في فصل تعليم الولد: (فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم إلى أن يحذف فيه وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم. وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها إلاّ أنّ عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءته أكثر ممّا سواه وعنايتهم بالخطّ تبع لذلك) انتهى المراد منه بالتغيير.

وكلا الوجهين كانا موجودين في تنبكتو والأغلب هو دراسة القرآن أوّلا ثمّ مبادئ العلوم والأدب والأحاديث والتفاسير ويسمّون الجميع: العلمين: علم الدّراية، وعلم الرّواية. فعلم الدّراية هو علم الفقه وعلم الأصليين؛ أصول الدين وأصول الفقه، وعلم العربية، وعلم التصوّف، والمنطق، والطب. وعلم الرّواية هو: علوم التفاسير، وعلوم الحديث، وعلوم الفقه، والعربيّة، والتصوّف، والتذكير.

والفرق بينهما أعني علم الدّراية والرّواية هو أنّ علم الدّراية يحتاج إلى أعمال الفكر والنظر واستنباط الأحكام، وبالرواية يتوصّل بها إلى معرفة العلوم بالرّواية والسّماع اهـ.

ومناهج التعليم والسلوك الذّاتي والمهنيّ، ومقاصد التّربية، والانتظام، وسلطة المعلم والتشريعات كأيّام العطل والإجراءات التأديبيّة، والعقوبات كلها مجموعة في نظمين. الأولى منظومة **تبصرة المعلم لباب الأحمدي الأجودي.** والثانيّة **لعبد الله بن محمد بن عثمان بن فودي** المسماة ب**الفرائد الجميلة على الآيات الجليلة** وجعله في عشرين بابا فراجعه.

والكتب المدروسة في الكتاتيب كثيرة ومشهورة فلا داعي إلى ذكرها هنا خوف التطويل.

علماء تنبكتو ومجالس الذكر

نظرا لأهمّية هذا الموضوع لا بدّ لنا من تنويع مجالس الذّكر وبيان آداب القارئ والكتب المعتمدة المقروءة فيها وكيف الحصول على الإجازات ومتى وغير ذلك من التنبيهات والملاحظات مع الاعتماد على بعض الأصول لترجيح المقول.

ففي الحديث ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده. رواه أبو داود.

فالأحاديث الواردة في فضل المجالس كثيرة جدّا.

فالمجالس في تنبكتو ثلاثة:

الأوّل: المساجد

الثاني: البطيحاء

الثالث: الدهاليز أو السقائف جمع سقيفة.

1- المساجد

قد عرفت تنبكتو قديما تسع مساجد ويتعاونون في بنائها طبقا لما جاء في البخاري[1].

الأوّل: المسجد الكبير المسمى باللغة المحلية (جنـگري بار)، وهو المسجد الجامع قديما إلى الآن ، بناه الحاج كنكو موسى في أوائل القرن الثامن وجدّد بناءه القاضي العاقب في أواخر القرن العاشر.

الثاني: مسجد سيد يحي. قيل أنه أول مسجد بنِي في تنبكتو لأنه اشتهر بمسجد أمقشرن، وبعد انقراض دولتهم جدّد بناءه محمد نضّ لمّ بلغه أنه مسجد أجداده وجعل فيه سيد يحي إماما له وجدّد بناءه القاضي العاقب أيضا وذلك في عام 976 هـ/ 1568م، وقيل أنّ مسجد سيد يحي بُنِي ثلاث مرّات.

الثالث: **مسجد سنكري** الذي كان مركز العلوم الدينية. قال صاحب الفتّاش أنّ بانيه القاضي العاقب ناقلا في كفاية المحتاج في عام 986هـ/ 1578م خلافا لصاحب تاريخ السودان.

الرابع: **مسجد جامع الهنا** بني عام 949 هـ/ 1542م بناه القاضي العاقب فسقط وموضعه معروف يزار.

الخامس: **مسجد ألفا بكّر** بنى عام 1126هـ/ 1714م فسقط ويعرف الآن بقبور الصبيان.

السادس: **الكُبُر جِنْـگَرَيْ** وقيل أنه مأوى الأمة المدعوّة ببكتو وكان مسجدا معمورا بقراءة كتب الأحاديث دائما كما شاهدناه في تقاييد العالم العلاّمة الفقيه القاضي محمد الكابري الملقّب بسَنْ شِرْفِ رحمه الله وهو أيضا كان من الذين يفسّرون الأحاديث للناس هناك.

السابع: مسجد التواتيين فموضعه مجهول، والمعلوم أنه بني عام 1180هـ/ 1766م.

الثامن: مسجد السوق وموضعه مجهول.

التاسع: مسجد الكونتيين وهو معدوم.

أمّا اليوم فأشهر المساجد ستّة: مسجد الجامع ومسجد سيد يحي ومسجد سنكري. وتبعا لهذه المساجد مسجد أبرّاز بناه القاضي المرحوم محمد محمود بن الشيخ الأرواني عام؟ ومسجد ساري كين بُنِي عام 1359هـ/ 1940م،ومسجد بلَّ فراندي.

وزوايا أربعة: زاوية المرحوم مولاي العربي بن مولاي هاشم الأرواني المتوفّى عام 1401هـ/ 1980م، و زاوية الشيخ العالم العلاّمة التجاني بن محمد الأمين المتوفّى عام 1367هـ/ 1947م، وزاوية الشيخ سيد عالي الأرواني المتوفّى عام 1341هـ/ 1922م، وزاوية سيد أحمد الرقادي.

---

[1] - ولأهل تنبكتو نظام خاص في ترميم المساجد معروف عند أربابها يطابق تماما ما أشار إليه البخاري في باب التعاون في بناء المساجد، ج/ 1، ص/ 115.

2- البطيحاء

بطح يبطح الباطح أي المستلقي على وجهه. بطَّح ـ بتشديد الطّاء تبطيحا ـ البيت ألقى الحصى فيه ومهّده وسهّله، والبطحاء جمع بطاح وبطائح وبطحاوات السهل؛ الأرض المنبسطة، مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى. البطحة: المسافة الفنّية الصغيرة المنبسطة.

ويسمى هذا باللّغة المحلّية (بَرَمْ بَرَمْ) وعمر بن الخطاب ﵁ هو أول من أطلق عليه اسم البطيحاء، وهي دويرة متوسطة بجانب المساجد وربما تلاصق بها فراجع بهجة النفوس لأبي جمرة تستفد إن شاء الله وكذلك الموطأ للإمام مالك ﵁.

3- الدهاليز أو السقائف

وهو ما بين الباب والدار وقد يكون مأوى الأطفال لتعليم القرآن أو الكبار لتعليم العلوم وما زالت موجودة إلى الآن وقد أشار البخاري على سقيفة بني ساعدة. أنظر العسقلاني عليه.

أمّا آداب القارئ فمسطورة في كتب الأصول والمصطلحات فراجعها.

وقارئ الحديث قبل الشروع في القراءة يقول: { أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أفضل الحمد على كلّ حال والصّلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيد المرسلين كلما ذكرك وذكره الذّاكرون وكلما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين جبر الله صدع قلوبنا وغفر جميع ذنوبنا وجعل استعدادنا لمعادنا وتوفّر دواعينا فيما ينجينا ويقرّبنا إليه تعالى زلفى ويحظينا بمنّه وكرمه آمين.} وهذا هو المشهور والمعمول هنا.

ومنهم من يقرأ: { اللّهم ألهمني علما أفقه به أوامرك ونواهيك و ارزقني فهما أعلم به كيف أناجيك يا أرحم الراحمين، اللّهم ارزقني فهم النبيّين وحفظ المرسلين وإلهام الملائكة المقربين برحمتك يا أرحم الراحمين اللّهم أكرمني بنور الفهم وأخرجني من ظلمات الوهم وافتح لي أبواب رحمتك وأنشر عليّ من خزائن علمك يا أرحم الراحمين.}

ومنهم من يقرأ هذا الدّعاء وينسبه لابن الصّلاح، وقيل أنه أفضل ما يقرأ عند قراءة الحديث: { الحمد لله رب العالمين أفضل الحمد على كلّ حال والصّلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيد المرسلين كلما ذكرك وذكره الذّاكرون وكلما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون اللّهم صل وسلّم عليه وعلى ءآله وبارك عليه وعلى آله وسائر النبيين وءآل كلّ وسائر الصالحين نهاية ما ينبغي أن يسأله السائلون الغافلون ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين جبر الله صدع قلوبنا وغفر جميع ذنوبنا وجعل استعدادنا لمعادنا وتوفّر دواعينا فيما ينجينا ويقرّبنا إليه تعالى زلفى ويحظينا بمنّه وكرمه آمين اللّهم إنّي أسألك بالنبيّ ﷺ أن تهديني بعد الضلالة وأن تعلّمني بعد الجهالة وأن ترفعني بعد الخمالة وأن تسمّيني بعد النّكرة وأن تكثرني بعد القلّة وأن تعينني بعد العيلة وأن تجمعني بعد الفرقة وأن تؤلفني بين قلوب مختلفة وأهواء مشتّتة وأمم متفرّقة ءآمين ءآمين ءآمين أعوذ بالله من شقاوتي وبلائي ومخالفتي لمولاي أعوذ بالله من دنيا خدّاعه ومن نفس غرّارة ومن طاعة أصلها ضلالة، أعوذ بالله من المعاصي والذّنوب، أعوذ بالله من قسوة القلوب، أعوذ بالله من عصيان علاّم الغيوب، أعوذ بكلمات الله التامّات التي لا يجاوزهنّ برّ و لا فاجر ومن شرّ ما ذرأ و برأ في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السّماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنّهار ومن طوارق الليل والنّهار إلاّ طارقا يطرق بخير يا رحمان. أعوذ بكلمات الله التامّات من كلّ شيطان وهامّة وبأسمائه عامّة من كلّ عين لامّة.} ثلاث مرّات اهـ.

وفي نهاية قراءة الحديث يصلي الجماعة الحاضرون على النبي ﷺ بهذه الصلاة وهي:

{ اللّهم صلّ أفضل صلواتك على أشرف مخلوقاتك عدد معلوماتك سيّدنا محمّد وعلى ءآله وصحبه وسلم.} إحدى عشر مرّة أو عشر مرّات، تبعا لحديث " إنّ الله وتر يحبّ الوتر فأوتروا" أو عشر مرّات لحديث: " من صلّى عليّ عشرا صلّى الله عليه مائة" أو كما قال ﷺ .

ولحديث جابرﷺ قال، قال رسول الله ﷺ : " ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله فيه ولم يصلّوا على النّبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة" أخرجه الترمذي وقال: حسن. وهذا الحديث يدلّ على وجوب ذكر الله تعالى والصّلاة على النبيّ ﷺ في المجالس.

الكتب الحديثيّة المدروسة في المجالس

أمّا الكتب التّي كانوا يدرسونها ويعتمدون عليها في المجالس هي:

أولا: موطّأ الإمام مالك بن أنس، وهو أقدم كتاب للمالكيين وعليه بُني مذهب مالك. قال الإمام الشافعيّ في حقّ الموطّأ: ما في الأرض كتاب في العلم أكثر صوابا من كتاب مالك. وقال أحمد بن حنبل: ما أحسن الموطّأ لمن تدين به. وقال عمر بن أبي سلمة: ما من مرّة أقرأ الجامع من الموطّأ إلاّ رأيت في منامي رجلا يقول لي: هذا حديث رسول الله ﷺ.

قال الشيخ وليّ الله الدّهلوي وطنا العمريّ نسبا: كتاب الموطّأ أصحّ الكتب واشهرها وأقدمها وأجمعها وقد اتفق السّواد الأعظم من الملّة المرحومة على العمل به والاجتهاد في روايته ودرايته والاعتناء بشرح مشكلاته ومعضلاته والاهتمام باستنباط معانيه وتشييد مبانيه ومن تتبّع مذاهبهم و رزق الإنصاف من نفسه علم لا محالة أن الموطّأ عُدّة مذهب مالك وأساسه وعمدة مذهب الشافعي وأحمد ورأسه ومصباح مذهب أبي حنيفة وصاحبيه ونبراسه. وهذه المذاهب بالنّسبة للموطأ كالشّروح للمتون وهو منها بمنزلة الدوحة من الغصون. وأن النّاس وإن كانوا من فتاوى مالك في ردّ وتسليم وتنكيت وتقويم ما صفا لهم المشرب و لا تأتي لهم المذهب إلا بما سعى في ترتيبه واجتهد في تهذيبه. - انتهى المراد منه -

ومدح الشيخ سعدون الورخسي الموطّأ بشعر طويل قال فيه:

هو العلم عند الله بعد كتابه وفيه لسان الصّدق بالحقّ معرب

وقال فيه أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني في أبيات مطلعها:

أعمّ الكتب نفعا للفقيه موطّأ مالك لا شكّ فيه

وقال القاضي أبو الفضل عياض

إذا ذكرت كتب العلوم فخيرها كتاب الموطّأ من تصانيف مالك

أصحّ أحاديثا وأثبت سنة وأوضحها في الفقه نهجا لسالك

تنبيه: ولهذا الكتاب بركة عظيمة كما لغيره من كتب الأحاديث، منها ما ذكره محمد حبيب الله بن مايابا الجكنيّ اليوسفي الشينقيطي في حاشيته إضاءة الحالك من ألفاظ دليل السالك. فقال: " وقد جرّب ذلك مرارا وجرّبته أنا بنفسي بمكّة شرّفها الله في امرأة قطع الأطبّاء بموتها إن لم يقطع جنينها ببطنها فاستفتيت هل يجوز قتله لحياة أمّه فقلت: لا، وأمرت بجعل الموطّأ على بطنها ففعل ذلك فولدت ولدا حيّا وسلمت هي أيضا. ويشير إلى هذا في منظومته دليل السالك بقوله: كذا إذا الأنثى عليها قد وضع ××× وقت النّفاس الكرب عنها يرتفع

فدلّ ذلك على الإخلاص مع ××× صحّة ما بدا المـــــوطّأ جمع

ثانيا: صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفيّ البخاري. ولد ببخارى سنة 194هـ/ 809م. وتوفي سنة 256 هـ/ 869م. ولهذا الكتاب بركة عظيمة يقول مؤلفه البخاري أنه ما وضع فيه حديثا إلا صلّى ركعتين، وعدد أحاديثه بدون المكرّر أربعة آلاف حديث. وقال الحافظ: عدد ما فيه بدون المكرر والموقوف والمعلّق 2760.

تنبيه: كان العلماء يتبرّكون بصحيح البخاري كما يتبرّكون بغيره من كتب الأحاديث وكانوا يقرءونه في الشدّة لنزول الفرج، ويشير إلى ذلك سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي في غرّة الصباح بقوله:

ذو الفتح ما قرأه ذو ضيق ××× إلا وجا الفرج بالتحقيق

إذن فلا يقرأه أحد في شدة و لا ضيق إلا فرّج الله عنه، قال الحافظ بن حجر فيفتح الباري: إن صحيح البخاري ما قرأ في شدة إلا و فرّجها الله تعالى، و لا ركب في سفينة فغرقت، وقد دعا البخاري لقارئه وكان مجاب الدّعوة. ونقل عن الحافظ ابن كثير فقال: يستسقى بقراءته الغمام. وقيل فيه:

وهو الذي يتلى إذا خطب عرا ××× فتراه للمحذور أعظم دافع

وكان العبدوسي الفاسيّ الأصل التونسيّ يقرأ بتونس أيّام الاستسقاء جميع صحيح البخاريّ في اليوم الواحد يبدؤه صبحا ويختم ظهرا أو بعد الظهر، ولم تزل العادة بفاس جارية بقراءته في الأزمات والقحط وهو مجرّب منصوص عليه. ذكره في فتح المعالي. وفيه غير ذلك من المنافع والبركة نفعنا الله به وببركته ءآمين هـ.

تنبيه: ففي جميع قراءات الأحاديث يقرءون نفس الصلاة التي قدّمت أوّلا أمّا مع صحيح البخاري بعد انتهاء القارئ من الحديث الآخر من صحيح البخاري الذي هو : " حدّثني أحمد بن أشكاب حدّثنا محمد بن فضيل عن عمارة بن الفعفاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ كلمتان حبيبتان إلى الرحمان خفيفتان على اللّسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" يكرّر الجماعة لفظ: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم. مائة مرّة. مع رفع أصواتهم بهذا الذّكر الجليل وبعد المائة يسكت الناس ويقرأ القارئ المحدّث هذا الدّعاء المبارك وهو: { اللّهم إنّك عظيم الجلال كريم النّوال عميم الأنعام والإفضال تعطي قبل السّؤال لا تفيض بحار جودك على كثرة الطلاب والسؤال صرّفت العبيد فيما شئت من طاعة وعصيان وأدبار وإقبال وسّعت جميعهم بمواهب الإحسان وعوائد الأعمال فتباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام والبهاء والجمال يا من ليس له كفؤ و لا نظير و لا شبيه و لا مثال و لا وسيلة نتوجّه بها إليك ونطمع فيما نؤمّل لديك إلا بك فلا أحد أكرم منك عليك يا حيّ يا قيّم يا كريم يا علي يا كبير يا متعال قد انبسطت ءامالنا إذ مننت علينا بختم كتاب البخاري حديث نبيّك وحبيبك ورسولك الذي جعلته فاتحا لخزائن الرّحمة في الآخرة والأوّل وبلغت المتوسلين به والمتمسكين بسنته إلى كلّ مطلوب ومؤمل ونسألك اللّهم أن تصلّي عليه وعلى ءاله وصحبه أفضل صلاة وأكمل تسليم وأن تعطي كل واحد منّا سؤله فإنّك به عليم وأن تجود على جميعنا بواسع عطائك فإنّك ربّ كريم وأن تعود على إساءتنا بإحسانك فإنّك ذو فضل عظيم تغفر الذّنوب جميعا وأنت الغفور الرّحيم إن أعطيت كل مخلوق من مخلوقاتك سؤله وبلغت مأموله لا ينقص من خزائن رحمتك ذرّة و لا أدنى وإن قسمت جزءا من رحمتك على كلّ طائع وعاص ومسيء جرى بقدر ما يحسب آمال الجميع من عاص ومطيع فليس ذلك ببعيد على ءالائك الجميلة وعوائدك الحسنى فلك الغنى المطلق والفضل الكامل المحقّق وأنت بعبيدك وخلقك أرأف وأرحم ربنا ومولانا ليس لك في الإيجاد شريك و لا معين و لا معك فيما تفضلت به من الإمداد والإرشاد مسعد و لا معين أنت الله لا إله إلا أنت الواحد الصمد الملك الحق العدل المبين نسألك اللّهم كما مننت علينا بختم هذا الكتاب الشريف أن تمنّ علينا بالخاتمة الجميلة وأن تجعل ما استعملتنا فيه من القراءة والاستماع من أقوى السبب إلى نيل رضاك وأعظم الوسيلة وأن تبلّغ كلّ واحد منّا قصده منك وتأميله وأن تأخذ اللّهمّ بيد قارئه الذي تعدّدت بحمدك في قراءته ختماته وضعفت في مخالفة النّفس والهوى عزماته أخذا تنقله به إلى حالة ترضى عنه فيها وتنزله من مقامات التوفيق مقاما يقوم لك فيه بوظائف العبوديّة ويوفيها وتنزله إلى حرمك وحرم نبيّك حتى تنعم عينه بقرارها ونشفى نفسه بتشفيها اللّهم وكلّ مشتاق ممّن حضر أو غاب فأسألك عساك تيسّر له هذه البغية السنيّة وتسنّيها فإنّ ذلك عليك يسير وأنت على كلّ شيء قدير اللهمّ وعد على الجميع بإحسانك وإجمالك وجد على الكلّ بمواهب إنعامك وإفضالك يا ذا الفضل العظيم اللّهم إنّا نتوسّل إليك بما جمعه البخاري من أحاديث نبيّك الكريمة التي أجمع على صحّتها كافّة المسلمين وأعلام الهدى والدين أن تفرّج ما نزل بنا من الأزمّات والشدائد وأجبرنا بفضلك على ما عوّدتنا من عوائد الكرم وكرم العوائد اللّهم أجبر حالنا من لطفك الخفيّ وفضلك الخفيّ على حدّه المألوف ورسمه وفرّج عنّا ما نحن فيه من شدّة هذا الوقت وغمّه وضيقه وغلائه وعوّض لنا من الخير الجزيل والصّنع الجميل بأكمله

لديك وأعمه فإنّ أيدينا إليك ممتدّة وبيدك الرّخاء فأبدله لنا من الشدّة يا من بيده الرّخاء والشدّة اللّهمّ أنصر من قلّدته أمور عبادك المسلمين ووفقه لما يعود إليه بمصالح الدنيا والدين اللّهم اجعله مّن وضّح في الخير طريقه واستنارت في طرق السعادة هدايته وتوفيقه الإسلام على يديه ما عوّدته فعلى فضلك إنجاز الوعد وتحقيقه اللّهم كن له وليّا وظهيرا وفجّر له ينابيع جودك تفجيرا واجعل ثواب قيامه بأمر المسلمين و أمتعنا منه بحرمة الدّين نعيما عندك وملكا كبيرا اللّهم أنصر جيوش المسلمين وسرايا هم وعمّم برحمتك الوافية وعصمتك الواعية رعاتهم ورعاياهم وألّف بين قلوبهم برحمتك وعزّتك فأنت على كلّ شيء قدير يا نعم المولى ونعم النّصير إنّك ربّ الجميع ومعوّدا لكلّ الفضل الصنيع فأنت القريب المجيب السميع العليم لا إله إلاّ أنت يا أرحم الرّاحمين يا أكرم الأكرمين يا ربّ العالمين اللّهم كما أشهدتنا مواطن من ختم كتابك وختم هذا الكتاب الذي هو إلى التقرّب إليك من أعظم أبوابك فحقّق لنا ولآبائنا وأمّهاتنا وأجدادنا وإخواننا وأحبابنا وأشياخنا وأئمّتنا وأمرائنا ما نرجوه من كرم ثوابك ومن صلاح ديننا ودنيانا ما لا يتوقّع إلا من تلقائك وجنابك فأنت الذي تدعى وتملك ضرّا ونفعا ومجيب إذا دعاك وتكشف السّوء جمعا اللّهم لا تعدل بنا عن طاعتك طرفة عين واعصمنا من كلّ معصيّة وشين وانفعنا بما علّمتنا واجعله خالصا لوجهك سرّا وعلنا رفعتنا بفضلك فلا تضعنا اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا واغفر لمن حضر هذا المجلس ومن غاب عنه من إخواننا المؤمنين وأوسع الجميع فضلك ومنّك وفي الجنّة دار رحمتك فاجمعنا وبك نعوذ من النّار ونسألك البعد عنها فإنّك رب كريم جواد رحيم وصلّ وسلّم وبارك على سيّدنا ونبيّنا ومولانا محمّد خاتم النبيّين وإمام المرسلين وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين. اهـ.

ثالثا: صحيح مسلم أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ولد سنة 204هـ/ 819م وتوفي سنة 261هـ/ 874م. وقال الحافظ النيسابوري شيخ الحاكم: ما تحت أديم السّماء أصحّ من كتاب مسلم ولهذا الكتاب أيضا بركة عظيمة وفضائل لا تحصى فانظر في المطوّلات.

رابعا: سنن أبي داوود وهو لسليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني ولد سنة 202هـ/ 817م وتوفي بالبصرة سنة 275 هـ/ 888م وله فضائل أيضا.

خامسا: جامع الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ولد سنة 200 هـ/ 815م بترمذ وتوفي بها سنة 279 هـ/ 892م.

سادسا: كتاب المجتبى المعروف بالنسائيّ لأبي عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النّسائي. وكتابه هذا أكثر الكتب تكرارا ولد سنة 215هـ/ 830م ومات بمكّة سنة 303هـ/ 915م. وبلده الأصلي نسا.

سابعا: سنن المصطفى المعروف بسنن ابن ماجة وهو الإمام الحافظ المتفنن والفهّامة الفريد العلاّمة محمد بن يزيد أبو عبد الله بن ماجة القزويني المولود سنة 209 هـ/ 824م المتوفى سنة 273هـ/ 886م.

تنبيه: غالبا ما تجد لكلّ شيخ محدّث دعاء مستقلاّ يجمع فيه الدعوات الجامعة، وقد يكون أيضا دعاء طويلا قدر تسعة أو عشرة صفحات. لأنّ الدّعوات بعد ختم كتب الأحاديث مستجابة بلا شكّ وأشهر الدّعوات المستعملة المتوسّطة هو هذا:

{ بسم الله الرحمن الرّحيم اللّهمّ يا من احتجب عن العيون فلا يُرى* يا من أنبت النّبات والمرعى* يا من بيده نواصي الخلق جمعا * يا من أخرج من الأحشاء نسمة تسعى * يا من أضلّ وأهدى* يا من أفقر وأغنى * يا من أضحك وأبكى * يا من أمات وأحيى * يا من أغنى وأقنى * وخلق الذّكر والأنثى * يا من ليس له في ملكه وزير * و لا نائب و لا مشير * يا من ليس له حاجب فيقصد * و لا إله غيره فيعبد * يا جبّار الجبابرة * يا مبيد الأكاسرة * و يا قيّوم الدّنيا و الآخرة* يا من يجرى البحار الذّاخرة * يا من بسط الأرض ورفع السماوات * يا من أعطش اللّيالي المظلمات * يا من أبرق البروق اللاّمعات * يا من أوسع البراري المفقرات * يا

إله الأرض والسماوات * يا من أضرّ ونفع * يا من أمر الماء فنبع * والبرق فلمع * يا من تجلّى على الجبل فتدكدك وتقطّع*

اللّهم بعلمك المحيط* بالكرسيّ والعرش* يا رازق الطّير والوحش* يا ذا القوّة والبطش* يا من ليس له كفؤ و لا نظير* و لا شبيه * و لا مثال * و لا وسيلة نتوسّل بها إليك * ونطمع فيما نؤمّل لديك إلا بك * فلا أحد أكرم منك عليك * يا حيّ يا قيّوم يا كريم يا عليّ يا كبير يا متعال * قد انبسطت ءامالنا إذ مننت علينا بختم كتاب (هنا يذكر عنوان الكتاب) الذي جعلته فاتحا لخزائن الرّحمة في الآخرة والأولى * وبلغت المتوسّلين به * والمتمسّكين بسببه إلى كلّ مطلوب ومؤمّل* اللّهم كما مننت علينا بختم هذا الكتاب الشّريف أن تمنّ علينا بالخاتمة الجميلة وأن تجعل ما استعملتنا فيه من القراءة والإسماع من أقوى السبب إلى نيل رضاك*

اللّهم إنّا نتوسّل إليك بما جمعه هذا الكتاب من الأحاديث والمعجزات والكرامات والفضائل أن توفّقنا للعمل بما جاء فيه عنك من المواعظ والأحكام وبما رواه الأئمة الثّقاة عن رسولك وأن تجعله حجّة لنا و لا علينا في هذه الدّار وفي تلك الدّار* وتدرى على من ألّفه أو كتبه أو قرأه أو سمعه سحائب رحمتك ورضوانك وأن تكشف عنّا البلاء والوباء والغلاء والأمراض والأسقام وترشدنا إلى الطريق الواضحة والآثار اللاّئحة* اللّهم أنصر من نصر الدّين وأنصر الإسلام والمسلمين وشدّ قواعد هذا الدّين بالتأييد والتمكين وأن تجعل بالنّصر والفتح المبين لمن ولّيته أمور المسلمين* يا من أجاب نوحا في قومه* يا من نصر إبراهيم على أعدائه* يا من ردّ يوسف على يعقوب* يا من كشف الضّرّ عن أيّوب* يا من أجاب دعوة زكريّاء* يا من قبل تسبيح يونس بن متى* **نسألك** اللّهم بأسرار أصحاب هذه الدّعوات المستجابات أن تقبل ما به دعوناك وأن تعطينا ما سألناك يا الله أنجز لنا ما وعدك الذي وعدته لعبادك المؤمنين لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظّالمين انقطعت ءامالنا وعزّتك إلا منك وخاب رجاءنا وحقّك إلا فيك وحسبنا الله ونعم الوكيل* اللّهم اغفر لنا ولوالدينا ومشائخنا ولأصحاب الحقوق علينا.

اللّهم ألّف بين قلوبنا واصلح ذات بيننا واهدنا سبل السلام وأخرجنا من الظّلمات إلى النذور وجنّبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن واجعل بلدنا هذا بلدا آمنا مطمئنّا وسائر بلاد المسلمين آمين يا ربّ العالمين*

اللّهمّ أنصر من نصر الدين وأخذل من خذل المسلمين آمين يا رب العالمين سبحانك ربّك رب العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. اهـ.

ثامنا: كتاب الشّفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبيّ المولود 496هـ/ 1102م، المتوفى عام 544هـ/ 1149م. وهذا الكتاب مستعمل جدّا وبكثرة هنا حتّى قيل في المثَل في حقّه: لولا الشّفا ما عُرف المصطفى. ويقرأ هذا الكتاب عادة في شهر رمضان فقط مساء بعد العصر إلى قرب المغرب، بحيث يستلذّ السامعون بقراءته لأنّ أغلبهم أيضا صائمون. وجزّءوا الكتاب ثلاثين جزءا على حسب أيام الشّهر مع مراعاة الوقت الذي يقرأ فيه بحيث ينتهي سرده، وبعد دقائق يؤذّن للمغرب.

ولهذا الكتاب بركة عظيمة. وذكر في ترجمة سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي أنّه كان يقول: " من أصابه مرض فليزن نصّ الشّفا للقاضي عياض بالماء ويشربه ولقد أخبرني من أثق به من الإخوان أنّه فعله لبعض إخوانه كان مريضا فشفاه الله تعالى" وفيه غير ذلك نفعنا الله به وببركته آمين.

ولهذا الكتاب حالة أخرى تختلف مع غيره من الكتب المذكورة، فبدلا من الصلاة المذكورة التي تقرأ بعد الختم يقرءون جميعا أعني الحاضرين والقارئ والمحدّث كلّ مساء هذا الدّعاء النافع وهو:

{ **اللّهمّ إنّا نتوسّل** إليك بكتاب الشّفا وبجميع رواته وبما فيه من الخصائص والمعجزات وبمؤلّفه القاضي أبي الفضل عياض وبمحمّدﷺ نبيّ الرّحمة وبكرامة عمّه العبّاس بن عبد المطلب وبحرمة أصحابه وبحرمة الشيخين أبي بكر وعمر(أمنّا يا مولانا من جميع ما نخاف منه ونحذر ـ ثلاثاـ)إنّك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير. اللّهمّ اجعلنا بالصّلاة عليه من الفائزين وعلى

حوضه من الواردين الشاربين وبسنّته وطاعته من التابعين العاملين. وشفّعه فينا وفي آبائنا وأمّهاتنا وأسلافنا وأزواجنا وذرّيتنا واخوتنا نسبا وصهرا وصداقة وأصرف عنّا ما نستحقّه بعدلك اللّهمّ به توسّلنا إليك فأعذنا من الخزي والفضيحة والأفعال الشّنيعة القبيحة بمنّك وفضلك يا مالك يوم الدّين ويا غافر زلاّت المذنبين و يا مقيل عثرات المسيئين آمين يا ربّ العالمين. اللّهمّ تقبّل صيامنا وقيامنا واغفر ذنوبنا وآثامنا إلهنا لا تجعل حظّنا الجوع ولا العطش من صيامنا و لا السّهر والتّعب من قيامنا و لا تخيّبنا من فضل ليلة القدر وبركاتها وأفض علينا من سوابغ نعمها وخيراتها واجعل حظّنا من بركاتها حظّا موفورا وذنبنا الذي عملته أيدينا مغفورا وسعينا سعيا مشكورا وتوكّل على الحيّ الذي لا يموت وسبّح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا. اللّهمّ إنّا نعوذ بك أن ينسلخ رمضان عنّا وأنت لم تغفر لنا ونسألك اللّهمّ أن لا ينسلخ إلاّ وأنت قد غفرت لنا أجمعين بمنّك وفضلك آمين يا ربّ العالمين إنّ الله وملائكته يصلّون على النّبي يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما اللّهمّ صلّ وسلّم وبارك وكرّم على سيّدنا ونبيّنا ومولانا محمّد النّبي المصطفى الكريم وعلى ءاله وصحبه وسلّم تسليما سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين. اهـ.

تنبيهات في بعض حيويّة المجالس

التنبيه الأوّل: قراءة الحديث تكون في شهر رجب وتاليه وهما شعبان ورمضان. فيقولون أن شهر رجب شهر الله وشعبان شهر نبيّه محمّد ﷺ ورمضان شهر أمّته، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله لذلك قسّموه على 87 وقفا تنتهي 27 من رمضان.

التنبيه الثاني: أنّ ليوم ختم الحديث حفلة كبيرة فهو يوم عيد عند التنبكتيّين. فتراهم يلبسون الملابس الحسنة ويدعون جميع الأمراء وأعيان أهل المدينة ويخصّهم بالدّعوة، وطلبة العلم وأساتذتهم وقرّاء القرآن بل وجميع أهل العلم أو من ينسب إليه أو يشتغل به. وبعد الختم والفاتحة يوزّعون على الحاضرين التّمرات والحلواء والغُورُ وهو من نبات السّودان تمضغ للشّهوة وقال فيه الشّيخ دكوري المرجيّ في منظومته:

وَكَّورُ مِنْ فَوَاكِهِ السُّودَانِ *** وَقَدْ أُبِيحَ صَاحِ فِي الْقُرْآنِ

ومنهم من يحضر في المجلس ظروفا فيها طيب يقدّمونها للقارئ لينفث عليها كما يفعل بغيرها من المذكورات. وينفث أيضا على ماء في غرّافة متوسّطة توزّع على الجيران والأولاد الصّغار والنّساء وهذا كلّه للتبرّك بحديث رسول الله ﷺ. ثمّ في نفس المجلس يأتون بالأطعمة اللّذيذة المتنوّعة ويكثرون من الصّدقة وهذه الوليمة معروفة جدّا حتّى أنّ بعضهم عند انتهاء تأليف في الحديث أو شرح يقومون بوليمة كبيرة. وقد فعل ذلك الشّيخ العسقلاني شارح البخاريّ يوم ختم شرحه.

التنبيه الثّالث: في فوائد النّفث المذكور آنفا لأنّه أمر مستعمل جدّا هنا وشاع وذاع عند قراءة القرآن والحديث وغيرهما و لابدّ لنا من ذكر طرف من فوائد الإخوان لتعمّ الفائدة إن شاء الله: قال في المصباح نفثه من فيه نفثا من باب ضرب رمى به ونفث إذا بزق ومنه من يقول إذا بزق و لا ريق معه. ونفث في العقدة عند الرّقى وهو البصاق اليسير.اهـ. وفي لسان العرب النفث أقلّ من التفل لأنّ التفل لا يكون إلاّ ومعه شيء من الرّيق والنّفث شبيه بالنفخ، وقيل هو التفل بعينه نفث الراقي. وفي الحديث كان ﷺ إذا آوى إلى فراشه يجمع كفّيه ويقرأ الإخلاص والمعوّذتين ثم ينفث فيهما ويمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده ويصنع ذلك ثلاث مرات.

وفي منتقى الأخبار عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوّذات فلمّا مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه لأنّها أعظم بركة من يدي. متّفق عليه.

وفي نيل الأوطار للشوكاني عند قوله (نفث) قال: النّفث نفخ لطيف بلا ريق وفيه استحباب النفث في الرّقيّة. قال النّووي: وقد أجمعوا على جوازه واستحبّه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. قال القاضي و أنكر جماعة النفث في الرّقى وأجازوا فيها النّفخ بلا ريق.

قال وهذا هو المذهب. وقال أبو عبيدة يشترط في التفل وديق يسير و لا يكون في النّفث. وقيل عكسه. قال: وسئلت عائشة عن نفث النبي ﷺ في الرّقية فقالت: كما ينفث آكل الزّبيب لا ريق معه و لا اعتبار بما يخرج معه من بلّة و لا يقصد ذلك. اهـ المراد. وفي سعادة الدّارين للنبهاني: وقال ابن الحاج: وأما النّفث عقيب الرقى فهو مستحبّ. قال القاضي عياض رحمه الله وفائدة النّفث التبرّك بتلك الرّطوبة أو الهواء والنفس المباشر للرّقية والذّكر الحسن كما يتبرّك بغسالة ما يكتب من الذّكر والأسماء الحسنى. قال ابن أبي جمرة: محلّ التّفل في الرّقية يكون بعد القراءة لتحصل بركة القراءة في الجوارح التي يمر عليها الرّيق. اهـ. فبهذه اللّمحة يعرف القارئ أنّ العلماء يقتدون برسول الله ﷺ في جميع أفعاله ولا شكّ أنّ هذه الإشارات كافية فقّهنا الله و رزقنا التوفيق. آمين اهـ.

التنبيه الرابع: عرفت هذه المدينة دورا هامّا بكثرة قراءة القرآن والدّعوات والأذكار والصّلاة على النّبي ﷺ وكثرة الصّدقات خاصّة لطرد المصائب والبلواء والآفات والعاهات وغيرها عن ساكنها وعنها. و لا شكّ أنّ بركة هذه المذكورات أثّرت وعمّت المدينة وانتفعت الأمة التنبكتية بها إن شاء الله.

و لا يخفى على أحد أنّ للدعاء فضلا كبيرا ومنافع لا تحصى. وقد حضّ سبحانه عليها بقوله {أدعوني أستجب لكم}. والآيات القرآنيّة الدّالّة على فضل الدّعاء ومنافعه كثيرة. وفي الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النّبي ﷺ قال: الدعاء هو العبادة ثمّ قرأ: { وقال ربّكم ادعوني استجب لكم إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين}. رواه الترمذي وأبو داوود.

وعن أبي هريرةﷺ عن النّبي ﷺ قال: ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدّعاء. رواه الترمذي والأمام أحمد والحاكم بسند صحيح.

وعنه عن النّبي ﷺ قال: من سرّه أن يستجيب الله له عند الشّدائد والكرب فليكثر الدّعاء في الرّخاء.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيﷺ، قال: إنّ الدعاء ينفع ممّا نزل ومّا ينزل فعليكم عباد الله بالدّعاء.

وفي غاية المأمول على التاج الجامع للأصول عند هذا الحديث [فبكثرة الدّعاء والتفويض إلى الله تعالى بالاسترجاع والحوقلة ونحوهما يخف ما نزل من البلاء ويرضى به فيرضى الله عنه ونفعه ممّا لم ينزل تخفيفه وتلطيفه كما في معنى الحديث: ينزل البلاء فتلقاه الصّدقة فيتعالجان (أي يريد البلاء أن ينزل فتمنعه الصّدقة) حتّى ينزل البلاء قطعا صغيرة.

وكما أنّ الدّعاء تردّ القضاء فكذلك أيضا الصّدقة تدفع البلاء فأنظر في كتب الأحاديث ما قيل في الصّدقة تجد ما فيه كفاية وافية.

ولهذا السبب كوّنوا منهجا على هذا المنوال التالي. وهذا المنهج تختلف بين الحومتين جنـگري بار وباجندي وبين حومة سنكوري.

فعند أهل سنكوري يبتدأ ون قراءة القرآن من يوم 27 سبع وعشرين من ذي الحجّة إلى عاشوراء وهو اليوم العاشر من شهر المحرّم. فللصّباح ختمة، وللمساء ختمة. فالقراءة في الصّباح عند شيخهم وفي المساء في المسجد وهكذا إلى اليوم المعيّن للختم.

وعند أهل جنـگري بار وباجندي نفس الشيء ولكنّهم يبتدئون التّلاوة أول يوم من محرّم ويختمون في عاشوراء. وعندهم أيضا في الصباح ختمة وفي المساء ختمة.

ووليمة كبيرة تقام عند كلّ فرقة في حومتها ويطعمون فيها الفقراء ويدخل في قلوبهم السّرور ويوزّعون عليهم الملابس والهدايا، ويكثرون أيضا من الدّعاء ويعكفون عليه لدفع المضرة وجلب المنفعة للمدينة ولأهلها.

التنبيه الخامس: اللّطفيّة في يوم عاشوراء لجلب المصلحة ولدفع المضرّة للمدينة. فهذه كيف تكون؟

يختارون بينهم بعض الصلحاء الصّوفيين حتّى يكوّنوا فرقة متوسّطة ويجمعونهم في موضع معيّن. وهؤلاء بعد الشّروع في أمرهم يذكرون الاستغفار ويستكثرون منه ثمّ الصّلاة على النّبي ﷺ بالصّلوات الواردة عنه ﷺ المذكورة في كتب الأحاديث ثمّ يشرعون في ذكر اسم الله تعالى {لطيف} على عدد معروف ومشهور عندهم يعرف بـــ [أمخوي] وهو [641 16] ستة عشر ألفا وستمائة وواحد وأربعون. وهذا لجلب المصلحة ودفع المضرّة عن المدينة. فعند الدعاء للجلب يرفعون أيديهم وبطونهم نحو السماء وهذا اقتداء بما قال أبو موسى ﷺ: دعا النبيّ ﷺ ثمّ رفع يديه ورأيت بياض إبطيه. رواه البخاري. وعن ابن عباس، رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: لا تستروا الجدر من ينظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار سلوا الله ببطون أكفّكم و لا تسألوه بظهورها فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم. رواه أبو داوود.

وفي غاية المأمول عند هذا الحديث ما نصّه: سلوا الله ببطون أكفّكم كمن يأخذ شيئا وهذا في طلب المحبوب بخلاف طلب صرف المكروه فإنّه يجعل ظهر كفّيه إلى السّماء تفاؤلا في الأوّل بحصول المأمول وفي الثّاني بدفع المحذور. اهـ. والخلاصة فيما تقدّم أنّ في الجلب يرفعون بطون أكفّهم وفي الدّفع بالعكس ورجّح هذا الشيخ العالم العلامة السيد عبد القادر الفاسي الصّغرى في أجوبته ونصّها:

المسألة الخامسة والأربعون: رفع اليدين وقراءة الفاتحة كنتُ سألت خالنا العالم العلامة المحقّق حجّة زمانه أبا عبد الله محمد العربي رحمه الله تعالى ورضي عنه عن كيفيّة الرّفع فأجابني مشافهة وبيّنها لي إلاّ أنّه كان وجه لي مسح الوجهين باليدين بعد الفراغ من الدّعاء أو قراءة الفاتحة و أنسيته الآن ولم أقيّده في الحين فأردت من فضلكم أن تذكروا لي ذلك. وقد رأيت النّاس إذا فرغوا من الدعاء أو قراءة الفاتحة مسحوا الكفّ بالكفّ وبعد ذلك يمسحون وجوههم بأيديهم وربّما مسح بعض وجهه بيد واحدة أذكر لي حكم ذلك من جواز ومنع أو خلاف الأولى لأني لم أسأل عن هذا خالنا المذكور رحمه الله. **الجواب:** أمّا كيفية رفع اليدين في الدّعاء فالذي جرى به عمل النّاس قديما وحديثا أن يكون بطون الكفّين إلى الوجه وظهورهما إلى الأرض. قال العلقمي على حديث الجامع إذا دعوت الله فادع ببطن كفيك ما نصّه: قال الدميري رواه أبو داوود. ثم قال أبو داوود هذا الحديث روي من غير وجه عن محمد بن كعب كلّها واهية هذا مثلها وهو ضعيف أيضا. اهـ. قال السيوطي: قال ابن حجر هذا حديث حسن ورد في حديث الحاكم معناه وهو صحيح وكيفية ذلك أن يجعل بطن الكفّ إلى الوجه وظهره إلى الأرض هذا هو السّنّة نعم ان اشتدّ أمر كرفع بلاء أو قحط أو غلاء أو نحو ذلك جعل ظهورهما إلى السماء وهو المراد بقوله تعالى: يدعوننا رغبا ورهبا. قال العلماء الرغب بسط الأيدي وظهورهما إلى الأرض والرّهب بسطهما وظهورهما إلى السماء. اهـ المراد من المطلوب.

ونظّم هذه الأجوبة القيّمة الشيخ العالم العلامة محمد فضل الله بن أيّد بن ونّاس الجكني أصلا الوسري دارا ومنشئا فقال:

وقد جرى العمل باليقـــــــــين	بين الورى بالرّفع باليدين
فالبطن للوجه وظـــــهر للملا	ما لم يكن لدفع ضر قل فلا
فالبــطن للأرض وللسّمـــــــاء	ظهر كما في القحط والغلاء
وضمّ الابهام إلى السّبابة	وسوّ كفّيك ترى الإجابة
وبهما امسح وجهك الجبينا	لبركات نزلت يقينا
والنّفث ثابت في بعض الطّرق	وساقط في بعضها فحقّق
كرهه الضّحّاك والنّخعي	يا ليت شعري ما الذي مرضي
ومسح كفّك بكفّ مّا ورد	لكنّه من التبرّك يعد
ومسح وجهك بكفّ واحد	من الرّقى يعدّ فاقف واعدد

لماذا خصّصوا هذه الجماعة بهذا الذّكر؟

اعلم أن الذّكر أشرف العبادات وله آدابه الخاصّة. ولشرفه لا بدّ للذّاكر أن يكون عالما بأحواله يراقب مولاه في جميع تحرّكاته. ويشتغل بالذّكر ويستحضر جوارحه فيه. ولا بدّ له أيضا أن يلاحظ معاني الأذكار. وقد قيل:

وقول لا إله إلا الله *** لم تدر ما هناك آه آه

و لا شكّ أنّ هذه الجماعة المختارة قد تمكّنوا من جميع الشروط المطلوبة في الذّكر حتّى لا تخفى عليهم شيء منها كتصحيح الألفاظ والإتيان بالكلمة على ما يطابق قانونها الشّرعي من مدّ الممدود وقصر المقصور بل توفية كلّ كلمة ما تستحقّه من ذلك فإن الإخلال بشيء من تلك الإشارات قد تؤدي إلى عدم اعتبارها شرعا وعدم الإثابة عليها. فيفهم من هذا أيضا أنهم ما يعبدون الله بالجهل بل بالعلم والعمل به.

فالنّصيحة للإخوان أن يراجعوا كتب الصوفيين ويتعلموا واجباتهم ويخرجوا من دائرة الجهل ويتأدّبوا بآداب الإسلام لتشرق قلوبهم بنور الإيمان والإسلام ومن لم يتعلم ذلك خيف عليه من حرمان لذّة الذّكر. وإنّما أشرت في هذه اللحظة بهذه الجملة لما شاع بين الإخوان بالاشتغال بكثرة الذّكر مع جهل المهمّ هدانا الله وإياهم ووفّقنا لما فيه رضاه آمين.

وهذه الأذكار تكون بالسّبحة فما فائدة السبحة؟

فالسبحة لها فائدة مهمّة وفي المنتقى في باب جواز عقد التسبيح باليد وعدّه بالنوى ونحو:

1- عن بسيرة وكانت من المهاجرات قالت: قال لنا رسول الله ﷺ عليكنّ بالتهليل والتسبيح والتقديس ولا تغفلن فتنسين الرّحمة واعقدن بالأنامل فإنّهنّ مسؤولات مستنطقات. رواه أحمد والترمذي وأبو داوود.

2- وعن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل...الخ الحديث رواه أبو داوود والترمذي.

3- وعن صفية قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وبين يديّ أربعة آلاف نواة أسبّح بها، فقال لقد سبّحت بهذا ألا أعلمّكِ بأكثر ممّا سبّحت به فقالت علمني فقال قولي سبحان الله عدد خلقه. رواه الترمذي.

وقال شارحه الشوكاني في الجزء الثاني من نيل الأوطار على منتقى الأخبار ما نصّه: والحديث الأوّل يدلّ على مشروعية عقد الأنامل بالتسبيح. وقد أخرج أبو داوود والترمذي وحسّنه والنسائي والحاكم وصحّحه عن ابن عمر وأنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح" زاد في رواية لأبي داوود وغيره بيمينه. وقد علّل رسول الله ﷺ ذلك في حديث الباب بأن الأنامل مسؤولات مستنطقات. يعني أنّه يشهدن بذلك فكان عقدهن بالتسبيح من هذه الحيثية أولى من السبحة والحصى.

والحديثان الآخران: يدلاّن على جواز عدّ التسبيح بالنّوى والحصى وكذا بالسّبحة لعدم الفارق لتقريره ﷺ للمرأتين على ذلك وعدم إنكاره والإرشاد إلى ما هو أفضل لا ينافي الجواز. وقد وردت بذلك آثار. ففي جزء هلال الحفار من طريق معتمر بن سليمان عن أبي صفيّة مولى النّبي ﷺ أنّه كان يوضع له نطع ويجاء بزنبيل فيه حصى فيسبّح حتّى يمسي. وأخرجه الإمام أحمد في الزّهد قال: حدّثنا عبد الواحد بن زياد عن يونس بن عبيد عن أمّه قالت: رأيت أبا صفية رجلا من أصحاب النبيّ ﷺ وكان خازنا قالت فكان يسبّح بالحصى. وأخرج ابن سعد عن حكيم بن الديلمي أنّ سعد بن أبي وقاص كان يسبّح بالحصى. وقال ابن سعد في الطبقات أخبرنا عبد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن جابر عن امرأة خدمته عن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب أنّها كانت تسبّح بخيط معقود فيه. وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزّهد عن أبي هريرة أنّه كان له خيط فيه ألف عقدة فلا ينام حتى يسبّح. وأخرج أحمد في الزّهد عن القاسم بن عبد الرحمان قال كان لأبي الدرداء نوى من العجوة في كيس فكان إذا صلى الغداة أخرجها واحدة واحدة يسبّح بهنّ حتى ينفذهن. وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة أنّه كان يسبّح

بالنّوى المجموع. وورد عن عليّ رضي الله عنه مرفوعا: نعم المذكّر السّبحة. اهـ المراد من الشوكاني.

وفي غاية المأمول: " أن عدّ التسبيح ونحوه مستحبّ لمعرفة العدد المطلوب كما سبق في الذّكر عقب الصّلاة من كتاب الصّلاة وكما يأتي في الذّكر والتسبيح عقب الصلاة، ومن هذا اتخذوا السّبحة. فإنّ النبي ﷺ أقرّ العدّ على النّوى فالسبحة أولى فهي جائزة بل مستحبّة لأنّها أسهل وأضبط للعدّ من غيرها والله أعلم" اهـ.

و لا شكّ أنّ هذه السطرات كافية وافية للمطلوب إن شاء الله.

التنبيه السادس: ولنفس الأمر قد كان في قديم الزّمان لكل حومة مكان خاص يجتمع فيه أهل تلك الحومة مسائيا بعد رجوعهم من المصانع والورشات يستريحون فيه. وبعد صلاتهم للمغرب ينشدون قصيدة الإمام سيّدي محمّد بن عبد السلام الدرعيّ ومطلعها:

يا من إلى رحمته المفرّ ومن إليه يلجأ المضطرّ

ويا قريب العفو يا مولاه ويا مغيث كلّ من دعاه

بك استغثنا يا مغيث الضّعفا وحسبنا يا ربّ أنت وكفى

إلى آخرها وهي طويلة وعدد أبياتها واحد وسبعون 71. فقد جمع ناظمها فيها خيري الدنيا والآخرة نفعنا الله بها. فلا ترى فلاّحا و لا حمّالا ولا إسكافا إلاّ وهو حافظ لهذه المنظومة المباركة. اهـ

دور التفسير

وبعد أن بسطنا الكلام حول مجالس الذّكر وحيويتها فالآن نتابع مع تفسير كتاب الله العزيز. وكيف يكون ذلك؟

قد كان تفسير كتاب الله في موضع معيّن يحضر له جميع علماء الحديث لا غير، وربّما يخرجون خارج القرية وهذا كلّه ليجتنبوا حضور العوام فيه، امتثالا لما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحّاك عن ابن عباس قال: القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايته فمن أوغل فيه برفق نجا ومن أوغل فيه نعنف هوى، أخبار وأمثال وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وظهر وبطن فظهره التلاوة وبطنه التأويل فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء. هـ.

فمجلس التفسير كمجلس الحديث ، مجلس خشية واحترام وسكينة وأدب مع الله ورسوله بحيث لا يقول أحد منهم قال رسول الله ﷺ بدون أن يسندوا القول إلى الرّاوي كما هو أدب التابعين ومن تبعهم كما ورد في سنن ابن ماجه في الباب الثالث منه في التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ (عن عمر بن ميمون قال ما أخطاني ابن مسعود عشية خميس إلاّ أتيته فيه قال فما سمعته يقول بشيء قطّ قال رسول الله ﷺ فلمّا كان ذات عشيّة قال: قال رسول الله ﷺ قال فنكس قال: فنظرت إليه فهو قائم محلّلة أزراه قميصه قد اغرورقت عيناه وانتفخت أوداجه. قال أو دون ذلك، أو فوق ذلك، أو قريبا من ذلك أو شبيها بذلك).(وعن محمد بن سيرين قال كان أنس بن مالك إذا حدّث عن رسول الله ﷺ حديثا ففرغ منه قال أو كما قال رسول الله ﷺ). وأشار إلى ذلك الفقيه سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي في طلعة الأنوار:

ولا يقول مسلم قال النبي بلا رواية لخوف الكذب

وخوفا من حديث (من كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النّار).

هذه الطريقة التي ذكرناها آنفا في التّفسير هي الطريقة التّعليميّة لفحول المحدّثين فقط بحضرة شيخهم أو أشياخهم فلو حضره العاميّ لا يستفيد لقلّة مستواه. لأنّهم في هذا المجلس الخصوصيّ ينظرون أوّلا في أساليب الآيات ومعانيها، وما اشتملت عليه من البلاغة وإعرابها وتتبّع القصص، والسّيَر وغريبها والاصطلاحات واستخراج الأحكام الشرعية وأصول العقائد والمواعظ والإشارة وغيرها ممّا يحتاج إلى البحث.

فهذا المجلس يتولّد منه العلم وتتساقط فيه الحكمة ويفوح بل يفور منه العبر والاعتبار، لأنّ المحاورة والمحاضرة والمناقشة أعمدة لكشف ما تكنّ في الموضوع. ولهذا قيل إنّهم كانوا يعكفون أياما على آية واحدة أو شهرا.

وطريقة الذين أدركنا أو أدركنا من أدركهم هي طريقة الحاكي، إذ يحكي كلام غيره وهذا للعوام خلاف ما تقدّم. ولهذا أيضا يحضر هؤلاء المذكورين.

فيكوّن أمام الشيخ فرقة في وسط المجلس وفي يد كل فرد من هذه الفرقة من المحدّثين تفسير غير الذي عند الآخر كما يفعلون في الحديث. مثلا هذا يتابع في تفسير الطّبري، وهذا مع الزمخشري، وهذا مع ابن جزي، وهذا مع ابن كثير، وهذا مع زاد المسير، وهذا مع القرطبي، وهذا مع الصّاوي، وهذا مع سليمان الجمل...

وكلّ واحد مستعدّ ومتهيئ عندما يأمره الشيخ بقراءة الموضع الذي تحل المشكلة أو تعرب الكلمة أو تصرّفها...

ومن وجّه للشّيخ سؤالا، يأمر الشيخ في الحين صاحب التفسير الفلاني أن يقرأ الموضع الفلاني ففيه الجواب الكافي لحلّ مشكلة هذا السائل.

ومن هنا يتحقق من غير شكّ و لا ريب أنّ هذا الشيخ الذي بين يديه هذه الطلبة بحر لا ساحل له؛ حيث يقرأ نصّ التّفاسير كأنّه بين عينيه ويعرف قول كلّ مفسّر ومدخله ومقصوده. " ذلك فضل الله يوتيه من يشاء". " ومن يوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا".

نعم، لله درُّهم! قد كانوا يحفظون كتب الأحاديث والفقه والعلوم الأخرى عن ظهر قلب من غير أن يخلّطوا بين حدّثنا وأخبرنا وأنبأنا، وكان منهم من يحفظ القاموس المحيط كلّه ونصوص كتب الفقه، وشاهدنا من يحفظ تفسير الجلالين ويدرسه كما يدرّس الطلبة سور القرآن وغير ذلك ممّا بلغنا وشاهدنا رحمهم الله ونفعنا بعلومهم آمين.

تنبكتو وعلاقاتها بالمدن الأخرى

و لا شك أنّ ازدحام الطلبة حول الشيخ مما يسبّب العلاقة بين النّاس وحيث أنّ المدينة مدينة الثّقافة الإسلامية والعربية لوحظ أنّ كثيرا من تقاليد أهلها عربية وإسلامية وأفريقية، فهذه أدلّة على علاقتها مع المدن الأخرى لأنّها أيضا مركز العلوم وملتقى القبائل كلّها وهذه العلاقة تحتوي على النقاط التالية: علاقة دينية إسلامية، علاقة عرقيّة، علاقة عربية وفنيّة واشتراكيّة وحبيّة وثقافيّة واقتصاديّة وعلميّة وأدبيّة وشعريّة وصوفيّة وسياسيّة وتجاريّة.

ولكلّ واحد من هذه العلاقات لها أدلّة واضحة تبرهنها، أشارت إليها كتب التاريخ والرّسائل وتقاييد العلماء فلا شكّ لو تتبعناها لخرجنا من المقصود ومن أراد الاطلاع على حقيقته فعليه بالنّظر في حياة جامعة سنكري ورحلة ابن بطوطة ومجيء الصقلي وكيف وصل إلى تنبكتو، وكذلك صاحب تاريخ السودان والنّظر في ترتيب الأئمة في المساجد وتقاييد أحمد بابا والمغيلي وسيد عبد الله البلبالي ومخلوف البلبالي وما ذكره السيوطي في الحاوي في الأسئلة الواردة من التكرور ورسائل العلماء والأمراء والسلاطين بينهم والكتب المدروسة والطرق الصوفية كالقادرية والشاذلية والتجانية وبناء الزّوايا مما ربطت بين الشعوب ارتباطا متينا وكذلك العلاقات بالإجازات العلمية وكتب النّوازل الفقهية والعلاقات التّجارية فيستخلص من هذه العلاقات بفروعها المتنوّعة بين تنبكتو وتونس مثل قيروان وليبيا مثل زاوية وغدامس ومصرات ومرزوق وفزان والكوفر ومرس وفي الجزائر مثل اتوات وفي المغرب مثل فاس ومراكش ومكناس وطنجة ودرع وفي موريتانيا مثل تيشيت وولات ونعم وبوتلميت وفي مصر مثل القاهرة وفي العراق مثل بغداد وفي الحجاز مثل الحرمين ونيجيريا مثل سوكوتو وكتشنة وكنو وبرنو وفي اتشاد كذلك والسنغال مثل كولخ والسودان وغيرهما مثل كانم يذكر أنه في اتشاد وفي السودان والله أعلم فهذه أدلّة يحتاج إلى التّفاصيل وليس غرضنا التّطويل خوف الخروج من المقصود وبالله التوفيق.

علماء تنبكتو والمخطوطات

من المفروض أن نقيّد للقارئ الكريم المادح للنبي ﷺ نبذة بسيطة حول المخطوطات وانتشارها وأهمّيتها. فلا شكّ أن ّكل مكان كانت فيه جامعة من الواجب أن يكون المخطوطات فيه متوفّرة وكثيرة إذ الكتاب هو سفينة الطالب وبصارتيه فلا يجاوز البحور إلا بها وإذا قلت المخطوطات أعني به الرّسائل والوثائق ولا توجد عن أمّة مخطوطة إلا قد توفّرت لديها أدوات مثل مواد يكتب عليها وأدوات يكتب بها ورجال يمارسون الكتابة وعلماء ينشرون ورجال يهتمون بحفظ هذا التراث وتشجيع النّاس على تدوينه وقد قيل في المثل السائر" وكل علم ليس في القرطاس ضاع"

والذي ينبغي التنبيه عليه أن معظم المخطوطات في تنبكتو نسخت في القرن التاسع عشر الميلادي أو قبله بقليل فلذلك تعتبر أنّ الأوراق مستوردة من الخارج عن طريق القوافل عبر الصّحراء وعن طريق البحر وهذه الأوراق من صناعة الأوروبيين. ويعرف من بين هذه المخطوطات أنواع الخطوط كالخطّ السّوقي والخطّ المغربي والخطّ الشرقي والخط السّوداني ويشمل الخط السّوداني (السنغاي ـ الفلاني ـ الهوصي) ثم الخطّ الصحراوي وليست من الغرابة أن ترى سودانيا أصلا يكتب بالخط المغربي أو غيره يكتب بخط يخالف خطوط جنسه وقد يتلمذ فلانيا عند صحراوي فيرث خطّه وهكذا.

وللدواة يستعملون مواد مختلفة كالشعر المحروق وصدأ الحديد والزعفران وشجرة يقال لها (تَنَلَ) تأكلها الأرانب تنبت على حافتي النّهر غالبا والعلك والحموم وغيرها.

والأقلام يصنع من حشيش قويّ تنبت في الصحراء لو وضعته في ماء ومكث فيه زمنا لا يؤثر فيه الماء و لا يكون باليا ومنهم من يستعمل غير ذلك وهذا غالبا عند من هو بعيد عن الصّحراء وقريب من البحر.

وللنسّاخ استراتيجية ناجحة لتسطير الأوراق فمن أمعن النّظر في المخطوطات يرى النّماذج في بعضها.

والممحاة عند الخطّاط هو الموسي أو السكّين فقط لا غير قد لا يحسنون الشّطب ولهم إرشادات كثيرة تلاحظ على حواشي المخطوطات وعلى بعض الكلمات مثل (خـ) يدلّ على نسخة و(عـ) معناه لعل و(ص) أي الصواب ولهم أدلة يعتمدون عليها لذلك أنظر تدريب الراوي للإمام النّووي وكذلك (بيـ) أي بيان و(ظ) ظاهر و(+) غير مفهوم و (ت وق) تقديم وتأخير وفي بعض الأحيان (ش) للشرح و(ص) للنّص إذا كان ملوّنا.

والزخارف قد لا توجد إلا في المصاحف والتهاليل وكتب الأذكار والصلوات وكذلك التهذيب.

وأما التجليد فهذا غالبا للفنّيات فهن يتولّين تجليد الكتب وقد يتولاه غيرهن من الرّجال وعند الفولانيين صناع الأحذية.

و لا رقم للمخطوطات كما هو معلوم اليوم ففي آخر الصفحة يشيرون بكلمة وهي أوّل كلمة توجد على الصّفحة التّالية.

و على هذا نرى أنّ المخطوطات قد انتشرت انتشارا لا حدّ له فقد أشار أحمد بابا في كفاية المحتاج:" وأنا أقلّ عشيرتي كتبا نهب لي ألف وستمائة مجلّد".

فقد كثرت المخطوطات حتى في اللغات المحليّة وقد أشار بعض كتب التاريخ أنّ للشيخ سيد محمود قاموسا باللغة السودان أي السنغاي.

والحاصل أن العلماء كتبوا كثيرا حتى بعد انفجار المغاربة للمنطقة فلذا لا ترى كتابا إلا تجد أنّ العلماء علّقوا عليه أو شرحوه وهكذا وحتى بعض السلاطين يحرّضون الناس ويشجّعونهم على التأليف وعلى طريق المثال اقتراح الأمير موسى سلطان مالي ملك السودان للشيخ محمد المصريّ بشرح مختصر الطليطلي.

وقد انتشرت المخطوطات أيضا بما في النّسخ من الرّبح الرّائج الرّابح الرابح الرائح لذلك كانت مهنة التنسيخ مهنة رائجة جدّا. وقد أشار الوزاني على هذا أنظره وحتى النسّاخ الذين أدركنا أو أدركنا من أدركهم يربحون ربحا رائجا في النسخ وأنا لله الحمد والشّكر مهنتي الأُولى والأَوْلى هي نسخ المخطوطات وقد رأينا ما فيه من البركة إذ بركته الاستفادة مما تكتب والمطالعة لنموّ الثّقافة والحصول على المادة وتأسيس التعارف بينك وبين الذين يطلعون على الكتاب وغيرها من المنافع و لله الحمد وله الشّكر.

ومن الجدير بالذكر أن منطقة السوق تحتوي على ما لا يحصى من المخطوطات وأغلبها من مؤلفاتهم كما بلغنا كمثل الأقطار الأخرى مثل كاي وكوليكورو ونيورو وولاتة وتيشيت ونيجريا وغيرها.

ومما ينبغي التنبيه عليه أنّ من شروط النساخ مقابلة النّسخة المكتوبة بالتي كتبت عليها حرفا بحرف وقد يتولاّه الخطّاط نفسه مع أحد أو يتولاّه من نسخ له الكتاب والمثل السائر عندهم فيه هو: " أكتب وقابل وإلاّ فاطرح في المزابل".

وأعلم أنّ للنسّاخ إرشادات لكتابة تاريخ بعض المخطوطات مثل ما أشار إليه أحمد المرزوقي في آخر منظومته المسماة بعقيدة العوام وقد أشار فيها إلى عدد الأبيات وتاريخ النّظم بقوله: " أبياتها ميز بعد الجمل تاريخها لحي غر جمّل.

ومن النسّاخ من يضعه مرتّبا مثاله عام [هو غش] وهو سنة 1965 هــو غش

1 9 6 5

وقد يكون كلمة لها معنى في ذاتها تشير إلى حالة مّا أو تشجّع القارئ أو السامع إلى الاعتناء بالكتاب.

ومن الواجب أن نشير إلى أنّ كثيرا من الكتب ضاعت وطارت وتقطّعت وسرقت وذلك بسبب الغصب والإعارة والإهمال والنّهب كما سمعنا نهب قواد جودر للمنطقة وأرشينار لكتب أهل سيقو وكم ضاعت في أروان وبجبيه وتودن واتغاز وغيرها من المدن المجاورة وما فقدت على ظهر الإبل وكم ردمت الرّمال وتشتّت أيضا بسبب كثرة الحروب القبلية وغيرها. و لا شكّ أنّنا لاحظنا منذ تأثير المستعمرين على المنطقة قلّ جهود النّاس بالاعتناء بالمخطوطات وحفظها والاهتمام بها نسأل الله السلامة.

فعلى المادح المقلّد أن يعرف أنّ المرء لا يعرف أصالته ومروءته وقمّته إلاّ بواسطة هذه المخطوطات التي تركها أجداده وأنّ هذه المخطوطات من أهمّ المصادر لحل كل مشكلة أو مناقشة ولذلك ينبغي له أن يعتني بالمخطوطات ولو كانت وريقة صغيرة ـ وبالله التوفيق.

ومن أكبر سلاح علماء تنبكتو العكوف على تلاوة القرآن وكثرة الأذكار مهما فاجأتهم مصيبة أو وباء أو طاعون أو عظائم البلاء أو جيوش فيقرءون جماعة أو فرادى بعد المغرب وبعد الصبح البسملة ألف مرة الصلاة على النبي ﷺ ألفا الاستغفار ألفا يا لطيف ألفا الحسبلة أعني حسبنا الله ونعم الوكيل ألفا لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين ألفا والحوقلة أي لا حول و لا قوّة إلا بالله العليّ العظيم ألفا. هذا يستمرّون عليه إلى أن يروا الفرج ويكثرون من الصّدقة خلال هذه الفترة كلّها فلا شكّ أنّ تأثير الصدقة في دفع البلاء والمصائب مما لا يخفى وقد وردت أمثلة في كتب الأحاديث وجرّبها العامّة لكن الكلّ بحسن النيّة والتوكّل على الله أنّه على كلّ شيء قدير فبيده الدّاء والدّواء يفعل في ملكه ما يشاء نسأله العفو والعافية للجميع آمين وقد يقرءون صحيح البخاري كلّه بنيّة دفع المصيبة كما يفعلون للقرآن أيضا وقد قدّمت الإشارة إليه في المقدّمة أنظره.

الإجازة

متى يحصلون عليها وكيف؟

الإجازة هي الشهادة الدّراسية وهي التي تقوم مقام الدبلوم. وهذه الإجازة تقدّ/ للطلبة بعد أن توفّرت فيهم الشروط المطلوبة.

و لا بدّ للشيخ المجيز أن يكتب هذه الإجازة أو يتلفّظ بها. فإن اقتصر على الكتابة صحّت.
ومثله أيضا المناولة وهي أيضا نوع من الإجازة. إذا ناول العالم كتابا للتّلميذ جاز له أن يروي عنه ما فيه.
قال الإمام الشمني: الإجازة في الاصطلاح: إذن في الرّواية لفظا أو خطا، يفيد الإخبار الإجمالي عرفا. وأركانها أربعة: المجيز، والمجاز له، والمجاز به، ولفظ الإجازة.

وأنواعها سبعة على المشهور وتسعة بالتفصيل:
1- أن يجيز كتابا معيّنا لفلان معين أو أن يجيز كتبا.
2- أن يجيز معيّنا غيره.
3- أن يجيز غير معيّن بوصف العموم
4- الإجازة بالمجهول بمعنى لم يعيّن الكتاب مثلا أن يقول: أجزتك كتاب السنن وما هو هذا الكتاب؟ أو أجزت لإبراهيم التنبكتي مع أنّ الإبراهيميين كثيرون في تنبكتو. ولكن إن كان يعرفهم عيانا مع أنسابهم فذالك لا بأس.
5- الإجازة للمعدوم كأجزت لولد فلان وهذا الولد لم يولد بعد بل هو في العدم.
6- الإجازة فيما لم يأخذه المجاز ليجيزه للمجيز.
7- إجازة المجاز.

والمناول ضربان:
1- المناولة المقرونة بالإجازة.
2- المناولة المجرّدة.

ولكلّ نوع من الإجازة والمناولة له أنواع أيضا فراجع كتب الاصطلاحات ففيه الكفاية.

أصولهما وفوائدهما

من الأصول قوله تعالى: " وأثارة من علم" انه إسناد علم الحديث. وقوله ﷺ : {أنا مدينة العلم وعليّ بابها... الخ الحديث}.
وقال الخطيب في الكفاية: احتجّ بعض أهل العلم لجوازها بحديث أن النبي ﷺ كتب سورة البراءة في صحيفة ودفعها لأبي بكر ثمّ بعث عليّ بن أبي طالب فأخذها منه ولم يقرأها عليه و لا هو أيضا حتى وصل إلى مكّة ففتحها وقرأها على النّاس.
وقد أسند الرامهرمزي عن الشافعي أن الكرابيسي أراد أن يقرأ عليه كتبه فأبى. وقال: خذ كتب الزعفراني فأنسخها فقد أجزت لك فأخذها إجازة.
وقال الطّوفي: الحقّ التفصيل. ففي عصر السلف السماع أولى، وأمّا بعد أن دوّنت الدواوين وجمعت السنن واشتهرت فلا فرق بينهما.
وأصل المناولة ما وصله البيهقي والطبراني بسند حسن أن الرسول ﷺ كتب لأمير السرّية كتابا قال لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا فلمّا بلغ ذلك المكان قرأه على النّاس وأخبرهم بأمر النّبي ﷺ.
وفيها غير ذلك من التفصيل.

ومن فوائدهما:

قال سفيان الثوري: الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأيّ شيء يقاتل.
وقال عبد الله بن المبارك: مثل الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد كمن يرتقي إلى سطح بغير سلم. وقيل: لو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء.
وقال محمد الشّهير بالقصار:

من يأخذ العلم عن شيخ مشافهة	يكن عن الزّيغ والتحريف في حرم
ومن يكن آخذا للعلم عن صحف	فعـــــــلمه عند أهل العلم كالعدم

وبالاختصار إنّ الإجازة هي علم الإنسان وبها يعرف مقامه ومستواه و لا يحصل عليها إلاّ بشروط سنذكرها إن شاء الله.

متى يحصلون عليها؟

وفي المثل: لا يحصل على الإجازة إلا من صرفها وتصرّف فيها.

نعم لا يحصل على الإجازة أي الشهادة الدراسيّة في الأحاديث والتفسير إلاّ بعد التبحّر في أهمّ الفنون والتمكّن منها بمعرفة علم اللغة ليعرف شرح مفردات الألفاظ ومعلولاتها ومعرفة الأحكام التي للكلم العربيّة من جهة أفرادها وتركيبها وذلك يؤخذ من علم النّحو وخواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى وخواصها من حيث اختلافها ووجوه تحسين الكلام الذي هو الركن الأقوم والأهمّ، وتعيين المبهم وتبيين المجمل وأسباب النّزول وناسخ ومنسوخ ويؤيّد ذلك من علم الحديث ومعرفة الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد وأدلّة الأمر والنهي وما يشبه ذلك من أصول الفقه وعلم الكلام أعني في المنطق فيما يجوز على الله وما يجب له وما يستحيل. ولكن في هذا الفنّ يحذرون من الخوض فيه. وعلم القرآن الذي هو معرفة كيفيّة النطق والقراءات. ويختم الجميع بالعلم الموهوب وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علّم وإليه أشار الحديث: من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم. وقال تعالى: واتقوا الله ويعلّمكم الله.

وقد جاء من ادعى فهم أسرار القرآن قبل أحكام التّفسير الظّاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب.

كيف يكون الامتحان؟

" بالامتحان يكرم المرء أو يهان"

هنا، كان اختبار العلماء أوّلا في كتب الأحاديث بمعنى أن الطالب يلازم المجالس وكلّ أسئلة ألقيت على الشيخ يوجّهها لهذا الطالب ويمتحنه بها ويبقى في هذا زمنا. ثمّ يؤمر بالجلوس على مقعد لقراءة الحديث بحضرة الشيخ وبحضرة جماعة من الطلبة وفي يد كل منهم شرح أو تفسير ينظر فيه ويراقب القارئ وبعد كل حديث أو حديثين يناقشوه ويسألونه عن بعض الأدلّة والأوجه وما أشبه ذلك. ويستمرون على هذا زمنا طويلا ثمّ تكون الحصّة للتّفسير ويفعل فيه أيضا نفس الشيء.

والاختبار في العلوم المذكورة له ثلاث حصص:

الحصّة الأولى: يقرأ الحديث أو التفسير بنقطه وأشكاله.

وفي الحصّة الثانية بنقط من غير شكلن وهذا ليحقّقوا باعه في القواعد العربيّة.

وفي الحصّة الثالثة من غير نقط و لا أشكال، ومن هنا أيضا يحقّقون حفظه وتدقيق فقهه وحفظه وتمكّنه في هذه العلوم.

وبعد ذلك يكتبون له الإجازة. وهذه الإجازة قد تتضمّن كثيرا من النّصائح والإرشادات في خطبتها ثمّ بعد ذلك يقوم المجيز له بوليمة كبيرة شكرا على هذه النّعمة الكبرى والسعادة العظمى ويحضر لهذه الوليمة (وهي المدعوّة بالأحذاق) أمراء المدينة وعلماؤها وقرّاؤها والفقهاء والقضاة والفقراء وكلّهم يدعون لهذا العالم الجديد بالتّقوى الذي هو النّقطة الرّئيسيّة عندهم في كلّ شيء ثمّ التفقّه في الدّين امتثالا لما قاله الرسول ﷺ لابن عباس: اللّهمّ فقّهه في الدّين وعلّمه التأويل.

علماء تنبكتو والتأليف

وقد جاء أن المقصود من التأليف سبعة:

- شيء لم يسبق إليه فيؤلف فيه.
- أو شيئ ألّف ناقصا فيكمل.
- أو خطأ فيصحّح.

- أو مشكّل فيشرح.
- أو مطوّل فيختصر.
- أو متفرّق فيجمع.
- أو منثور فيرتّب، أو ينظّم.
-

فقد مسّوا جميع المقاصد المذكورة فألّفوا كثيرا من الكتب في جميع الفنون، ولهم تقييدات كثيرة ومفيدة. وربّما يلخّصون دروس أيّام في جملة واحدة أو كلمة واحدة أو بيت واحد بطريقة الرموز ليسهل الحفظ والتمكّن.

ومن العجب العجاب أنّ منهم من كان يفسّر أو يشرح كتب النّحو بصيغتين، الصيغة النّحويّة والصّيغة الصّوفية بحيث يظنّ القارئ أنّ كتاب النّحو هذا الذي درسه في السنة الماضية ليس للنّحو وإنّما هو كتاب التصوّف.

ومثال ذلك في الألفيّة: في باب التنازع في العمل.

إن عاملان اقتضيا في اسم عمل   قبل فللواحد منهما العمل
والثاني أولى عند أهل البصرة   واختار عكسا غيرهم ذا اسره

المراد بالعاملين في الطريقة الأولى : فعلان متصرّفان نحو قام وقعد أخواك. وفي الصيغة الثّانية؛ المراد بالعاملين عامل الدنيا والآخرة.

ومنهم من يشرح نفس الكتاب بطريقة المدح للنبيّ ﷺ وأمثال هذه كثيرة جدّا.

والواحد منهم لا يؤلّف حتّى يُسأل أو يحرَّض عليه أو رأى أنّه لا بدّ عليه أن يبيّن الحجّة في الأمر الفلاّني الواقع تبعا للحديث: " من رأى منكم فليغيّره بيده...الخ الحديث".

ومن حسن خلقهم وتواضعهم أنّ كثيرا منهم هاجروا لئلاّ ينصبوا للقضاء لمّا أرادوا بهم ذلك. والواحد منهم لا يطمئنّ بفتواه وبصحّته إلاّ بتوقيع جميع المفتين على فتواه خوفا لما رواه الرّواة: " المفتي على جسر جهنّم".

والجدير بالذّكر أنّهم قسموا حياتهم ثلاثة أقسام: طلب العلم، وبثّه في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والعبادة. فلذا كثر فيهم الأولياء والصالحون والعارفون نفعنا الله بعلومهم آمين.

وللحصول على آثارهم فلا بدّ من مراجعة شراح مختصر الشيخ خليل والنّوازل والفتاوى الحديثيّة والفقهيّة وتتبّع حواشي المخطوطات والوثائق وغيرها.

وأهمّ الكتب التي ألّفت في تراجمهم هي:

1- نيل الابتهاج لأحمد بابا السّوداني.
2- كفاية المحتاج في ذكر من ليس في الديباج، له أيضا.
3- تاريخ السّودان لعبد الرحمان السّعدي، في الباب التاسع منه.
4- تاريخ الفتّاش لمحمود كعت.
5- كتاب فتح الشّكور في معرفة أعيان علماء التكرور، للطالب محمد بن أبي بكر الصدّيق البرتليّ.
6- تكملته المسماة بمنح الربّ الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور، للطالب أبي بكر بن أحمد المحجوبي. فهذه التكملة كالقنديل لما تقدّم حيث يزيد بعد التراجم الوقائع والوفيات معا.
7- كتاب إزالة الريب والشكّ والتفريط في ذكر المؤلفين من علماء التكرور والصحراء و أهل شنجيط لأحمد بن أبي الأعراف التكني التنبكتي. فهذا الكتاب مهمّ جدّا ومفيد وما زال مسودّا.
8- كتاب السّعادة الأبديّة في التعريف بعلماء تنبكتو البهيّة لمولاي أحمد بابير الأرواني التنبكتي. اللهم انفعنا ببركتهم وعلومهم آمين.

وبعد فعلى المقلّد أن يعرف ويتحقّق مقصد السّلف في إحياء هذه الذّكرى الخالدة العطرة. فمقصدهم فيها مقصد واحد، وهدفهم هدف واحد، والخطوات التي يسيرون عليها أيضا واضحة ومرضيّة لا خلاف فيها. فلذا إذا راقبت و لاحظت جميع أفعالهم وأقوالهم وزيّهم بل جميع تحرّكاتهم تجدها موافقة أو مقارنة لآثار النبي ﷺ وحتى في مشيتهم وغيرها.

فعلى الذي يريد أن يقلّدهم أو يريد التشبّه بهم أو ينسب نفسه إليهم أن يتعلّم العلم أوّلا ما يخرجه أقلّ أقلّ من دائرة الجهل، فإنّ الله لا يُعبد بالجهل ويعمل بعلمه ويتّقي الله في السرّ والجهر ليزيد ويقوى إيمانه بالله تعالى ويشرق قلبه بمحبّة رسوله ﷺ. ومهمى توفّرت فيه هذه الشّروط يمكن أن ينسب نفسه إليهم ويفتخر بهم. وقد قيل: " ومن يشابه أبه فما ظلم"

وقيل: " فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم إنّ التشبّه بالكرام فلاح"

وقد كانوا أعني علماء تنبكتو في الأزمنة الماضية القديمة لا يحتفلون بهذا العيد بل يلازمون قراءة المدح في المساجد أو في البيوت بقراءة أشعار أو قصائد أو صلوات عليه ﷺ. وهذا كلّه بعدما كانوا يحفظونها عن ظهر قلب بدون أن يوقدوا المصابيح.

فهم شعراء يمدحون النبي ﷺ بالقلب واللسان والجوارح، ويذكرون صفاته الكماليّة ويشيّدون بمعجزاته ﷺ ويتشوّقون إلى زيارة قبره ﷺ، وبجانب هذه القصائد يضيفون أشعار التوسّلات والابتهالات والمناجاة إلى الله تعالى. وقلّ أن ترى من القدماء من قيل أنّه مدح أحدا من الأمراء بل كانوا لا يهتمّون إلاّ بمن يستحقّه وهو الرسول الأعظم محمّد ﷺ.

والخطوات التي كانوا عليها في المولد هي ما نصّ عليها العنبري رحمه الله في شرحه ونصّها: [**يستحبّ ويتأكّد** على كلّ مسلم يمدح النّبيﷺ أن يصحّح نيّته ويخلص فيها لطلب رضى الله تعالى والدّار الآخرة ويشكر نعمة الله عليه إذ جعله من أهل هذه الطاعة الجلية التي لا مثل لها ويفهم معاني تلك الأمداح التي يقرأها ويتعلّمها تفسيرا إن كان ممن ليس له قوّة على الفهم، ويتأدّب بتلك الأخلاق الحميدة بما يمكنه التأدب به مثل الصبر والحلم والكرم والاحتمال والعفو والبسط والزّهد والورع والإيثار وغير ذلك، وأن يقدّر مدحه هذا بحيث يسمعه النّبي ﷺ وبحضرته، فلا جرم تكون عليه حينئذ السّكينة والوقار والطمأنينة والخشوع وأن يبكي عينه أو يتباكى عند قراءة ما هو منها على وجه الشّوق وإظهار الأسف على فقده وعدم لقائه وزيارته، فبهذا ونحوه إن شاء الله تعالى يزكو عمله وينال مرغوبه وصلبته من المولى الكريم الوهّاب اهـ].

وهذه هي التي كانت عليها السلف الصالح لا يختلفون بشيء ممّا قاله العنبري، بل يطبّقونه كما سُطّر. نفعنا الله بهم ورزقنا بركتهم وبركة غيرهم آمين.

وممّا يرجّح ما قاله العنبري ويزيدنا إيقانا وتبيينا ويشير لنا على أنّ كلّ قارئ لا بدّ له من فهم ما يقرأ حرفا بحرف بدون لحن و لا خطأ، ما ذكره صاحب تاريخ الفتّاش في بيان عدالة القاضي العاقب قوله: " **ومن عدله** وصلابته في الحقّ ونزاهته عن مسامحة من حاد عن الحقّ قتله مؤذّن الجامع الكبير المسمّى عبد الله ولد كَنْـگَـيْ، وهذا المؤذّن حضر يوما بمجلس يمدح النبي ﷺ فيه وهو يوم الجمعة ببيت الشيخ النّحوي أبي حفص عمر كُرَيْ بن العلامة أبي العباس. وقد اتخذ عادة أن يمدح النّبي ﷺ في بيته بحضرة الجماعة بعشرينيات الفزّازي، فكانوا يمدحون بها حتّى مرّوا بقول المخمّس " هو الوبل يعلو أن يقاس بطله" فقرأ عبد الله المذكور: الويل، فقلب باءه ياء مع شكل كلٍّ بحركة الأخرى فراجعه في ذلك من سمعه منه ولم يرجع عمّا قرأه به فرافعوا أمره إلى القاضي العاقب الصادع بالحقّ الذي لا يخاف في الله لومة لائم فأمر بأخذه فسمع به فخرج هاربا إلى بعض القرى من بلاد أَتَرَمْ من أنن وندعدكر وكندام ثمّ رجع كامنا فظفروا به بعد عام إلى آخره".

فالذي حكم به هذا القاضي هو المشهور في السنّة فعلينا أن نبيّن للمقلّد المادح حكم من سبّ الرسول ﷺ وما ورد في ذلك من الأحاديث ليطمئنّ بأرجحيّة حكم هذا القاضي المشهور الذي لا يخاف في الله لومة لائم.

فنقول وعن عليّ ﷺ أنّ يهوديّة كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه فخنقها رجل حتّى ماتت فأبطل رسول الله ﷺ دمّها.

وفي بلوغ المرام من أدلة الأحكام للعلامة الكبير والمحدث الشهير الحافظ ابن حجر العسقلاني **773** هـ 852 هـ في آخر باب قتال الجاني وقتل المرتد : عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه فينهاها فلا تنتهي ، فلما كان ذات ليلة أخذ المغول فجعله في بطنها واتّكأ عليها فقتلها ،فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : ألا اشهدوا ، فإن دمها هدر . رواه أبو داوود.

فهذا الحكم هو المشهور في مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء فقتله هنا حدّا لا كفرا إن ظهر التوبة منه **و**في الشفاء قال الشيخ أبو الحسن القابسي رحمه الله إذا أقرّ بالسّبّ وتاب منه وأظهر التوبة قتل بالسّبّ لأنه هو حده .فراجع الشفاء في الباب الثاني في حكم سابّه ﷺ.

وفي غاية المأمول بعد شرح الحديث المتقدّم ءانفا ما نصّه: " وفقه الحديثين أنّ النبي ﷺ أهدر دمّ من سبّه مسلما كان كما في الحديث الثاني أو ذميّا كما في الأوّل. و لا خلاف في وجوب قتل المسلم الذي يسبّ النّبي ﷺ وإنّما الخلاف في الذّميّ، فعند مالك يجب قتله إلاّ أن يسلم وعند الشافعي يقتل وتبرأ منه الذّمّة. وقال أبو حنيفة لا يقتل وما هو عليه من الشّرك أعظم. نسأل الله الرّشد والهداية والله أعلم".

وأنظر في سبل السّلام شرح بلوغ المرام لمحمّد بن إسماعيل الكحلاني المعروف بالأمير في الجزء الثالث منه عند شرح الحديث المتقدّم تجد ما فيه كفاية إن شاء الله.

وقيّدنا في نوازل بعض الأشياخ أنّ أهل تنبكتو من أكثر النّاس اعتناء بإنشاد قصائد المدح في المساجد والبيوت والمجالس ولو في المصانع والمحافل ولم نسمع بإنكار أحد من علمائها الذين بلغوا الغاية القصوى في معرفة العلم والدّين بل لقد كانوا ممّن يتعاطى ذلك بأوراد معلومة فيما بلغنا.

وذكر أحمد بابا السّوداني في نيل الابتهاج أنّ والده الشيخ أحمد بن عمر بن محمد أقيت التكروري لمّا زار قبر النّبي الشريف طلب الدّخول في داخله فمنعه القيمون منه فجعل على الباب يمدحه ﷺ فانفتح الباب وحده بلا سبب من أحد فتبادر الحاضرون بتقبيل يده هكذا سمعت الحكاية من والده وغيره وهي مشهورة عند النّاس والله تعالى أعلم.

وفي أروان كان أحد القرّاء أعمى فجعل يمدح النّبي ﷺ حتّى وصل عند قول المخمّس " به أبصر العميان وانتظم الشمل" ففتحت عيناه في الحين. وما ذلك على الله بعزيز. ولعلّ هذا داخل في التوسّل والاستشفاع به ﷺ.

الفصل الثاني: في معنى العيد وذكر الأعياد والأيام الفاضلة

والعيد أصله عِوْدٌ لأنّه مشتقّ من عاد يعود عودا وهو الرّجوع قلّبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، وجمع العيد أعياد وكان حقّه أن يجمع على أعواد ولكن جمع بالياء للزومها في الواحد وللفرق بينه وبين أعواد الخشب، ومعناه لغة ما اعتادك من همّ أو مرض أو حزن ونحوه. واصطلاحا عودة الله تبارك وتعالى الفرح والسرور في يوم العيد على عباده وقيل إنّما سمي عيدا لأنّه فيه عوائد الإحسان من الله وفوائد الامتنان منه للعبد وقيل أيضا أنّ فيه ذكر الوعد والوعيد.

فالأعياد الإسلامية والأيام الفاضلة عشرة على المشهور:

1- عيد الفطر.
2- عيد الأضحى.
3- يوم الجمعة.
4- ليلة القدر.
5- ليلة الإسراء
6- ليلة النّصف من شعبان
7- يوم عاشوراء

8- يوم عرفة.
9- عيد الهجرة.
10- ليلة أو يوم مولد النّبي ﷺ.

ونظمتها تسهيلا للحفظ فقلت:

العيد يوم الذّكر والإحســـــــان كذا التزاور مع التّهانـــــــي
قد جاء في الأعيــــــاد خذ أيادي عشرة مشهورة الإسنــــــاد
الفطر والأضحى ومـــــولد النّبي وليلة القدر والإسراء فاحســـب
وجمعة عاشوراء يوم عرفـــــه ونــــصف شعبان أخيّ فاعرفه
وعيد هجرة النبي الأكــــــرم مكمّل العشـــــرة صاح فاعلم
فهذه الأعيــــــاد في الإسلام قرّره الأشياخ بالأقـــــلام

ولكل واحد من هذه الأيام فضائل لا تعدّ و لا تحصى. فالعيدان الشرعيّان عيد الفطر والأضحى فأحوالهما معروفة ومشهورة عند الخاصّة والعامّة وأمّا بقيّة الأيّام فسنلخّص على قدر الإمكانيّات إن شاء الله تعالى بذكر ما جاءت في الآثار في أمورها.

3 - يوم الجمعة

و في رياض الصالحين للنووي في باب فضائل يوم الجمعة، قال الله تعالى:" فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ...الآية"

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ خير يوم طلعت عليه الشّمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنّة، وفيه أخرج منها. رواه مسلم.

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: من توضّأ فأحسن الوضوء ثمّ أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مسّ الحصى فقد لغا.

وعنه عن النّبي ﷺ قال: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفّرات ما بينهنّ إذا اجتنبت الكبائر. رواه مسلم.

و عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: غسل الجمعة واجب على كلّ محتلم. متفق عليه.

وعن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : من توضّأ يوم الجمعة فيها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل. رواه أبو داوود، والترمذي.

وعن أوس بن أويس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : إنّ أفضل أيّامكم يوم الجمعة فأكثروا عليّ من الصّلاة فيه فإنّ صلاتكم معروضة عليّ. رواه أبو داوود.

وعن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلّي يسأل الله شيئا إلاّ أعطاه إيّاه وأشار بيده يقلّلها. متّفق عليه.

وعنه ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثمّ راح فكأنّما قرّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنّما قرّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنّما قرّب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنّما قرّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنّما قرّب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذّكر. متفق عليه.

وفي شرح السيوطي على سنن النّسائي ما نصّه: [قال القرطبي كون الجمعة أفضل الأيام لا يرجع ذلك إلى عين اليوم لأنّ الأيام متساوية في أنفسها وإنّما يفضل بعضها بعضا بما يخصّ به أمر زائد على نفسه. ويوم الجمعة قد خصّ من جنس العبادات بهذه الصلاة المعهودة التي يجمع لهاه النّاس وتتّفق هممهم ودواعيهم ودعواتهم فيها. ويكون حالهم فيها كحالهم يوم عرفة ليستجاب لبعضهم في بعض ويغفر لبعضهم ببعض. ولذلك قال النّبي ﷺ: الجمعة حجّ المساكين أي يحصل لهم فيها ما يحصل لأهل عرفة ثمّ أنّ الملائكة يشهدونهم ويكتبون ثوابهم ولذلك سمّي هذا اليوم المشهود ثمّ يحصل لقلوب العارفين من الألطاف والزّيادات حسبما يدركونه من ذلك ولذلك سمّي يوم المزيد. ثمّ إنّ الله تعالى قد خصّه بالساعة التي فيه وبأن أوقع فيه هذه

الأمور العظيمة التي هي خلق آدم الذي هو أصل البشر ومن ولده الأنبياء والأولياء والصالحون، ومنها إحراجه من الجنّة التي حصل عنده إظهار معرفة الله تعالى وعبادته في هذا النوع الآدميّ مع احترامه ومخالفته. ومنها موته الذي بعده وفى به أجره و وصل إلى مأمنه ورجع إلى المستقر الذي خرج منه ومن فهم هذه المعاني فهم فضيلة هذا اليوم وخصوصيته] اهـ المراد منه.

فيفهم من فضائل هذا اليوم أنّه يوم مبارك، شاهد ومشهود فمن حاضر يشهد له ومتخلف يشهد عليه، والملائكة أيضا شهود.

وقد قيل أنّ أوّل من جمع النّاس لهذا اليوم كعب بن لؤيّ في زمان عيسى بن مريم بإلهام من الملك العلاّم.

وأوّل جمعة صلّيت في المدينة المنوّرة قبل أن يهاجر إليها النّبي ﷺ. نعم وذلك أنّها فرضت بمكّة فعجزوا عن إقامتها حتى أقامها في المدينة المهاجرون والأنصار الذين نصروه واتبعوه.

إذن فلا شكّ أنّه يوم كبير فضّله الله على سائر الأيّام كما فضّل الشمس على النّجوم، وفيه خلق آدم وأسكنه الجنّة وأهبطه إلى الأرض، وفيه أيضا ينفخ في الصّور وفيه تتّصل أرواح الميّتين في القبور وترسل أشعّتها على تلك الجسوم.

فلذلك خصّص هذا اليوم بزيارة القبور، وكثرة تلاوة القرآن و لا سيّما سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء إلى يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعة. وفي قراءة سورة الكهف في هذا اليوم أو ليلته فضائل لا تحصى فراجع كتب الأحاديث والمطوّلات.

4- ليلة القدر

ليلة القدر وردت في القرآن الكريم أيضا في سورة القدر بقوله تعالى:" إنّا أنزلناه في ليلة القدر... الخ السورة" فهذه السورة صريحة في أنّ إنزال القرآن كان في ليلة القدر و آية في سورة الدّخّان تؤكّد ذلك وهي قوله تعالى:" إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين" ونزوله في ليلة مباركة. وترشد آية في البقرة أنّ نزوله في شهر رمضان وهي قوله تعالى: " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن".

فليلة القدر، ليلة عيد وعبادة إذ فيها بدأ نزول الدستور السّماوي. وليلة شكر على الإحسان والإنعام. وقد تشارك الملائكة المسلمين فيها بما يشعر بعظمتها ويشعر بفضل الإنسان. وهي ليلة كلّها سلامة وأمن وكلّها خير وبركة من مبدئها إلى نهايتها.

وقد استحسن فيها الإكثار من الدّعاء وتلاوة القرآن وكثرة النّوافل وغيرها من أفعال البرّ

وقد ورد عن بريدة ﷺ أنّ عائشةﷺ قالت: يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فبما أدعو؟ قال: قولي اللهمّ إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّي. وقد رواه الترمذي والنسائي وغيرهما.

وعادة علماء تنبكتو فيها: هي تلاوة القرآن في المساجد في النّوافل. فيقوم واحد يؤمّ بالنّاس ويصلّي بهم ركعتين فقط بما تيسّر من القرآن ثمّ يسلّم ويقوم واحد آخر ويواصل تلاوته بمن تقدّم ويفعل نفس الشيء ويستمرّون على هذه الحالة إلى سورة النّاس فيوافق مع السحور. فيسحرون عند إمام المسجد. وهناك أيضا من يقوم بالتلاوة في بيوتهم إلى الفجر ويحضر لها الفقراء والقرّاء والمساكين.

وقد وردت كثيرة من الآثار في فضائل ليلة القدر وما يفعل فيها فراجع المطوّلات تستفد.

5- ليلة الإسراء

ليلة الإسراء في شهر رجب في السابعة والعشرين منه.

فلهذه الليلة فضائل كما لإسرائها أيضا كذلك. وحرمة هذا الشهر مسطورة في كثير من كتب الأحاديث وكتب الأئمّة الأعلام.

وفي أبي داوود، عن مجيبة الباعلية عن أبيها أو عمّها أنّه أتى رسول الله ﷺ، ثمّ انطلق فأتاه بعد سنة وقد تغيّرت حاله وهيئته، فقال: يا رسول الله أ ما تعرفني؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا الباهلي الذي جئتك عام الأوّل. قال: فما غيّرك؟ وقد كنت حسن الهيئة، قال: ما أكلت طعاما منذ

فارقتك إلاّ بليل. فقال رسول الله ﷺ: عذّبت نفسك. ثمّ قال: صم شهر الصّبر ويوما من كلّ شهر، قال: زدني فإنّ بي قوّة، قال: صم يومين، قال: زدني. قال: صم ثلاثة أيّام. قال: زدني، قال: صم من الحُرُم واترك، صم من الحُرُم واترك، صم من الحُرُم واترك، وقال: بأصابعه الثّلاث فضمّها ثمّ أرسلها.

وشهر الصّبر: رمضان.

وشهر الحُرُم: بضمّتين جمع حرام أي من الأشهر الحرم وهي: رجب، وذو القعدة، وذو الحجّة، والمحرّم.

ويقال: أن رجبا مشتقّ من الترحيب وهو التعظيم لأنّ الجاهليّة كانوا يعظّمونه، ويقال له: الأصمّ بالميم لعدم سماع قعقعة السّلاح فيه، ويقال أيضا: الأصبّ بالباء لصب الرحمة فيه، وذلك كناية عن كثرة إحسانه تعالى فيه ومغفرته لعباده.

وقال أهل الإشارة: رجب ثلاثة أحرف راء وجيم وباء، فالراء رحمة الله والجيم جرم العبد وجنايته، والباء برّ الله كأن الله تعالى يقول اجعل جرم عبدي بين رحمتي وبرّي.

وفي مكاشفة القلوب للغزالي: روى الديلمي بسنده عن أبي امامة عن رسول الله ﷺ قال: خمس ليال لا تردّ فيها دعوة. أوّل ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة وليلتا العيد.

وليلة الإسراء ثابتة بقوله تعالى: " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى".

لقد أكرم الله كثيرا من النبيين والمرسلين بالآيات والمعجزات. فجعل النّار بردا وسلاما على إبراهيم، وأعطى لموسى عصى يغلب به السّحرة، وكان عيسى يخلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فينفخ بإذن الله فيها فيطير، أمّا نبيّنا محمّد ﷺ فكان أكثرهم معجزات ومن أكبر معجزاته بعد القرآن الكريم ليلة إسراءه التي قطع فيها الآفاق حتّى بلغ المسجد الأقصى وصلّى فيه وشاهد من عجائب الكون ومن هنا صعد إلى السموات العلى ولقي من الأنبياء آدم وعيسى ويحي ويوسف وإدريس وموسى وهارون وإبراهيم.

فالمسلمون يحتفلون بليلة الإسراء ويشكرون الله على ما أولى به نبيّنا محمّد ﷺ.

وأهل تنبكتو يكثرون من الذّكر والعبادات في ليلتها ويصومون يومها شكرا لله وطلبا للثّواب ويكثرون من الصّدقة في ليلها ونهارها.

6- ليلة النّصف من شعبان

وأما فضل شعبان فقد روي عن أبي أمامة الباهلي ؓ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: إذا دخل شعبان فطهّروا أنفسكم وأحسنوا نيّتكم فيه، وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتّى نقول لا يصوم وكان أكثر صيامه في شعبان. **وفي النّسائي** من حديث أسامة ؓ قلت: يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشّهور ما تصوم من شعبان قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال لربّ العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم. **وقيل** أنّ للملائكة في السّماء ليلتي عيد كما أنّ للمسلمين في الأرض يومي عيد. فعيد الملائكة ليلة البراءة وهي ليلة النصف من شعبان وليلة القدر، وعيد المؤمنين يوم الفطر ويوم الأضحى فلذا سميت ليلة النصف من شعبان ليلة عيد الملائكة.

وعن عائشة، رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلاّ رمضان وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان كان يصومه إلاّ قليلا بل كان يصومه كلّه. رواه الأربعة.

و في الترمذي بسند حسن: قالت أم سلمة، رضي الله عنها: ما رأيت النبيّ ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلاّ شعبان ورمضان.

وعن عمران بن حصين ؓ أن النبي ﷺ قال لرجل: هل صمت من سرر هذا الشهر شيئا؟ قال: لا، قال: فإذا أفطرت من رمضان فصم يومين مكانه. رواه الشيخان.

عن عليﷺ عن النبي ﷺ قال: إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإنّ الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدّنيا فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له، ألا مسترزق فأرزقه، ألا مبتلى فأعافيه، ألا كذا ألا كذا، حتى يطلع الفجر. رواه ابن ماجه.

عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: فقدت النبيﷺ ذات ليلة فخرجت أطلبه، فإذا هو بالبقيع رافع رأسه إلى السّماء، فقال: يا عائشة أ كنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله، قلت: ظننت أنّك أتيت بعض نسائك، فقال: إنّ الله تعالى ينزل ليلة النّصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب. رواه ابن ماجه، والترمذي، وأحمد.

عن أبي موسى ﷺ عن النّبي ﷺ قال: إنّ الله ليطّلع في ليلة النّصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلاّ لمشرك أو مشاحن. رواه ابن ماجه، وأحمد.

وللعلماء في هذا اليوم أوراد وأذكار ذكرناها في كتابنا (قيعان الجنّة) في الأذكار القرآنية والنبوية وما يذكر في الأيام الفاضلة. فراجعه

7- يوم عاشوراء

وهو اليوم العاشر من شهر المحرم ولهذا اليوم فضائل.

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنّه يوم تعظّمه اليهود والنّصارى، قال: فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ. رواه مسلم، وأبو داوود.

وعنه قال: أمر رسول الله ﷺ بصوم عاشوراء يوم العاشر. رواه الترمذي وصحّحه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله ﷺ يصومه في الجاهلية فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلمّا فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه. رواه الأربعة.

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدوّهم فصامه موسى، قال: فأنا أحقّ بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه. رواه الثلاثة.

عن أبي موسى ﷺ قال: كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتّخذونه عيدا ويلبسون نساءهم فيه حلّيهم و شارتهم فقال رسول الله ﷺ فصوموه أنتم. رواه الشيخان.

و عن أبي قتادة ﷺ أنّ النّبي ﷺ قال: صيام يوم عاشوراء إنّي أحتسب على الله أن يكفّر السّنة التي قبله. رواه الخمسة إلاّ البخاري.

وعن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: من وسّع على عياله في يوم عاشوراء وسّع الله عليه في سنته كلّها. رواه الطبراني والبيهقي.

وقال ابن العربي أمّا النفقة في يوم عاشوراء والتوسعة فمخلوفة باتفاق وإنّه يخلف الله بالدرهم عشر أمثاله.

وذكر الشيخ ميّارة أنّ أهل مكّة والمدينة يتحرّون ذلك حتى كأنّه يوم عيد.

ونظم بعضهم ما يستحسن فعله في يوم عاشوراء وهو الذي عليه السلف التنبكتي بل التكرور كلّها وهي:

في يوم عاشوراء عشر تتصل ** بها اثنتان ولها فضل نقل
صم صلّ صل زر عالما عد واكتحل ** رأس اليتيم امسح تصدّق واغتسل
وسّع على العيال قلّم ظفرا ** و وسرة الإخلاص ألفا يقرأ
وزاد بعضهم: و لم يرد منها سوى اثنتين ** صوم وإنفاق بدون مين

تنبيه مهمّ: ومن إكرام أهل تنبكتو لهذا اليوم، كلّ من ولد فيه يضيفون على اسمه ددو أو ددب إكراما لهذا اليوم ومثله في تالييه من الشهرين إكراما لمولده ﷺ، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله موضّحا في الفصل الرابع عشر في مقدمته وصبيحة هذا اليوم يتزاور الناس لطلب ما يسمّى بنُورِك أو جَنْكُوفُو، وهو مما يدخل من باب صلة الأرحام والصدقة عليهم وتقوية العلاقة وانتباه الأطفال إلى تعريف عشائر آبائهم وأمّهاتهم.

8- يوم عرفة

ومن الأعياد الإسلاميّة والأيّام الفاضلة يوم عرفة، وهو التّاسع من ذي الحجّة، وهذا اليوم تابع لأيّام قبله وهو يوم الترويّة وهو اليوم الثامن من ذي الحجّة وما قبله أيضا ويعرف بأيام العشر من ذي الحجّة، ويستحبّ صوم هذا اليوم أو الأيام لما فيها من الفضل والخير الكثير.

وعن أبي قتادة ﷺ عن النبي ﷺ قال: صيام يوم عرفة إنّي أحتسب على الله أن يكفّر السّنة التي قبله والسنة التي بعده. رواه الخمسة إلاّ البخاري.

وفي بعض الروايات أنّ صومه يكفّر سنتين، سنة ماضيّة وسنة مستقبلة، أي يكفّر الصغائر من ذنوب صائمه في السنتين السنة التي هو فيها والتي بعدها. **قال ابن عباس**: وفي هذا بشرى بحياة صائمه سنة لأنّه عليه الصّلاة والسّلام بشّر بكفارتها فدلّ لصائمه على الحياة فيها. أفاده شيخ الإسلام.

وروى البيهقي عن عائشة، رضي الله عنها: صيام يوم عرفة كصيام ألف يوم.

وفي حاشية الشيخ الصفتي: فائدة: يوم عرفة أفضل من يوم عاشوراء لأنّ عاشوراء موسويّ، وهذا محمّدي، ونبيّنا عليه الصلاة والسلام أفضل من موسى ومن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. **وفي مسلم**: ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه من النّار من يوم عرفة. **وينبغي** الإكثار فيه من الصدقات والطّاعات. **ونقل** الشبراملسى أنّ الوحوش تصومه. قال الرملي وصحّ في الحديث أفضل الدّعاء الدّعاء في عرفة فيستحبّ فيه استعمال الدعية النّافعة والكثرة من الصّلاة على المصطفى عليه الصّلاة والسلام، وينبغي فيه قراءة الإخلاص ألف مرّة لما ورد في فضلها من الأحاديث الكثيرة ويستحبّ إحياء ليلته بالتهجّد والذّكر. اهـ بالاختصار.

وورد في العشر من ذي الحجّة: عن ابن عبّاس، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: ما من أيّام العمل الصّالح فيهنّ أحبّ إلى الله من هذه الأيّام العشر، فقالوا: يا رسول الله و لا الجهاد في سبيل الله؟ فقال: و لا الجهاد في سبيل الله إلاّ رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء. رواه الترمذي والبخاري، وأبو داوود.

وقالت أمّ سلمة أو حفصة، رضي الله عنهما: كان النبيّ ﷺ يصوم تسع ذي الحجّة ويوم عاشوراء. رواه أبو داوود والنّسائي وأحمد.

وفي الترمذيّ: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ما من يوم أحبّ إلى الله أن يتعبّد له فيها من عشر ذي الحجّة، يعدل صيام كلّ يوم منها بصيام سنة وقيام كلّ ليلة منها بقيام ليلة القدر.

وقد ذكر الشيخ ميّارة في شرحه أنّ بعض العلماء نظم هذه الأبيات في الأيام التي يستحبّ صيامها:

أيا راغبا أجر الصّيام تطوّعـــــــــــا ... عليك بأيام روتها الأوائـــــــــــل
وعدّتها سبع من العام كـــــــــــــــله ... وفي صومها للصائمين فضـــــــائل
ففي رجب من بعد عشرين سابــــــــع ... به كلّ برّ معتن متشـــــــــــــاغـل
وفي النصف من شعبان جاءت عجائـــب ... من الخير والإحسان فهي تواصـــــل
فمن قامه ليلا وأصبح صائمـــــــــا ... تلقى أمانا لم تصبه الغوائـــــــل
ومن قعدة خمس وعشرين فاحتفــــــظ ... به أنّه يوم عظيم وفاضــــــــــل
وفي حجة يوم أتى وهـــــــــــو أول ... وتاسعه أيضا كذلك فـــــــــاضـل
وثـــــــــــــالث أيام المحرّم إنّه ... جليل وعاشـــــــــوراء فيه أقــاول

9- عيد الهجرة

وفي نيل الأوطار للشوكاني في الجزء الأول منه في باب الدّليل على وجوب النّية له، عند حديث، إنّما الأعمال بالنّيات... الخ ما نصّه: الهجرة الترك، والهجرة إلى الشيء: الانتقال إليه من غيره. وفي الشرع: ترك ما نهى الله عنه، وقد وقعت في الإسلام على وجوه: الهجرة إلى الحبشة، والهجرة إلى المدينة وهجرة القبائل، وهجرة من أسلم من أهل مكّة، وهجرة من كان مقيما بدار الكفر، والهجرة إلى الشام في آخر الزّمان عند ظهور الفتن. اهـ المراد منه.

فعيد الهجرة أكبر أيام الأعياد في الإسلام إذ هو يوم ابتداء التاريخ في الإسلام، بل أجمل أيّام الرّسول محمّدﷺ لأنّه أدلّ الأيّام على رسالته وأخلصها لعقيدته ورجاء سريرته. وفي الجزء السابع من فتح الباري على البخاري للعسقلاني عند باب التاريخ ما نصّه: منها ما أخرجه أبو نعيم الفضل بن دكين في تاريخه من طريقه الحاكم من طريق الشعبي أنّ أبا موسى كتب إلى عمر أنّه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر النّاس فقال بعضهم أرّخ بالمبعث وبعضهم أرّخ بالهجرة فقال عمر الهجرة فرقت بين الحقّ والباطل فأرّخوا بها. وروي الحاكم عن سعيد بن المسيب قال: جمع عمر النّاس فسألهم عن أوّل يوم يكتب التّاريخ، فقال: على من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشّرك ففعله عمر. اهـ.

يقول الأستاذ عبّاس محمود العقّاد: من كتاب الأدب والنّصوص للصفّ الثالث الثّانوي ص/ 272 :

" لم كان يوم الهجرة ابتداء التاريخ في الإسلام؟ ولم يكن يوم الدعوة؟ ولِم لمْ يكن يوم بدر أو يوم ولادة النّبي أو يوم حجّة الوداع يوم ابتداء التاريخ؟ كلّ يوم من هذه الأيام كان ظاهر الرأي وعاجل النّظر أولى بالتاريخ والتمجيد من يوم الهجرة، من يوم الفرار بالنّفس والعقيدة في جنح الظّلام. فالرّجل الذي اختار يوم الهجرة بدأ لتاريخ الإسلام قد كان أحكم وأعلم بالعقيدة والإيمان...

وليس يوم أحقّ بالتّاريخ إذن من اليوم الذي هجر فيه النّبي بلده إذ أخرجه الذين كفروا... الخ الآية. فيوم الهجرة يوم عظيم يوم النّصر والإرشاد".

وفي الجزء الرّابع من كتاب التّاج الجامع للأصول للشيخ منصور علي ناصف ما نصّه: الهجرة إلى بلاد الإسلام مستحبّة، قال الله تعالى: ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة، ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثمّ يدركه الموت فقد وقع أجره على الله و كان الله غفورا رحيما﴾. صدق الله العظيم.

عن معاوية ﷺ عن النبي ﷺ قال: لا تنقطع الهجرة حتّى تنقطع التوبة و لا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها.

وجاء رجل إلى النّبي ﷺ فقال: يا رسول الله جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبويّ يبكيان، قال: ارجع فأضحكهما كما أبكيتهما. رواه أبو داوود والنّسائيّ.

ولأبي داوود: من جامع المشرك وسكن معه فإنّه مثله.

وبعث النبيّ ﷺ سريّة إلى خثعم فاعتصم ناس بالسّجود فأسرع فيهم القتل فبلغ النبيّ ﷺ فأمر لهم بنصف العقل وقال: أنا بريء من كلّ مسلم يقيم بين أظهر المشركين. رواه الترمذي وأبو داوود.

وهذا العيد من المفروض أن تحتفل في جمهورية مالي في أوّل يوم القرن الخامس عشرة، و اتفقت رؤساء بلدان ومماليك الإسلامية أن تكون في مدينة تنبكتو، وفتحت الحكومة المالية فرعا في وزارة الشباب مكتبة تسمى مكتبة الهجرة وبنوا قرية وراء المدينة لإيواء المشاركين في العيد و اتفقوا أن تصير المكان بعد العيد معهد للدراسات، وبالأسف لم تطلع شمس هذا العيد لكن البناء في تطوّر وبلغنا أن الاحتفال سيكون بتبادل الآراء بين فحول العلماء وإحياء الأيام بمحاضرات حول الإسلام وباقتراحات في تطوّر الإسلام وما له وما عليه. والله أعلم وبالله التوفيق.

10- عيد المولد

وهو عيد مولد النبي ﷺ ، وهو أكبر الذكريات (الأعياد) وأفضلها في الإسلام. وبسببه قمنا بجمع هذا التنبيه ووسّعنا الكلام فيه وشرحنا على قدر الاستطاعة والإمكانيات ما تيسّر لنبيّن للسّائلين والتنبكتيين بل والعالم الإسلامي ما كان عليه السّلف التنبكتي في شأن هذا العيد المبارك. فنسأل الله الذي من سأله لا يخيب أن يعيننا على الوصول إلى الهدف المطلوب وأن يرزقنا حبّه وحبّ حبيبه محمّد ﷺ وحبّ كلّ من اتبع سنّته محبّةً ننال بها شفاعته يوم لا ينفع مال و لا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم. آمين اهـ.

وهذا العيد المبارك يدعونا إلى تجديد ذكريات النبي ﷺ ، وبهذه الذّكريات تجعلنا نحبّ كلّ خلُق من أخلاقه وكلّ عمل من أعماله، فلذلك جميع ما تتضمّن القصائد والأشعار المدحية من أخلاقه وأعماله وسيره وصبره وحلمه وجوده وكرمه وتواضعه وقربه من النّاس ورحمته بأمّته وشفقته ورفقته وعفوه ونصحه في الدّعوة إلى دين الله وقوّته وشجاعته وحقّه على أمّته وحقّ أمّته عليه ﷺ .

وبذكر هذه الأوصاف الجميلة الحميدة مع تفاصيلها في الأشعار والقصائد تعمر القلوب بحبّه، محبّة أعظم من محبّة النّفس والوالد والنّاس أجمعين وقد نبّه صاحب ابن مهيب على حلاوة مدحه بقوله: ﴿ فلله ذكر منه في القلب قد حلا ﴾ مع أنّه لا يخفى علينا أنّ من محبّته محبّة شريعته، وتعظيمها وتحكيمها والتحاكم إليها.

وعلى هذا فمحبّته ﷺ من حقّه على أمّته و لا بدّ أن تكون الألسنة رطبة بالثناء عليه وبالثّناء على سنّته وإيضاح محاسنها، وبيان ضرورة النّاس إلى التمسّك بها وتثبّت الفؤاد بذكره لقوله تعالى: وكلا نقص عليك ... الخ الآية.

وهذا هو الهدف في إحياء هذه الذّكرى الخالدة العطرة الطيّبة. صلى الله على صاحبها، ورزقنا محبّته ومحبّة سنّته آمين بل ألف آمين.

الفصل الثالث: في أفضليّة ليلة المولد على سائر الأعياد

وقد وسع العلماء في أفضلية هذا العيد المبارك على سائر الأعياد الإسلامية بالأدلة الواضحة النّاصرة، والبراهين القاطعة الرّاجحة فمن ذلك **ما قال الشيخ الصاوي** في تفسيره: وأعلم أنّ أفضل الليالي ليلة المولد ثمّ ليلة القدر ثمّ ليلة الإسراء فعرفة فالجمعة فنصف شعبان فالعيدين.

ومما يرجّح هذا القول ما ذكره محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة 1270هـ في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني في الجزء الآخر منه ما نصّه: ونقل الطحطاوي عليه الرحمة في حواشي الدرّ المختار عن بعض الشافعية أنّ أفضل الليالي ليلة مولده عليه الصلاة والسلام.

وقد تناقش العلماء في أفضلية ليلة المولد وليلة القدر **و** بيّن ذلك الشيخ عبد الباقي الزرقاني على المواهب القسطلاني قائلا: فإن قلت إذا قلنا بأنّه عليه السّلام ولد ليلا على القول المرجوح فأيّما أفضل ليلة القدر أو ليلة مولده عليه السلام قلت أجيب بأنّ مولده عليه السلام أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة **أحدها:** أنّ ليلة المولد، ليلة ظهوره ﷺ، وليلة القدر معطاة له، وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف ممّا شرف بسبب ما أعطيه و لا نزاع في ذلك ممّا ذكرناه فكان ليلة المولد أفضل من ليلة القدر بهذا الاعتبار. **والثاني:** أنّ ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها على أحد الأقوال في سبب تسميتها بذلك ولنزول القرآن فيها وأنّ الذي يراها يصير ذا قدر ولما يكتب فيها من الأقدار فيها يفرّق كلّ أمر حكيم وليلة المولد شرفت بظهوره ﷺ ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممّن شرفت بهم ليلة القدر وهم الملائكة على الأصحّ المرتضى عند جمهور أهل السنّة فتكون ليلة المولد أفضل. **والثالث:** أنّ ليلة القدر وقع فيها التفضّل على أمّة محمدﷺ لأنّها مختصّة بهم ولم تكن لمن قبلهم على الصّحيح المشهور الذي قطع به جمهور العلماء كما قال النووي، وليلة المولد الشريف وقع التفضّل فيها على سائر جميع الموجودات فهو الذي بعثه الله عزّ وجلّ رحمة للعالمين. فعممت بمولده النّعمة على جميع الخلائق، فكانت ليلة المولد أعمّ نفعا، فكانت أفضل من ليلة القدر بهذا الاعتبار فوجب علينا أن نقتصر على ما جاء عنه و لا نبتدع شيئا من عند نفوسنا القاصرة عن إدراكه إلا بتوفيق منه ﷺ.

وقد أوضح ما تقدّم الشيخ الحسين بن حبيب بن آدم في شرحه على تنبيه الأنام المسمى بتوضيح المرام ومسرح الإفهام عند قول عبد الجليل بن محمد بن أحمد بن عظوم صاحب تنبيه الأنام في الفصل الرابع من الجزء الأوّل من باب أخلاقه الشريفة عند قوله: اللهمّ صلّ وسلّم على

سيّدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا محمد الذي جعل الله ليلة ولادته أفضل من ليلة القدر. فقال الشارح ما نصّه: وذلك في ثلاثة وجوه. أحدها: أنّ ليلة الولادة، ليلة ظهوره ﷺ، وليلة القدر معطاة له، وما شرف بظهور ذاته المشرف من أجله أشرف ممّا شرف بسبب ما أعطيه و لا نزاع في ذلك. والثاني: أنّ ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة الولادة شرفت بظهوره ﷺ ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممّن شرفت بهم ليلة القدر على الصحيح المرتضى. والثالث: أنّ ليلة القدر وقع فيها التفضّل على أمّة محمدﷺ وليلة المولد وقع فيها التفضّل على جميع الموجودات إذ هو الذي بعثه الله رحمة للعالمين. فعمت النّعمة به على جميع الخلائق، فليلة المولد أعمّ نفعا، فيا شهرا ما أشرفه وأوفر حرمته كذا في القول المنجي. اهـ المراد من الجزء الأول من التوضيح.

وذكر صاحب المدخل أدلّة قويّة على أفضليّة ليلة المولد، وسيأتي ذكرها في الباب التالي إن شاء الله ، وكذلك الشيخ أحمد الصغير في مجموعه.

وقال الشيخ سيد المختار الكنتي رحمه الله في الجزء الأوّل من فقه الأعيان في حقائق القرآن ما نصّه: وممّا فضّلت به الليالي أيضا ليلة مولده ﷺ لأنّه عليه الصلاة والسلام قد انعقد إجماع من يعتبر إجماعه على أنّه ولد بليلة الاثنين ثانية عشر من ربيع النبوي.

وفي الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمي مسألة أطال الكلام فيها في أفضلية عيد المولد ونحن عن غنى عنه لورود كلمات تشير إليها. ومن أراد زيادة فعليه بالكتاب ولينظر جوابه عن أفضلية ولادة النبي ونبوّته و إلاّ فلينظر في الفصل الثاني.

وفي كَنون على خليل في الجزء الثاني من باب الصيام. قوله: ذكر سيدي زروق ...الخ نصّه في شرح القرطبية، صيام يوم المولد كرهه بعض من قرب عصره ممّن صحّ علمه وورعه قائلا أنّه من أعياد المسلمين فينبغي أن لا يصام وكان شيخنا أبو عبد الله الفوري يذكر ذلك كثيرا ويستحسنه.

وقد ذكر مق في جنا الجنتين في فضل الليلتين وصاحب المعيار في جامعه أحد وعشرين وجها تدلّ على أنّها أفضل من ليلة القدر، ثمّ قال واعلم أنّ الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ لا ينبغي أن يختلف في تفضيلها على كلّ ليلة على الإطلاق.

وفي تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسي المتوفى سنة 1137 هـ في المجلّد الثاني منه عند قوله تعالى في سورة النّساء: " وأرسلناك للناس رسولا..." ما نصّه: ثمّ إنّه قد اتفق أهل العلم على أفضليّة شهر رمضان لأنّه أنزل فيه القرآن ثمّ شهر ربيع الأوّل لأنّه مولد حبيب الرحمان. وأما أفضل اللّيالي، فقيل ليلة القدر لنزول القرآن فيها، وقيل ليلة المولد المحمّدي لولاه ما أنزل القرآن و لا تعيّنت ليلة القدر، فعلى الأمّة تعظيم شهر المولد وليلته كي ينالوا منه شفاعته، ويصلوا إلى جواره.

وهذه الأدلّة الصّادرة من هؤلاء العلماء ترجّح أفضلية ليلة المولد ولترجيح قولهم الحديث الذي رواه أبو داوود ومسلم عن أبي قتادة ﷺ قال سئل النبي ﷺ عن صوم يوم الاثنين والخميس قال: فيه ولدت وفيه أنزل عليّ القرآن فهذا أصل واضح لبيان فضل مولده ﷺ. والذي ينبغي التنبيه عليه أنّ هذه الأفضليّة لا تحتاج إلى المناقشة والإيضاح الكبير، فأدلّة الجانبين قويّة وفلسفتهما في كلّ جانب مقبولة وبالله التوفيق ولله الحمد الذي جعل عدّة حكم في قول نبيّه ولآيات قرآنه ونبّهنا الرسول ﷺ بأن رزق جوامع الكلم فكلّ كاتب يخوض في استخراج حقائق أقواله ودرر إرشاداته فهذه نعمة منّ الله بها على هذه الأمّة المحمّدية والله أعلم.

الفصل الرابع: في جواز إحياء عيد المولد النّبوي

قال الله تعالى في كتابه العزيز: " إنّ الله وملائكته...الخ الآية" وقال الله تبارك وتعالى: " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه... الآية". وقال تعالى: " وإذ أخذ الله ميثاق النبئين لما

آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنّه قال ءاقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين".

وقال رسول الله ﷺ في حديث مرويّ عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة وأوّل من ينشقّ عنه الأرض، وأوّل شافع وأوّل مشفّع. **وفي** رواية: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد و لا فخر وما من نبيّ يومئذ آدم فمن سواه إلاّ تحت لوائي، وأنا أوّل من تنشقّ عنه الأرض و لا فخر.

وعن واثلة بن الأسقع ﷺ عن النبي ﷺ قال: إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم. رواه مسلم والترمذي.

وقال العباس ﷺ: يا رسول الله إنّ قريشا جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كبوة من الأرض. فقال النبي ﷺ : إنّ الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير فرقهم وخير الفريقين ثمّ تخيّر القبائل فجعلني من خير قبيلة ثمّ تخيّر البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا.

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: جلس ناس من أصحاب النبي ﷺ ينتظرونه فخرج حتّى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فقال بعضهم: عجبا إنّ الله عزّ وجلّ اتّخذ من خلقه إبراهيم خليلا، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه ربّه تكليما، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله. فخرج عليهم فسلّم وقال سمعت كلامكم وعجبكم إنّ إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجيّ الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك؛ ألا وأنا حبيب الله و لا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة و لا فخر، وأنا أوّل من يحرك حلق الجنّة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين و لا فخر، وأنا أكرم الأوّلين والآخرين و لا فخر.

وعن جبير بن مطعم ﷺ عن النبي ﷺ قال: لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب. رواه البخاري، ومسلم، والترمذي.

وفي مسلم: كان رسول الله ﷺ يسمى لنا نفسه أسماء فقال: أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبيّ التوبة ونبي الرحمة.

وعن البراء ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ رجلا مربوعا بعيد ما بين المنكبين عظيم الجمّة إلى شحمة أذنيه، عليه حلّة حمراء ما رأيت شيئا قطّ أحسن منه. رواه الشيخان.

وعن البراء أيضا قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا، ليس بالطويل البائن و لا بالقصير. رواه الشيخان.

وسئل البراء ﷺ: أ كان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر. رواه البخاري والترمذي.

ففضائل هذا النبي لا تعدّ و لا تحصى في الأحاديث.

فكفاه فخرا ما مدحه الله به وما مدحه به أصحابه وما قيل أيضا من المدائح والأشعار عن العلماء الأعلام والجهابذة الكرام في حقه ﷺ.

و في بعض النوازل أنّ أهل تنبكتو من أكثر الناس اعتناء بإنشاد قصائد المديح في المساجد والبيوت والمجالس ولو في المصانع ولم نسمع بإنكار أحد من علمائها الذين بلغوا الغاية القصوى في معرفة العلم والدين بل لقد كانوا ممّن يتعاطى ذلك بأوراد معلومة فيما بلغنا فراجع تاريخ السودان بالتأمّل.

ثمّ اعلم أنّ عيد المولد النبوي بدعة حسنة، و لا شكّ أنّ سيرة المصطفى ﷺ من أشرف معجزة يتباهى بها المسلم وأحسن القدوة التي يقتدي بها المؤمن، وقد تبارى أحباب الله وأولياؤه في مدحه بذكره وفضله فمنهم من أجاد بل كلّ عمل على قدر طاقته فلله درُّهم ورحمهم ورضي عنهم. وقال البوصيري:

فمبلغ العلم فيه أنّه بشر   وأنّه خير خلق الله كلّهم

(وأنّ السلف والخلف لم يزالوا من اتخاذ شهر ميلاد خير العباد أعيادا واحترافهم بإظهار الأشواق إلى جماله أكبادا مجتمعين في المجالس العالية وأفرادا باكين بقراءة كتاب مولده موقّدين في الحشا نار المحبّة إيقادا فرحم الله عبدا أبرز المسرّات وأظهر المبرات في ذلك الأمر تقرّبا إلى ربّ العباد ورغما لأهل الكفر العناد).

وفي نوازل الشيخ العالم العلامة والبحر الفهامة باي بن سيد عمر رحمه الله المتوفى سنة؟ نفعنا الله بعلمه ما نصّه: وأمّا الإجماع لعمل المولد الشريف فبدعة، والمختار أنّه بدعة مستحسنة، وخالف في ذلك ابن الحاج كعادته في اختيار تجنب جميع ما ابتدع وأن لم يصادم أصلا، و لا شكّ أنّ ذلك أصل المذهب لكن الأكابر من الفقهاء والصوفية لم يسلموا ذلك، بل تعقبوا من كلام ابن الحاج، وقد ألّف الجلال السيوطي تأليفا في ردّ بعض ما أورده ابن الحاج.

وفي الجزء الأوّل من الزرقاني على المواهب للقسطلاني ﷺ وعنا به ما نصّه: والحاصل أنّ عمله بدعة لكنّه اشتمل على محاسن وضدّها فمن تحرّى في عملها المحاسن وتجنّب ضدّها كان بدعة حسنة، ومن لا فلا.

وقال الحافظ ابن حجر في جواب سؤال عن أصل استخراج سبب هذا العيد فأجاب وأجاد. وقد ظهر لي تخريجه عن أصل ثابت في الصحيحين وهو أنّ النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا، هذا يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى فيه موسى عليه السلام فنحن نصومه شكرا لله تعالى. فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منّ به يوم معيّن من إسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظراء ذلك اليوم من كلّ سنة. والشكر لله تعالى يحصل بأنواع العبادة من الصلاة والصيام والصّدقة والتّلاوة وأيّ نعمة أعظم من بروز هذا النّبي الذي هو رحمة لجميع العالمين في ذلك اليوم. فينبغي أن يتحرى ذلك اليوم بعينه حتّى يطابق قضية موسى في يوم عاشوراء فهذا ما يتعلّق بأصل عمل المولد. **وأما ما يعمل** فيه فينبغي أن يكون ممّا يفهم منه الشكر لله تعالى على نحو ما تقدّم ذكره وإنشاد شيء من مدائحه وما ألحق بها من الأشعار الوعظيّة والزّهدية المحرّكة للقلوب على فعل الخير للخير والعمل للآخرة. **وأمّا** ما يكون مع ذلك من السماع واللّهو وغير ذلك فينبغي أن يقال ما كان منه مباحا بحيث يقصد به السرور بذلك اليوم فلا بأس به.

وقال ابن عباد ﷺ في رسالته الكبرى: الذي يظهر لي أنّه عيد من أعياد المسلمين ومواسمهم وما يفعل فيه من إيقاد الشّمع وامتناع البصر والسمع والتزيّن بلباس فاخر الثياب وركوب فره الدّواب أمر مباح لا ينكر قياسا على غيره من أوقات الفرح.

وسبق الحافظ بن رجب على الحافظ بن حجر بقوله: وظهر لي تخريجه على أصل آخر وهو ما رواه البيهقي عن أنس أنه ﷺ عقّ عن نفسه و لا تعاد العقيقة مرّة ثانية فيحتمل أنّه فعله شكرا فلذلك يستحبّ لنا إظهار الشكر بمولده بالإجماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات.

وذكر الشيخ حمى الله في فتاواه: أنّه خرج يوم المولد إلى ساحل البحر فوجدت هناك سيدي الحاج أحمد بن عاشر وجماعة من أصحابه وقد أخرج بعضهم طعاما جزيلا مختلفا ليأكلوه فقلت: إنّي صائم فنظر إليّ سيدي الحاج نظرة منكرة، وقال هذا اليوم يوم فرح وسرور ويستقبح في مثله الصّيام بمنزلة العيد فتأمّلت كلامه فوجدته حقّا وكأنّي كنت نائما فأيقظني.

إذا علمت هذا كلّه ظهر لك أنّ من قلّد من قال من أئمّتنا باستحباب ما ذكرنا وفعله على إرادة الثّواب أثابه الله على فعله إن شاء الله و لا يسمع من يرى أنّ ذلك بدعة منكرة أن ينهاه وينكر عليه في ذلك لأنّ شرط الإنكار كون الفعل متّفقا على تحريمه.

وقد نبّه القاضي عياض في إكماله على أنّه لا ينبغي للآمر بالمعروف حمل الناس على مذهبه.

وذكر أبو المكارم رحمه الله على أنّ السلف والخلف لم ينفكّوا من إظهار البهجة والسرور في شهر ولادة بدر البدور وبحر البحور وغير ذلك ممّا يناسبه، ويقاربه من الأمور وأن يستغرق

في حبّه بل يكون هوﷺ أحبّ إليه من نفسه وولده ووالده والوالدة والقرابات وأن يجعل الشّهر الذي ولد فيه عليه الصلاة والسلام عيدا وسرورا لا سيّما العترة الطاهرة فإنّ ذلك واجب عليهم أو فريضة.

وفي المواهب اللدنيّة ما حاصله أنّ أبا لهب رئي في المنام فسئل عن أطواره في العذاب الأليم فقال: إني مقيم في ألم الجحيم إلاّ أنّ عذابي يخفّف في ليلة كل اثنين وأمصّ إصبعي فيجري منه ماء إلى حلقومي وادفع به عطشي وكربي، وسبب ذلك أنّه لما ولد محمد ﷺ في ليلة الاثنين في ربيع الأوّل أعتقت جاريتي ثويبة بسرور ولادته وجعلتها مرضعة له.

وفي شرح إكمال إكمال المعلم للوشتاني الأبي مع حاشية مكمل إكمال الإكمال لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي المتوفى سنة 895هـ كلاهما على صحيح مسلم في قضية ثويبة أتيا بنفس الحكاية فأنظرها.

ونقل عن الحريري ما معناه أنّ أبا لهب الذي نزل في ذمّه القرآن إذا كان حاله كذلك بسبب مسرّته في تلك الليلة فما ظنّك بموحّد سرّ في جميع عمره بمولده ﷺ وجعل يومه وليلته عيدا ونورا ومسرّة وحبورا فلعمر الله عز وجل أنّ جزاء هذا المؤمن من الله الكريم أن يدخله جنّة النّعيم بفضله العميم.

وقال أبو المكارم وعندي في التحقيق إن إطلاق العيد على ليلة طلوع هذا النجم السعيد حقيقية وعلى سائرها مجاز.

وفي النّظم الظريف لنوازل حمى الله الشريف قوله:

والحزب والمديح في المساجد حسّنه الأشياخ بالقواعد

وفي المدخل لابن الحاج ما نصّه: فكان يجب أن يزاد فيه من العبادات والخير شكرا للمولى سبحانه وتعالى على ما أولانا من هذه النّعم العظيمة وإن كان النبي ﷺ لم يزد فيه على غيره من الشهور شيئا من العبادات وما ذاك إلاّ لرحمته ﷺ بأمّته ورفقه بهم لأنّه عليه الصلاة والسلام كان يترك العمل خشية أن يفرض على أمّته رحمة منه بهم كما وصفه المولى سبحانه وتعالى في كتابه حيث قال: " بالمؤمنين رؤوف رحيم" لكن أشار عليه الصلاة والسلام إلى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله عليه الصلاة للشمائل الذي سأله عن صوم يوم الاثنين فقال له عليه الصلاة والسلام ذلك يوم ولدت فيه فتشريف هذا اليوم متضمّن لتشريف هذا الشهر الذي ولد فيه. فينبغي أن نحترمه حقّ الاحترام ونفضّله بما فضّل الله به الأشهر الفاضلة وهذا منها لقوله عليه الصلاة والسلام: أنا سيد ولد آدم و لا فخر، ولقوله عليه الصلاة والسلام: آدم ومن دونه تحت لوائي... إلى أن قال رحمه الله فعلى هذا ينبغي إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يكرم ويعظّم ويحترم الاحترام اللائق به وذلك بالاتباع له ﷺ في كونه عليه الصلاة والسلام كان يخصّ الأوقات الفاضلة بزيادة البرّ فيها وكثرة الخيرات. اهـ.

وقال الشيخ الأكبر والفقيه الأنور عالم التّكرور ومفتيها عثمان فودي رحمه الله في بعض تواليفه: (فإن قلت فما حكم ما يفعل الناس في شهر ربيع الأوّل في يوم المولد أو اليوم السابع من المولد من اجتماع الناس للذّكر والطعام الذي يفعلونه كذلك. **قلت** أنّه بدعة مكروهة إن خلا عن كلّ معصيّة. **وقال** أيضا قيل الصّواب أنّ عمل المولد الشريف النبوي من البدع الحسنة المندوبة إذا خلا عن كلّ معصيّة).

وقال الشنواني في شرحه على مختصر أبي حمزة البخاري في الحديث السادس والأربعين بعد المائتين: وأمّا الممدوح كالمشتمل على مدح المصطفى ﷺ والذكر والزّهد والمواعظ فليس محمل الحديث المذكور يعني به قوله ﷺ لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا.

وقال العلامة الصفتي في حاشيته على ابن التركي على العشماويّة: وأمّا يوم مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام فقال بعض العلماء يكره صومه لأنّه من أعياد المسلمين.

وقد قال ابن حجر الهيثمي: والحاصل أنّ البدعة الحسنة متّفق على ندبها وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك أي بدعة حسنة.

و في كتاب إنسان العيون في الجزء الأوّل للعلامة علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي ما نصّه: ومن ثمّ قال الإمام أبو شامة شيخ الإمام النووي من أحسن ما ابتدع الناس في زماننا ما يفعل كلّ عام في اليوم الموافق ليوم مولده ﷺ من الصّدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء مشعر بمحبّته ﷺ الذي أرسل رحمة للعالمين. هذا كلامه.

قال السخاوي: لم يفعله أحد من السلف في القرون الثلاثة وإنّما حدثت بعد ثمّ لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدّقون في لياليه بأنواع الصّدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كلّ فضل عميم.
قال ابن الجوزي من خواصه أنّه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام.

وقد استخرج الحافظ ابن حجر أصلا من السّنّة وكذا الحافظ السيوطي وردّا على الفاكهاني في قوله أنّ عمل المولد به بدعة مذمومة.

وفي السيرة النبوية لمفتي السادة الشافعية الشيخ دحلان بيانا كافيا شافيا في إحياء عمل المولد و زاد عليه أقوالا قدمناه فلا نحتاج إلى الرجوع إليها ولكن لا بدّ من إتيان أبيات منه تتميما للفائدة وتوضيحا للغو امض وترغيما للمنكرين الجاحدين وهي: رحم الله قائلها وهو شمس الدين محمد بن ناصر:

إذا كان هذا كافر جاء ذمّــــــه ... وتبّت يداه في الجحيم مخلّــدا
إلى أنّه في يوم الاثنين دائـــما ... يخفّف عنه للسرور بأحـــمدا
فما الظنّ بالعبد الذي كان عمره ... بأحمدا مسرورا ومات موحّدا

وذكر الشيخ دحلان في سيرته أيضا: أنّ نزار لمّا ولد ونظر أبوه إلى نور النبي ﷺ بين عينيه فرح فرحا شديدا ونحر وأطعم وقال إنّ هذا كلّه نزر أي قليل بحقّ هذا المولود فسمّي نزّار لذلك.

يقول جامع هذا الكتاب غفر الله له ولوالديه ولأشياخه. أنّ من العلماء من قال أنّ قوله تعالى والضحى والليل مراده تعالى بالليل ليلة ولادته ﷺ وقيل أراد بالليل ليلة الإسراء و لا مانع أن يكون الأقسام وقع بينهما أي أستعمل فيها وقد جعل الله تعالى آيات في جميع العالم يوم مولده ﷺ وذكر نبذة منها صاحب الهمزيّة بقوله:

وتوالت بشرى الهواتف أن قد ... ولد المصطفى وحقّ الهناء

أي تتابعت بشارة الهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته و لا يرى شخصه بأن قد ولد المصطفى المختار على الخلق كلّهم وثبت لهم الفرح والسرور. ومن آيات الله تعالى في ذلك زلزلة الكعبة ولم تسكن ثلاثة أيام بلياليهن، وكان ذلك أوّل علامة رأت قريش من مولد النّبي ﷺ وار تجس أي اظطرب. وانشقّ إيوان كسرى أنو شروان وكان بناء محكما مبنيا بالحجارة الكبار والجصّ بحيث لا تعمل فيه الفؤوس مكث في بنائه نيفا وعشرين سنة وسمع لشقّه صوت هائل وسقط من ذلك الإيوان أربع عشر شرفة وليس ذلك لخلل في بنائه وإنّما أراد الله تعالى أن يكون ذلك آية لنبيه، باقية على وجه الأرض وأشار إلى هذه الآيات صاحب الأصل بقوله في الطّويل:

لمولده إيوان كسرى تشققت ... مبانيه وانحطت عليه شؤونـــه
لمولده خرّت على شرفاتــه ... فلا شرف للفرس يبقى حصينه
لمولده نيران فارس أخمدت ... فنورهم الأخماد كان حصينـــه
لمولده غاضت بحيرة ساوة ... وأعقب ذاك المدجور يشينـــه
كأن لم يكن بالأمس ريالنا هل ... و ورد العين المستهام معينـــه

وذكر أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي في شرحه على المقامات للحريري في الجزء الثاني عند ذكر سُطيح ما نصّه: ومن كهانته أنّه لمّا كان ليلة مولد رسول الله ﷺ ارتجّ إيوان كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرفة فأعظم ذلك أهل المملكة وكتب إلى كسرى صاحب الشام أنّ وادي السماوة انقطع تلك الليلة وكتب إليه صاحب اليمن أنّ بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة، وكتب إليه صاحب طبرية أنّ الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية، وكتب إليه صاحب فارس أنّ بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة، فلما تواترت عليه الكتب

أظهر سريره وبرز إلى أهل مملكته فأخبرهم الخبر، فقال الموبذان: أيّها الملك إني رأيت تلك الليلة رؤيا هاليني، رأيت إبلا صعابا تقود دخيلا عرابا، حتى اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادنا قال فما عندك في تأويلها قال ما عندي شيء ولكن أرسل إلى عاملك بالحيرة يوجه إليه رجلا من علمائهم، فإنهم أصحاب علم بالحدثان، فبعث إليه، فوجّه عبد المسيح بن نفيلة الغساني، فأخبره كسرى بالخبر، فقال أيها الملك ما عندي فيها شيء ولكن جهزني إلى الشام إلى خالي سطيح فجهّزه، فلما قدم عليه وجده قد احتضر فناداه فلم يجبه فقال:

أصمّ أم يسمع غطريف اليمن   رسول قيل العجم يهري للوثن
يا فاصل الخطة أعيت من ومن   أتاك شيخ الحيّ من بل سنن
أبيض فضفاض الرداء والرسن

فرفع إليه سطيح رأسه وقال: عبد المسيح على جمل مشيح أقبل إلى سطيح وقد أوفى على الضّريح، بعثك ملك بني ساسان لارتجاج الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى إبلا صعابا، تقود خيلا عرابا حى اقتحمت الواد وانتشرت في البلاد عبد المسيح إذا ظهرت التلاوة وغاض وادي السماوة، وظهر صاحب الهراوة فليست الشام لمسطيح بشام يملك منهم ملوك وملكات بعدد ما سقط من الشرفات وكل ما هو آت. ثمّ قال:

إن كان ملك بني ساسان أفرطهم   فإنّ ذا الدهر أطوار دهاريـر
منهم بنو الصرح بهرام واخوته   والهرمزان وسابور وسابـور
فربما أصبحوا منهم بمنزلـــة   يهاب صولهم الأسد إليها صير
حثوا المطي وجدوا في رحيلهم   مما يقود لهم سرج و لا كـمور
والناس أبناء علات فمن علموا   أن قد أحد فمحقور ومهجـــور
والخير والشر مقرونان في قرن   والخير متبع والشرّ محـــذور

فأتى كسرى فأخبره فغمّه ذلك فقال إلى أن يملك منّا أربعة عشر ملكا يدور الزّمان، فملكوا كلّهم في أربعين سنة. اهـ.

وقال الشيخ أحمد بابا السوداني في كفاية المحتاج في ترجمة عيسى بن محمد بن عبد الله بن الإمام أبو موسى أحد الأخوين عرفا بأبناء الإمام التلمساني، قوله: وقال الخطيب بن مرزوق سمعته وغيره من شيوخ الغرب يستحسنون ما أحدثه العزفي وولده أبو القاسم بالمغرب في ليالي المولد، وهما من الأئمّة ويصوبون قصدهما فيه والقيام به ونقل عن المغاربة إنكاره والأظهر عندي ما قاله بعضهم أنّ الصلاة عليه في تلك الليلة وإحياءها بأنواع البرّ ومعونة آله وتعظيم حرمهم وإحياء سنته أفضل مما سواها مما أحدث إذ لا يخلو من فساد في النيّة أو العمل بالأفضل ما تقدّم اهـ.

وفي جواهر البحار للنبهاني ذكر أنّ للإمام ابن حجر الهيثمي فتاوى وهذا عين سؤاله بالاختصار: سئل عن حكم الموالد والأذكار التي يفعلها كثير من الناس في هذا الزمان هل هي سنّة...الخ. فأجاب بقوله: الموالد والأذكار التي تفعل عندنا أكثرها مشتمل على خير كصدقة وذكر وصلاة وسلام على النبي ﷺ وعلى شرّ لم يكن منها إلاّ رؤية النساء للرّجال الأجانب.

قلت ولهذا الشيخ أعني أحمد بن حجر الهيثمي مجموع نفيس سماه بالنعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم. وقد ذكر فيه سيرته ﷺ.

وقد شرح هذا المجموع المذكور السيد الشريف العلامة أحمد عبد الغنى بن عمر عابدين الدمشقي المتوفى سنة 1320هـ، وذكر في المقدمة ما يدلّ على جواز إحياء هذه الذّكرى العطرة فقال: اعلم من البدع المحمودة عمل المولد الشريف في الشهر الذي ولد فيه ﷺ إلى أن قال رحمه الله إنّ أكثر الناس عناية بذلك أهل مصر والشام. **وذكر** أيضا في شرحه أن بعضهم قد سأل الإمام المحقق أبا زرعة العراقي عن عمل المولد، هل هو مستحب أو مكروه، وهل ورد فيه شيء وهل نقل فعله عمّن يقتدى به؟ فأجاب رحمه الله تعالى بأنّ اتخاذ الوليمة وإطعام الطعام مستحب في كلّ وقت فكيف إذا انضم إلى ذلك الفرح والسرور وبظهور نور النبوة في هذا الشهر الشريف و لا نعلم غير ذلك عن السّلف و لا يلزم من كونه بدعة كونه مكروها فكم

من بدعة مستحبّة بل واجبة. **وقال أيضا**: إنّه ينبغي لكل صادق في حبّه ﷺ أن يستبشر بهذا الشهر السارّ ويعتقد فيه محفلا يقرأ فيه ما صحّ في مولده ﷺ من الآثار عسى أن يدخل الجنّة مع الأبرار بفضل الصلاة والتسليم.

وفي الجزء الثاني من حاشية العلامة الهمام أبي عبد الله سيدي محمد الطالب بن العلامة سيدي حمدون بن الحاج على الميارة على ابن عاشر قوله بعد كلام: ويوم مولد النبي ﷺ لأنّه من أعياد المسلمين نقله الشيخ زروق عن ابن عباد بَلْ قال الشيخ العارف بالله أبو الفوارس سيدي عبد العزيز الدباغ أنّ أهل الخير والبصيرة يتحرون فيه أهمّ الأمور عندهم و أوكدها لديهم من جميع ما يهمّهم أمره من أمور الدين والدنيا... إلى أن قال وغير ذلك كله بفضل التماس بركته ﷺ والاستناد إليه والانحياش إلى جانبه والاعتصام به وبواسطته التي هي أصل الخيرات كلّها ومنبع البركات بأسرها، وقمن لمن حصلت له هذه النية وراعى ما يقتضيه جانب الأدب معه ﷺ أن ينال غاية المطلوب ونهاية المرغوب. اهـ الاختصار.

وذكر الشيخ أحمد الصغير حمى الله بن أحمد بن أحمد بن حمى الله التشيتي المسلمي المالكي في كتابه منن العليّ الكبير بفوائد أحمد الصغير في الجزء الرّابع منه ما نصّه: **و**ينبغي أن يرجّح أهل الفضل حضور المديح على طريق الأوراد لما فيه من موافقة الإخوان وزيادة إظهار تعلية منار حضرة عظمة مجده ﷺ... إلى أن قال: **و** في المدائح النبوي المدوّن اليوم من التوجيهات والذّكر والتذكير واستجلاب الخيور والاستعاذة من الشرور ما إن لم يزد على ما في الأوراد لم تزد هي عليه إن شاء الله تعالى وحسبك من أشغاله للبطالين، إن الناس السامعين والمادحين مشتغلون به، وحسبك من تقويته للمريدين ما فيه من أخلاقه ﷺ الزكيّة وسيرته السنيّة.

ويرجّح ما قاله الشيخ أحمد الصغير ما ذكر محمد حبيب الله بن مايابى الجكاني الشنقيطي في شرحه إضاءة الحالك من ألفاظ دليل السالك إلى موطّأ الإمام مالك فقال رحمه الله: ... فإنّ الكرام إذا مدحوا بذكر شمائلهم أجزلوا المواهب والعطايا كما علم من سيرته ﷺ حيث أعطى العباس بن مرداس لما مدحه مائة من الإبل كما هو معلوم من حديث قصّته. وقد خلع ﷺ حلته على كعب بن زهير لمّا مدحه بقصيدته التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول — متيم أثرها لم يفد مكبول

ففي خدمته بالمدح وذكر شمائله، وضبط أحاديثه، التعرّض لنفحات الرحمة الإلهيّة، لأنه إذا كانت رحمة الله تنزل عند ذكر الصالحين فما بالك بسيّدهم ومددهم ﷺ. وبالجملة فأدنى انتساب إليه ﷺ يحصل غاية النفع والشرف إذ لم يخلق الله تعالى خلقا أكرم عليه من محمّد ﷺ كما قال ابن عباس، رضي الله عنهما، ولم يخلق جاها أعظم من جاهه ﷺ فيحصل لخادمه من الجاه بحسب ما له ﷺ من العزّ والشرف كما هو معلوم وكما نصّ عليه غير واحد من أئمّة الدّين وعلمائه العاملين كالعلامة سيدي محمد بن قاسم جسوس في أول شرح الشمائل للترمذي قال: قال سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى ما في الوجود من جعل الله تعالى له الحلّ والرّبط دنيا وآخرة مثل النّبي ﷺ ، فمن خدمه على الصدق والمحبّة والوفاء، دانت له رقاب الجبابرة، وأكرمه جميع المؤمنين كما ترى ذلك فيمن كان مقرّبا عند ملوك الدّنيا ومن خدم السيّد خدمته العبيد. وكما أنّ غلام الوالي لا يتعرّض له إذا سكر مثلا إكراما للوالي فكذلك خدّام النبي ﷺ لا تتعرّض لهم الزّبانية يوم القيامة إكراما لرسول الله ﷺ فقد فعلت الحماية مع التقصير ما لا تفعله كثرة الأعمال الصالحة مع عدم الاستناد لرسول الله ﷺ الاستناد الخاص. قال ولشيخنا العلامة سيدي محمد عبد الرحمن بن زكرى رحمه الله تعالى في هذا المعنى من قصيدته همزيّة المديح:

وإذا ما الجناب كان عظيما — مدّ منه لخادميه لـــــواء. اهـ منه

قال الشيخ أحمد بن زيني دحلان المفتي رئيس العلماء وشيخ الخطباء الشافعي المكي المتوفى بالمدينة المنورة سنة 1304 هـ في محرّم في كتابه الدّرر السنيّة في الردّ على الوهّابية بعد كلام: ... فإنّ الله تعالى عظّم النبي ﷺ في القرآن الكريم بأعلى أنواع التّعظيم، فيجب علينا أن نعظّم من عظّمه الله تعالى وأمر بتعظيمه نعم يجب أن لا نصفه بشيء من صفات الربوبيّة رحم الله البوصيري حيث قال:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم   واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فليس في تعظيمه بغير صفات الربوبيّة شيء من الكفر والإشراك بل ذلك من أعظم الطّاعات والقربات وهكذا كل من عظّم الله تعالى كالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكالملائكة والصدّيقين والشهداء والصّالحين قال تعالى ومن يعظّم شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب. وقال تعالى ومن يعظّم حرمات الله فهو خير له عند ربّه. **ومن** تعظيمه ﷺ الفرح بليلة ولادته وقراءة المولد والقيام عند ذكر ولادته ﷺ وإطعام الطعام وغير ذلك مما يعتاد الناس فعله من أنواع البرّ فإنّ ذلك كلّه من تعظيمه ﷺ وقد أفردت مسألة المولد وما يتعلق بها بالتأليف واعتنى بذلك كثير من العلماء. اهـ المراد منه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه: (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)المطبوع بمطبعة الحكومة بمكة المكرمة سنة 1389 هـ، في الصفحة 294. ما نصّه: " وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما محبّة للنبي ﷺ وتعظيما له والله قد يثيبهم على هذه المحبّة والاجتهاد لا على البدع، من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيدا مع اختلاف الناس في مولده فإنّ هذا لم يفعله السلف" وقال أيضا:" وكثير من المنكرين لبدع العبادات تجدهم مقصرين في فعل السنن من ذلك أو الأمر به ولعلّ حال كثير منهم يكون أسوأ من حال من يأتي بتلك العادات المشتملة على نوع من الكراهة... إلى أن قال: فتعظيم المولد واتخاذه موسما قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله ﷺ كما قدمته لك".اهـ

وقال المحجوبي في تاريخه: منح الربّ الغفور عند ترجمة أحمد الصّغير بن حمى الله بن أحمد بن أحمد ومن منظومته في مدح النّبي ﷺ قوله:

بشرى لنا معشر الإسلام مولد من   قد ساد مولده أعياد كلّ زمن

وفي الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية للشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن ناصر الدرعي التي جمعها عنه سيدي محمد أبي القاسم الصّنهاجي ما نصّه: بعد جوابه عن خبر كتب المدح: " واجتماع الناس لمدح النبي ﷺ جائز وإن لم يكن من عمل السّلف".

وفي الجزء الثاني من عارضة الأحوذي للشيخ الأوحد المحدّث الحافظ القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله الأشبيلي المعروف بابن العربي المالكي ﷺ على جامع الترمذي في باب ما جاء في كراهيّة البيع والشراء...الخ قوله: و لا بأس بإنشاد الشعر في المسجد إذا كان في مدح الدّين وإقامة الشّرع وإن كانت فيه الخمر ممدوحة بصفاتها الخبيثة من طيب رائحة وحسن لون إلى غير ذلك مما يذكره من يعرفها فقد مدح فيه كعب بن زهير رسول الله ﷺ فقال: {بانت سعاد فقلبي لبيوم مبتول} إلى قوله في صفة ريقها:{كأنه منهل بالراح معلول}. اهـ المراد منه.

ومثله في سبل السلام شرح بلوغ المرام للسيد الأمير في الحديث الخامس من باب المساجد راجعه.

وفي نوازل حمى الله الشريف الشهير بعبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله الغلاوي في الخاتمة بعد مسائل مختلفة يقول: " لمّا كان مدحه ﷺ من أعظم العبادات ومن أقوى الأسباب الباعثة على حبّه ﷺ استحسن أشياخنا أن يتّخذوا منه وردا في المساجد التي هي مجتمعنا للعبادة إظهارا لمحبّته ﷺ وإعلاما بعظيم قدره عند الله تعالى وتبرّكا بذكره ﷺ إذ هو مع ذكره كما قال أبو زيد: {وأدنيته بالذّكر فهو به معي}... إلى أن قال: وقد بلغنا أن بعض العلماء الأجلّة من أهل شنجيط كان مشتغلا بالتنفّل في المسجد حتّى سمع من مادحيه ﷺ قول أبي زيد: {دعوا كلّ شغل لامتداح محمّد} فأنصرف عن التنفّل لمدحه ﷺ وقال (دعنا كل شغل لامتداح محمّد) وما ذلك إلاّ لكون مدحه ﷺ من أجلّ العبادات وأوكد المهمّات كما قال أبو: {ومدح رسول الله من أوكد الفرض}. وقال قبل هذا بسطرات: { إن انتقل إليه من صلاة نفل أو ذكر كان فيه كانتقاله إن شاء الله تعالى من عبادة إلى عبادة}.

ومن أراد زيادة وإيضاحا على ما تقدّم فعليه بالحاوي للفتاوى للإمام السيوطي في الجزء الأوّل منه فقد أفرد لها وسماها: "حسن المقصد في عمل المولد".

وأنظر في نوازل أبي عبد الله سيد محمد الشهير بالمسناوي الفاسي في باب الجامع للمسائل المتفرقة تجد فيها إن شاء الله ما يقنع القلب ويشفي الغليل إن شاء الله.

وقد يرى بعضهم أن عيد المولد النبوي من باب الذكرى بلا شك تنفع المؤمنين لقوله تعالى : " فذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين".

الفصل الخامس: ما جاء في القيام عند ذكر ولادته ﷺ

وأمّا يفعله الناس أيضا لقيامهم عند وصولهم المواضع التي يذكر فيها مولد النبي ﷺ أو المواضع التي أمر النّاشد بالقيام في حقّه ﷺ فقد جرت العادة على ذلك ولم نسمع بإنكاره عند أحد من السلف إلا بالقليل، ولنا تنبيه نفيس يرجّحه، وهو، ما ذكره الإمام العلامة الشيخ نجم الدّين الغيطي في كتابه بهجة السامعين والنّاظرين بمولد سيّد الأوّلين والآخرين. فقال رحمه الله: جرت العادة بأنّه إذا ساق الواعظ والمدّاح مولده ﷺ وذكروا وضع أمّه له ﷺ قام أكثر النّاس عند ذلك، تعظيما له ﷺ وهذا القيام بدعة لا أصل لها لكن لا بأس بها لأجل التعظيم بل هو فعل حسن بمن غلب عليه الحبّ والإجلال لذلك النبي ﷺ، وما أحسن قول الإمام البليغ حسان زمانه أبي ذكريا يحي الصرصري الحنبلي من بعض قصائده النبوية:

قليل لمدح المصطفى الخطّ بالذّهب   على فضّة من خطّ أحسن من كتب
وأن ينهض الأشراف عند سماعــه   قياما صفوفا أو جثيا على الركب
أمّا الله تعظيمـــــا له كتب اسمه   على عرشه يا رتبة سمت الرتب

وقد اتفق أنّ منشدا أنشد هذه القصيدة في ختم درس الشيخ أبي الحسن السبكي رحمه الله تعالى وكان القضاة والأعيان مجتمعين عنده فلمّا وصل المنشد إلى قوله: وأن ينهض الأشراف عند سماعه...الخ البيت قام الشيخ في الحال على قدميه امتثالا لما ذكره الصرصري وقام الناس كلهم وحصلت ساعة طيّبة. ذكر ذلك ولده التاج السبكي في ترجمته في طبقاته.

وذكر صاحب نزهة المجالس: أن القيام عند ولادته ﷺ لا إنكار فيه فإنّه من البدع المستحسنة وقد أفتى جماعة باستحبابه عند ذكر ولادته، وقال جماعة بوجوب الصلاة عليه عند ذكره وذلك من الإكرام والتعظيم له ﷺ وإكرامه وتعظيمه واجب على كلّ مسلم مؤمن ولا شكّ أنّ القيام له عند الولادة من باب التعظيم والإكرام وقال مؤلفه رحمه الله تعالى لو استطعت القيام على رأسي لفعلت أبتغي بذلك الزّلفى عند الله عز وجل.

وقد عيّن الشيخ محمّد بن المختار الشنقيطي في كتابه مولد إنسان الكمال موضعا خاصّا إذا بلغ القارئ هناك ندبا عليه أن يقوم على قدميه إكراما وإعظاما للنبيّ ﷺ وهو من غير شكّ من العلماء الثقات.

وفي الجزء الرّابع من مجموع فوائد أحمد الصّغير ما نصّه: ومن الفوائد ما قال الحلبي قد جرت عادة كثير من النّاس إذا سمعوا ذكر وصفه ﷺ أن يقوموا تعظيما له، وهذا القيام بدعة لا أصل لها لكنّها بدعة حسنة ثم قال وقد وجدوا القيام عند ذكر إسمه ﷺ من عالم الأمّة ومقتدي الأمّة دينا و ورعا تقيّ الدين السبكي رحمه الله وتابعه على ذلك مشائخ الإسلام في عصره. وقد حكى بعضهم أنّ الإمام السبكي اجتمع عنده جمع كثير من علماء عصره..الخ الحكاية المتقدّمة مع لفظها... إلى أن قال فعند ذلك قام السبكي رحمه الله تعالى وجميع من بالمجلس ويكفي مثل ذلك في الاقتداء. اهـ **قلت:** ومن هذا القبيل قيام أهل التكرور عند سماع بيت الفزازي:

قياما على الأقدام في حقّ سيدي *** له الفضل شخص والنبوّة رونق

فهو البدع المستحسنة بشهادة ما تقدّم وأخاف أن يكون في تركه من عدم الاعتناء بإعلاء شامخ أطواد عزّته ﷺ ما يؤدي إلى عدم الأدب معه ﷺ بل ينبغي الدّخول مع النّاس في جميع ما

ابتدعوه من تعظيم جنابه ﷺ ممّا له مستند شرعي أو لا يصادمه دليل نقلي كما يفعل في بلادنا سابع ولادته وليلة ولادته ﷺ من إظهار الزّينة والسّرور والاجتماع لمديحه ﷺ في المساجد والمحافل وإطعام أهل مديحه ﷺ. و لا ينبغي الخروج من زمرة أهل التعظيم لهذا الجناب.

قال مصطفى إبراهيم الكربمي السيامي في رسالته نور اليقين في مبحث التلقين: الفرع الثالث في بيان القيام عند ذكر ولادته ﷺ اعلموا أيّها الأحباب وفّقكم الله تعالى وإياي لطاعته أنّ القيام عند ذكر ولادة المصطفى ﷺالمسمّى بالقيام الميلادي مستحسن لأنّه يكون تعظيما له ﷺ، وقد قال ابن حجر في فتاواه الحديثية أنّه قد جرى على استحسان ذلك القيام تعظيما له ﷺ من يقتدي بعمله في كلّ بلد من بلاد الإسلام وفي كلّ قرية من قرى الإسلام فيكون القيام الميلادي مستحسنا استحسانا شرعيا قطعا... إلى أن قال: فيا أيّها الأحباب إذا علمتم أنّ القيام الميلادي مستحسن بما تقرّر من البيان، فلا ينبغي لكم و لا لأيّ مسلم أن يتركه و لا يمنع عنه بل ربّما استلزم تركه أو المنع عنه الاستخفاف بالمصطفى ﷺ. وقد نصّ العلامة خليل في مختصره على أنّ المستخف بنبي أو ملك يقتل كفرا إن لم يتب وإلاّ قتل حدّا. ومن هنا أفتى أبو السعود العمادي الحنفي بكفر من يترك القيام الميلادي حين يقوم الناس عند سماع ذكر ولادته ﷺ. اهـ.

وقد قدّمنا في الباب المتقدم قول الشيخ أحمد بن زيني دحلان في كتابه الدّرر السنيّة، أنّ من تعظيمه القيام عند ذكر ولادته.

وقد قال الشيخان الإمامان العزّ بن عبد السلام وابن الصّلاح وتبعهما العلماء أنّ القيام عند ذكر ولادته أصبح واجبا لأنّ المسلمين تعارفوا عليه وأنّ عدم القيام يدلّ على الاستخفاف برسول الله ﷺ والازدراء وعدم التعظيم له ﷺ وهذا كفر.

وفي فضل الذّاكرين والردّ على المنكرين في آخره للأستاذ عبد الغنى حماده ما نصّه: القيام له ﷺ مثل السّيادة له ﷺ فقد روي عنه أنّه أمر أصحابه أن لا يقوموا له إذا مرّ بهم فمرّ يوما بشاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه فقام له وأنشد:

* قيامي للعزيز عليّ فرض *** وترك الفرض ما هو مستقيم*

* عجبت لمن له عقل وفهم *** يرى هذا الجمال و لا يــقوم*

فأقرّه رسول الله ﷺ على ذلك وفيه حجّة لمن قال أنّ مراعاة الأدب معه ﷺ خير من امتثال أمره ﷺ. اهـ منه. **وقد** قدّم قبل هذا أخذا ودليلا من قوله ﷺ في الحديث الصحيح (ما منعك يا أبا بكر أن تثبت إذ أمرتك) فقال سيّدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدّم بين يدي رسول الله ﷺ...الخ

الفصل السادس: في بيان ما جاء في ذكر وتقبيل اسمه الشريف وولائم الموالد ﷺ

هناك عادات يفعلها الحاضرون لقراءة كتب المديح عند سماع ذكر اسم النّبي ﷺ ، يرفعون أصواتهم قائلين " صلى الله عليه وسلم"، ومنهم أيضا من يجعل يديه أعني إبهاميه على إسم محمد في الكتاب ويقبّله ويمسح بهما عينيه، فلهذين الأمرين أدلّة ظاهرة مقبولة. أمّ ا النقطة الرئيسية التي يفهم من هذين: التبرّك فقط لا غير.

ومما ذكره أحمد الصغير في مجموعه في الجزء الرابع منه ما نصّه: ورأيت أيضا في تقاييده بخط بعض أصحابه رحمة الله تعالى عليهما ورضوانه وعفوه وغفرانه كلاما للسالك بن الإمام المذكور رحمه الله تعالى أورد فيه ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه أنّه قال، كان في بني إسرائيل رجل عصى الله تعالى مائتي سنة ثمّ مات فأخذوه فألقوه على مزبلة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أن أخرج فصلّ عليه، قال يا ربّ بنو إسرائيل شهدوا أنه عصاك مائتي سنة، فأوحى الله تعالى إليه هكذا كان إلاّ أنّه كان كلّما نشر التوراة ونظر إلى اسم محمّد ﷺ قبله ووضعه على عينيه، فشكرت له ذلك وغفرت ذنوبه وزوّجته سبعين حوراء. ثمّ قال بعد إيراده ما نصّه، ولعلّ هذا سبب ودليل تقبيل أهل بلادنا لأيديهم بعد وضعها

على الإسم الشريف في كتب المديح النّبوي كعشرينيات الفزّازي وتخميسها لابن مهيب وفي كون شريعته من قبلنا شرعا لنا خلاف ما عند أهل الأصول..اهـ.

وذكر محمّد غبريم بن محمد غانم الدّاغري في شرحه النّوافح العطريّة، أنّه ورد في الحديث أنّه ﷺ، قال: من مسح بيده اسم محمد ثمّ قبل بشفتيه ثمّ مسح على عينيه يرى ربّه بما يراه الصّالحون، وينال شفاعتي أو كما قال ﷺ.

وفي نوازل الحاج الهادي في نوازل الجامع ما نصّه: وسئل عن تقبيل اسم النّبي ﷺ في الكتاب هل هو مندوب ومطلوب لما فيه من التعظيم والتبرّك فيه أم يكره لأجل خوف مسّ الريق له: فأجاب بعد كلام أطال فيه من الأجوبة النّاصريّة. وسئل عن تقبيل اسم النّبي ﷺ في الكتاب فأجاب لا بأس به اهـ. قلت ويؤيده ما في الخصائص الكبرى أنّ رجلا قبّل اسمه ﷺ.

وفي بهجة النّفوس ما يشبه أو يتقارب ما تقدّم من قول محمد غبريم ولكن ذلك عند سماع الأذان بعد ذكر المؤذّن اسم النبي ﷺ يقول الحاكي عندئذ: مرحبا بحبيبي وقرّة عيني محمّد بن عبد الله ﷺ ثم يمسح على عينيه وورد أنّ فاعله لا يعمى أبدا.

وفي حاشية العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة أبي زيد القيرواني في باب الأذان فوائد وحكاية عجيبة راجعه.

وأمّا رفع الصوت بالصّلصلة عند ذكر اسمه الشريف فقد أشار إليه الدّاغري في نوافحه بقوله: ولقول المصوّغين ﷺ دليل على ما في الرّوضة، إذا قال الخطيب، إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي ﷺ.

وقال السيوطي في اختصار كتاب الحرز المنيع من القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع لأبي الخير محمد بن عبد الرحمان السخاوي الشافعي المتوفى سنة 902 هجرية في الباب الثالث في التحذير من ترك الصلاة عليه عندما يذكر ﷺ قوله: عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ صعد المنبر فقال آمين آمين آمين فقيل يا رسول الله إنّك صعدت المنبر فقلت آمين آمين آمين فقال إنّ جبريل عليه السلام أتاني فقال من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له دخل النار فقلت آمين آمين آمين وفي رواية رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلّ عليك فقلت آمين إلى آخر الحديث.

وعن الحسين بن علي، رضي الله عنهما، عن النّبي ﷺ قال: البخيل من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ. رواه أحمد والنسائي والبيهقي.

وعن الحسن البصري مرسلا قال، قال رسول الله ﷺ بحسب المؤمن من البخل أن أذكر عنده فلا يصلي عليّ، وفي لفظ آخر كفى به شحّا أن أذكر عند رجل فلا يصلّي عليّ ﷺ أخرجه سعيد بن منصور.

وأنشد يحي بن يوسف الصرصري لنفسه:

من لم يصلّ عليه إذ ذكر اسمه *** فهو البخيل وزده وصف جبان

والولائم المتواترة التي تقوم بعض الناس بها لأجله ﷺ وتلك ولو بدون أيّ شيء وبدون أيّ سبب قد استحسنها وأجازها الأعلام و لا خلاف بينهم فيها والدلائل المتقدمة ترجّح ذلك ولكن لا بأس بإضافة كلمات تتمّ بها المقصود. ومنها ما ذكره السيّد عثمان بن حسين في شرح أسهل المسالك المسمى بسراج السالك في الجزء الثاني منه في باب الإجارة وما يتعلّق بها، فقال رحمه الله، ويجوز دفع الأجر للذين يمدحون القصائد النبوية لأن كل ما يفوهون به من الوصف والتعظيم والتبجيل للجناب الأفخم فهو حقّ بل هم عاجزون عن مبلغ ذلك فكيف وقد قال العارف ابن الفارض:

وعلى تفنن واصفيه بوصفه *** يفني الزّمان وفيه ما لم يوصف

حكى جواز ذلك صاحب السالك أنظره، وأمّا حديث: اجتثوا التّراب على وجوه المادحين فهو خاص بالذين يمدحون غير الأنبياء لأنّهم يذكرون في الممدوح ما ليس فيه ويذمّون ما لا يجوز ذمّه ويمدحون ما لا يجوز مدحه فيقعون في الإثم لما علمت. اهـ.

وفي حاشية الشيخ الصّاوي على الجلالين في الجزء الثالث منه في سورة الأحزاب عند قوله تعالى: " يا نساء النبيء... الخ الآية" فقال ... فبقدر القرب من رسول الله يكون القرب من الله خلافا لمن شذّ وزعم أنّ حبّ النّبي والقرب منه والتعلّق به، شرك. اهـ منه.

الفصل السابع: في بيان ما جاء في رفع الصّوت بالمدح

وأمّا رفع الصّوت وحسن التلحين به فقد وضّح كثير من علمائنا جواز ذلك، ودونك ما ذكره الشيخ سيد المختار الكنتي في كتابه الأجوبة المهمّة لمن له بأمر الدين همّة، فقال وأمّا ذكر الأطلال وتحسين الصوت وتلحين الشّعر فلا أراه إلاّ مباحا، وكان أبو الحسن العسقلاني يسمع ويتولّه في السّماع وصنف كتابا ردّ فيه على منكريه وكذلك جماعة صنّفوا كتابا في الرّدّ على منكريه.

ويكفي ما قال محمّد غبريم بن محمّد غانم الداغري من علماء زمننا ما نصّه: ولو كان المحدّث مرائيّا فإنّ الله يثيبه لأجل النبي ﷺ لأنّ مدح النّبي لا يدخله الرياء والذين يجلسون لسماع المدح يثابون على ذلك على ما قال صاحب الوسائل المتقبّلة في حرف الثاء عند قوله: " يفوز به المصغي له والمحدّث" وشرحه محمد غبريم المذكور بقوله يفوز أي ينجو به، بالثناء عليه من كلّ مكروه المصغي المستمع له ولو لم يعلم شيئا والمحدّث المبلّغ لغيره إنشادا وإنشاء.

وفي نوازل الشيخ باي بن سيد عمر وغيره، أنّ رفع الصّوت بمدحه ﷺ في المساجد من غير بلادنا هذه فضلا عنها أمر معمول به إلى أن قال رحمه الله، وسامحوا في رفع الصوت في المسجد مع ما فيه لأنّه يحرّك القلوب ويرتاح به المشتاق له ﷺ، وكذا كان أولى بمن في المسجد أن يسمع لذلك ويفرغ قلبه له ليكون كالمادح ليفوز به كما قال أبو زيد:" يفوز به المصغي له والمحدّث" وإن انتقل إليه من صلاة نفل أو ذكر كان فيه كإنتقاله له إن شاء الله تعالى من عبادة إلى عبادة. اهـ المراد منه.

وأعلم أنّ كل ما فعله المادح الكريم في حقّه ﷺ قليل من كثير فدونك أيّها القارئ أبيات محمد المختار الشنقيطي في الكامل:

وهو الذي وهو الذي وهو الذي *** فاحكم بما ترضى وزد واستكثر

وقال بعض من خمّس ميمية البوصيريّ:

وشح ووشع وواسع لست ذا سرف ** وأنسب إلى قدره ما شئت من شرف
وأنسب إلى قدره ما شئت من عظم*

ومن هنا عرفنا أن المادح ليس بمسرف في كلّ ما فعل، و لا شكّ أيضا أنّ الصوت الحسن في المدح يحرّك القلب غاية التّحرّك و لا سيما إن كان المدح للنّبي ﷺ بذكر فضائله ومعجزاته وآثاره... وذكر النبهاني في الأنوار المحمّدية من المواهب اللدنية عند ذكر حكاية حنين الجذع فقال: قال أبو القاسم البغويّ كان الحسن إذا حدّث بهذا الحديث بكى ثمّ قال: يا عباد الله الخشبة تحنّ إلى رسول الله ﷺ شوقا إليه لمكانه من الله فأنتم أحقّ أن تشتاقوا إليه. هـ.

وأما أهل النّهايات، فالغالب عليهم السّكون والثّبوت لانشراح صدورهم واتّساع سرائرهم فهم في سكونهم متحرّكون وفي ثبوتهم متقلقلون.

وقد روى أنّه قيل للجنيد ﷺ، ما لنا لا نراك متحرّكا عند السمع؛ فقال رحمه الله: وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السّحاب.

وفي عارضة الأحوذي لابن العربي على الترمذي في الجزء الثالث عشر منه قوله: وقد قال العبّاس: يا رسول الله إنّي أريد أن أمتدحك فقال له قل فقال:

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق... الخ الأبيات.

فقال له النبي ﷺ لا يفضض الله فاك. هـ.

وفي طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي قوله: عن عبد الرحمن بن حرقلة عن سعيد بن المسيب قال بينما حسان بن ثابت ينشد الشعر في مسجد

الرسول ﷺ فجاء عمر فقال يا حسّان تنشد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ؟ فقال أنشدت فيه وفيه من هو خير منك. اهـ.

وقد أخبرني من أثق به أنّ التنافس في رفع الصّوت بالمدح كان حيّا متواترا بين الأسلاف، حتى أن المترشّحين يتقابلان بحيث يكون الواحد منهما أمام مسجد سيد يحي والثاني أمام مسجد سنكري ويرفعان صوتهما بحضرة جماعة من أهل العلم والورع والصّلاح. وأمثال هذه وقعت بكثرة ولم نسمع بإنكاره عند أحد منهم، بل كانوا يستحسنونه جدّا ولو كان فيه أمر لوجدنا تقييدات عليه تنكره لأنّ السلف من عاداتهم أنّهم لا يسكتون أبدا على الباطل بل يذبّون بالأدلّة الصريحة المقنعة. وأمثال هذه تسمّى باللّغة المحلّية (بَرِ) فسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في موضعه. وإلى جواز رفع الصوت بالمدح يشير إليه الصّوفي الشاعر المفلق في سيرته المنظومة باللغة المحليّة المشهورة:

مَوُرُّ كَكَاتِ انـﮔ سَابُرَا ** مَس ِ هَمْبُرْ بُرُفُو كُوتِرَا

مُنَافِقِ تَرَيْ دَا ســــَا بَرَا ** مَسَابُ الرَّسُولُ مُحَمّدَا

نعم فكلّ من تأمّل فيما ذكرنا وأمعن النّظر في الأدلّة التي قدمنا وسطرنا ولم يقيد من يقول هذا إفك قديم وأساطير الأوّلين لعلم علم يقين أنّ المدح أمر مهمّ عند التنبكيين ويهتمون به كلّ الاهتمام ويفعلون فيه من الإحسان ما لا تعدّ بل يبذلون جهدهم فيإحياء هذه الذّكرى الخالدة ويتوسّلون بصاحبه في تيسير كلّ عسير ونيل كلّ مرغوب، فيستجاب لهم وتؤثر بركته ﷺ فيهم حتّى يتعجّب الواصفون بما عندهم وبما هم فيه من نعمة وخير. رزقنا الله محبّته ﷺ.

ولتكميل الفائدة،أنّ الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام قال: الإنكار متعلّق بما أجمع على إيجابه أو تحريمه، فمن ترك ما اختلف في وجوبه أو فعل ما اختلف في تحريمه فإن قلد بعض العلماء في ذلك فلا إنكار عليه أن يقلّده في مسألة ينقص حكمه فيها.

وفي مثل هذا يقول عثمان دان فودي: " وعلى هذا فلا يجوز لك أن تنكر البدعة على أحد إلاّ أن تعلم أنها من البدع المحرّمة إجماعا، ونعني بالنهي عن الإنكار إنكار الحرام، ولو أنكرته إنكار النّصح والإرشاد فذلك نصح وإحسان.

تتمّة مفيدة: وقد بلغنا عن كبار الأطبّاء والممرّضات هنا أنّهم ممّا جرّبوه مرارا من قديم وشوهد بركتها ومنافعها وشهرت بل وشاعت عند الخاصة وذلك أنّهم يتطهّرون ليلة المولد وينوون فيها إكرام النبي ﷺوالتبرّك به وبالصّلاة عليه وباستحضاره ﷺ ويذهبون إلى الشّجرة المعروفة بأَتِيلْ (شجرة تنبت غالبا في المساجد والصحراء) ويقطفون من ورقتها من المغرب في تلك الليلة إلى الفجر وكلّ من قطف منها ورقة يصلي على النبي ﷺ عند الاقتطاف ويضعها في آنية مطروحة أمامه حتى يجمع كل منهم ما فيه كفاية ويطرح المحصول تحت الشمس لتيبس ثمّ يطحنها حتى تصير دقيقا ويدّخرها عنده فكلّ من عجز الأطباء عن دوائه وعجز هو أو هي عنه أخذ من هذا الدّقيق كميّة ويجعلها في مطعم أو مشرب يقدّمها للمريض ويقول له خذها على بركة الله وبركة النّبيّ تجد الشفاء إن شاء الله تعالى والمدار على الإخلاص. اهـ.

الفصل الثامن: في ذكر ما جاء في ضرب الدّفوف والسّماع في الأعياد

وفي هذا الفصل نشير إلى ما قال العلماء في ضرب الدّفوف والسّماع في الأعياد خاصّة لا في اللّهو و لا في الملاقاة المحرّمة.

وفي تنبكتو غرائب وعجائب في هذا الأمر وذلك ممّا استحسنه بعض الشيوخ والعارفين من الصحابة والتابعين وتابع التابعين كما نصّ عليه الشّوكاني في الجزء الثامن من نيل الأوطار قوله: قال ابن النحوي في العمدة، وقد روى الغناء وسماعه عن جماعة من الصحابة والتابعين فمن الصحابة عمر كما رواه ابن عبد البرّ وغيره، وعثمان كما نقله الماوردي، وصاحب البيان والرافعي، وعبد الرحمان بن عوف كما رواه ابن أبي شيبة، وأبو عبيدة بن الجراح كما أخرجه البيهقي، وسعد بن أبي وقاص كما أخرجه ابن قتيبة، وأبو مسعود الأنصاري كما أخرجه البيهقي،

وبلال وعبد الرحمان بن الأرقم وأسامة بن زيد كما أخرجه البيهقي أيضا، وحمزة كما في الصحيح، وابن عمر كما أخرجه ابن طاهر، والبراء بن مالك كما أخرجه أبو نعيم، وعبد الله بن جعفر كما رواه ابن عبد البرّ، وعبد الله بن الزبير كما نقله أبو طالب المكيّ، وحسان كما رواه أبو الفرج الأصبهاني وعبد الله بن عمر وكما رواه الزبير بن بكار، وقرظة بن كعب كما رواه ابن قتيبة، وخوات بن جبير ورباح المعترف كما أخرجه صاحب الأغاني، والمغيرة بن شعبة كما حكاه أبو طالب المكي، وعمرو بن العاص كما حكاه الماوردي، وعائشة والربيع كما في صحيح البخاري وغيره. هـ.

وأما التابعين؛ فسعيد بن المسيّب، وسالم بن عمر، وابن حسان، وخارجة بن زيد وشريح القاضي، وسعيد بن جبير، وعامر الشعبي، وعبد الله بن أبي عتيق، وعطاء بن أبي رباح، ومحمد بن شهاب الزهري، وعمر بن عبد العزيز، وسعد بن إبراهيم الزّهري.

وأما تابعوهم؛ فخلق لا يحصون منهم الأئمّة الأربعة، وابن عيينة وجمهور الشافعيّة. اهـ.

وممّا قال الشيخ سيد المختار الكنتي في ذلك:" وأمّا الضّرب بالدفوف والرقص فقد جاءت الرّخصة في إباحتها للفرح والسّرور في أيام الأعياد والعرس وقدوم الغائب والوليمة والعقيقة، وقد ثبت جواز ذلك بالنّص ومن ذلك إنشادهم وضربهم بالدفّ عند قدوم النبي أفضل الصلاة والسلام عليه المدينة وقولهم.

طلـــع البدر علينا ** من ثنيات الوداع

وجب الشّكر علينا ** ما دعــــا لله داع

... الخ الأبيات المعروفة المشهورة.

وقال عياض: اللّهو وضرب الدّفوف جائز في الأعراس وهو أحد أفراح المسلمين وأعيادهم.

وقال القرطبي في تفسيره قال ابن العربي روى عن شريح أنه مرّ بقوم يلعبون يوم عيد فقال ما بهذا أمر الشارع وفيه نظر، فإنّ الحبش كانوا يلعبون بالدفّ والحراب في المسجد يوم العيد والنبي ينظر، ودخل أبو بكر في بيت رسول الله ﷺعلى عائشة، رضي الله عنهما وعندها جاريتان من جواري الأنصار تغنيان، فقال أبو بكر: أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ فقال: دعهما يا أبا بكر فإنّه يوم عيد وليس يلزم الدّؤب على العمل بل هو مكروه للخلق. اهـ قول القرطبي.

وقد ذكر الشيخ سيد المختار الكنتي: على أن أبا طالب المكي وغيره من فحول علماء هذا الفنّ الذي ينتهي إليهم في الجرح والتعديل لأنّ كثيرا من المتعمّقين والمتقشفين قد كرهوه وأنكروه وهذا كلّه غليظ منه لأنّ ما ذهبوا إليه يفضي إلى تخطئة كثير من العلماء العاملين إذ لا خلاف أنهم سمعوا الغناء. قال أبو طالب المكي إن طعنّا على السّماع فقد طعنّا على سبعين ألف صدّيق.

وسئل الشعبي عن السماع فقال: ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الإشارة جاز له السّماع وإلاّ فقد استدعى الفتنة وتعرّض للبليّة ومعلوم أنّ السماع يهيج ما في القلوب من حسن وقبيح.

وقال الجنيد أبو القاسم ﷺ، وهو المعروف في زمننا هذا لغلبة الفسق بين الشباب وهو أن السماع لا يحدث في القلب شيئا وإنّما يهيج ما فيه فتراهم يهيجون من حيث وجدهم وينطقون من باب قصدهم ويتواجدون لثوران كامنة سرائرهم لا من قبل قول الشاعر ومراد القائل و لا يلتفتون إلى الألفاظ، لأنّ الفهم يسبق إلى ما يتخيّله الذّهن.

وقال ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصّراط المستقيم عند قوله ﷺ:" دعهما يا أبا بكر فإنّها أيام عيد" وتلك الأيام أيام منى فالدلالة من وجوه فذكرهم وذكر الوجه الثالث أنه رخص في لعب الجواري بالدف وتغنيهن معللا بأن لكل قوم عيد وأنّ هذا عيدنا. هـ.

وقال أيضا في الصفحات قبل ما تقدم من نفس الكتاب: قال حدّثنا مسدّد حدّثنا الحارث بن عبيد أبو قدامة عبيد الله ابن الأخنس عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنّ إمرأة أتت النبي ﷺ

فقالت يا رسول الله، إنّي نذرت أن أضرب على رأسك بالدفّ، قال أوفي بنذرك. اهـ المراد من الحديث ففيه دليل على جواز ضرب الدفوف لأنّ النّذر لا يكون إلاّ ما فيه الجواز.

وفي سنن ابن ماجه عن عامر قال شهد عياض الأشعري عيدا بالأنبار فقال: ما لي لا أراكم تقلسون كما يقلس عند رسول الله ﷺ. عن قيس بن سعد قال ما كان شيء على عهد رسول الله ﷺ إلاّ وقد رأيته إلاّ شيء واحد فإنّ رسول الله ﷺ كان يقلس له يوم الفطر.

وفي عارضة الأحوذي لابن العربي في الجزء الرابع عند إعلان النكاح قوله: والأصل في جواز الغناء في الأفراح الشرعيّة القلوب تضجر من الجدّ فأذن لها في شيء من اللعب.

وفي الأجوبة المفيدة للشيخ سيد محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي في آخر المسألة الثالثة والعشرين بعد كلام أطال فيه إلى أن قال: " وكذلك ينوي في الأعياد ونحوها التعظيم وإظهار السّرور بشعائر الله التي أمر بتعظيمها بقوله: { ومن يعظّم شعائر الله فإنّها من تقوى القلوب} والله أعلم هـ.".

الفصل التاسع: في التعريف بكتاب ابن المهيب وما يضاف إليه من القصائد والأشعار المدحيّة

وقبل الشروع في هذا المقصود، من الواجب أن نلفت نظرات القراء على أن علماء التكرور عامّة وعلماء تنبكتو خاصّة لهم أهميّة كبرى واجتهاد وعزم في إنشاد القصائد والأشعار في المدح والإرشاد والوعظ وغيرها، وبلغات مختلفة، كالعربية، والسنغايوية، والفلانية والطارقيّة والهوصيّة والبمبريّة وغيرها من اللغات السائرة في التكرور.

وأمثال هذه ما زالت مستمرّة إلى يومنا هذا.

وهذه القصائد أو المنثورات تتضمّن حياته وآثاره ﷺ، وتتضمّن أيضا ما شاء الله من الأمثلة الحكيمة يتمثّلون بها وفيها أيضا كنايات كثيرة رائعة، وهذه كلّها تنشد في الموالد بالفتيات في أصوات رخيمة مطربة ومنها أيضا ما ينشدها الرّجال.

وهذه العمليّة لنشر العلم والثقافة وخاصة لمعرفة السيرة النبوية باللغة العربيّة من ناحية، وباللغات المحليّة من ناحية أخرى.

وحالة العلماء في هذا السبيل تختلف:

منهم من يحضّر خطبة بليغة بغرائب الألفاظ في ذكر حياة الرسول ﷺ.

ومنهم من هذا القبيل من يقتصر على معجزاته فقط أو على ذكر غزواته أو على أخلاقه أو على خُلُقه، وهكذا إلى هلمَّ جرّا.

ومنهم من يركّب كلمات بحروف مخصوصة في المدح بحيث أن الموضوع كلّه ليس فيه حروف أجنبية غير المخصصة أو المعينة له.

ومنهم من يحضّر خطبة على طريق الاقتباس أو التضمين أو العقد أو الحلّ أو ضدّه أو التلميح.

ومنهم من ينظّم قصيدة في البحور الشعرية كلها، كي يطوف بمدحه ﷺ البحور الشعريّة كلها.

ومنهم من يأخذ الحرف الأوّل من السورة الأولى في المصحف أعني الفاتحة ويجعله صدر البيت الأوّل ويختم القافية بالحرف الآخر من نفس السورة ويجعله عجز البيت.

ومنهم من يفعل أغرب من هذا وأعجب يأخذ الحرف الأوّل من عنوان السورة ويجعله صدر البيت الأول ثمّ يختم القافية بالحرف الآخر من آخر سورة في المصحف.

ومنهم من يأخذ سورة في القرآن أو سورا يجعلها مدحا للنبي ﷺ على طريق الاستعارة.

ومنهم من يفعل ذلك لكتب النحو وكتب الفقه يصيّره مدحا مع بقاء حروفه وألفاظه من غير تغيير و لا تبديل و لا تحريف.
ومنهم من يشطّر أو يخمّس أو يتّسع أو يعشّر قصائد غيره وسترى إن شاء الله فيما بعد ما يرجّح ذلك.
ومنهم من يحضّر قصيدة أو نثرا تتضمّن عدّة لغات مختلفة في المدح بمعنى أنّ الكلمات المركّبة في القصيدة تتكون بلغات مختلفة.
ومنهم من ألّف كتابا مستقلاّ في الصلاة على النبي ﷺ.
ومنهم من يكتفي بدلائل الخيرات لسليمان الجزولي أو بغيره من العلماء الصالحين المشهورين الذين نحى نحوه.
ومنهم من يفعل غير ذلك ممّا يدلّ على أنّهم شعراء ماهرون وبلغاء فائقون في مدح النبي ﷺ. وكيف لا! قد مارسوا علوم البيان والبديع والمعاني والبلاغة وخاضوا في بحورها، واقتطفوا ثمراتها وتصرّفوا فيها وفي فروعها كيف شاءوا ومتى شاءوا، شهدت بذلك آثارهم وتقاييدهم رحمهم الله ونفعنا بعلومهم آمين. ويشير إليها أيضا أغلبية النّوازل الفقهيّة.
فقد آن لنا أن نشرع في المقصود ونبتدأ بأم كتب المديح التي كانت وما زالت ولن تزال إن شاء الله المصباح المنير الذي يضيء في بلدان التكرور كلّها، وعمت بركته الآفاق، وانتفعت الخاص والعام بها وهو الكتاب المشهور [**بابن مهيب**] أو عشرينيات الفزازي. وهذا الكتاب أصله للوزير الفاضل أبي زيد عبد الرحمان أبي سعيد يخلفتن بن أحمد الفزازي الأندلسي أنشأه سنة 603 وقيل 604 هجرية في حاضرة قرطبة من بلاد الأندلس، ورواه عنه الإمام الحافظ الشهير يوسف بن مسدي المهلبي في شهر شعبان سنة أربع وعشرين وستمائة سنة 624 هجرية، وحدث به في المسجد الحرام.
وفي كفاية المحتاج لأحمد بابا السوداني: " عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفزازي أبو زيد قال الأبار، ولد بقرطبة ونشأ بها وسكن تلمسان وغيره وحال بلاد الغرب والأندلس، روى عن السهيلي وأبي عبد الله التجملي وغيرهما كان عالما بالآداب متصرفا في فنونها كاتبا بليغا، كتب دهرا طويلا للملوك شاعرا مجيدا وافر المادة، قوي العارضة مشاركا في الأصول عارفا بالكلام، ناظرا في الفقه، غلب عليه الأدب ومال للتصوّف وصحبة المريدين وشهر به، له أشعار في الزهد، مشدّدا على أهل البدع لا يعرف الحديث، وجفاه السلطان وألزمه داره ثمّ رحل أخيرا لمراكش وبها مات في ذي القعدة سنة سبع وعشرين وستمائة. اهـ المراد منه" ومثله في مغني اللبيب.
ومن أهمّ مؤلفاته في الزهد والوصية كتابه المسمى بالنصائح الجينية، والحكم الزهدية، وتسمى أيضا بعشريات الفزازي. وللشيخ محمد الزهري الغمراوي شرح على هذه النصائح ومطلع القصيدة في هذا الكتاب في حرف الهمزة.

أيا غافلا والموت بالقرب يطرأ — أهمَّك مرعًى في مريبك يمرأ
أجدك لم تعمل بما كنت تقرأ — أجدت بك الأيام والنفس تهرأ
كأنك من خطب المنون مبرّأ

وآخر بيت في هذا العشريات في حرف الياء هو:

يراهم زيوفا ذو الحجا بعد نقدهم — يضيعون عمرا في هواهم ورقدهم
يضاهوه أهل الحق زعما بعقدهم — ينادي الحجا أهل الحجا بعد فقدهم
وهيهات ما في الحي بعدهم حيّ

وعشرينيات الفزازي في المدح على وزن:
فعولن مفاعلن فعولن مفاعل، وهو البحر الطويل وكانت العرب تسمّى هذا البحر: الركوب لكثرة ما كانوا يركبونه في أشعارهم.
وتخميس هذا العشرينيات للشيخ الإمام أبي بكر محمد بن المهيب من صحراء المغرب فهي تابعة لوزن الأصل سماه شمس القصائد ودرر القلائد في أسنى المقاصد. وقد اختلف في

ضبط اسمه منهم من قال: ابن مَهِيب على وزن فَعِيل، ومنهم من قال على وزن مُفَعَّلٍ. والذي عليه الإسناد الرواية الأولى.

وفي مغني اللبيب على ابن مهيب لمحمد بن عمر الغلاوي أنه على وزن فعيل ويحتمل أنه على وزن مفعّل ثم دخله النقل. اهـ

وهذا التخميس مرتّب على الحروف الهجائية من حرف الهمزة أي الألف إلى حرف الياء. وفي كلّ حرف عشرون بيتا مخمّسا إلاّ أنّ هناك زيادات توجد في النّسخ المخطوطة والمطابع الهوصيّة لبعض العلماء في الحروف التالية:

في حرف التاء/: بعد التخميس الحادي عشر:

"شفا كلّ داء للضمائر معضل"...الخ

وبعد الخامس عشر:

" لأخمصه فضل على كلّ قمّة" ... الخ

وأيضا:

" تحنف دينا فانتحى الحق مذهبا"... الخ

وفي حرف الجيم: بعد التخميس الخامس:

" إذا ما جفاك الدّهر فاستعد عدله" ... الخ

وفي حرف الحاء: بعد التخميس الخامس عشر

" شفانا فنجانا من الهلك طبّه"...الخ

وفي حرف الدّال: بعد التخميس السادس عشر:

"تخلّص بالتطهير من كلّ آفة"...الخ

وفي حرف الزاي: بعد التخميس السابع:

"عن الله بالقول الفصيح مبيّن"...الخ

وفي حرف الطاء: بعد التخميس السادس:

" مجدد رسم الدين من بعد ما عفا"... الخ

وفي حرف الظاء: بعد التخميس الحادي عشر:

" صرفنا هم للحق بالبيض والقنا"...

وبعد التخميس التاسع عشر أيضا:

" متى ما تذكّرت الصفا وحجونه"...

وافتتح هذا الكتاب في حرف الهمزة بـ:

خليليّ عوجا بالمحصّب وأنزلا   و لا تبغيا عن حيفه متحوّلا

فأكرم به معنى تحرّاه منزلا   أحقّ عباد الله بالمجد والعلا

نبيّ له أعلى الجنان مبوّأ

واختتم في حرف الياء الذي هو آخر الحروف بـ:

فيا ربّنا في أرضه وسمائه   أمتنا على تصديقنا باصطفائه

فإنا وذو الأشواق يعيا بدائه   يشقّ علينا العيش دون لقائه

إذا الدين لم يكمل فلا كانت الدنيا

ومن حسن تنظيمه اتخذه علماء التكرور، وخاصّة علماء تنبكتو أوّل كتاب يدرس في اللغة ويسمونه بقاموس المساكين لما فيه من غرائب اللغة العربية والإشارات البيّنة، والنصائح الدينيّة، والأساليب العجيبة المجازيّة، والثمرات الطيبة المتراكمة، ومدح النبي ﷺ الذي هو الأصل فيه والتوسّل به ﷺ كما أشار إليه ابن مهيب في خطبته قائلا: " فإنّني لما وقفت على القصائد العشرينيات التي نظّمها على حروف المعجم الشيخ الفقيه الجليل العارف أبو زيد الفزازي نفعه الله بمقصده وتغمّدنا وإياه برحمة من عنده فيما يسر له من مدح النبي ﷺ الذي لا مدح يبلغ حقه وكلّ مدح مُدح به فهو ﷺ فوقه ورأيت أنه نفعه الله قد توسّل بذلك من الوسائل المتقبّلة بأنجحها. ونظرا لميزانه في أوثق الأعمال المفصلة وأرجحها. حسدته لما تهيّأ له من ذلك

الحسد الذي ما فيه جناح... إلى أن قال: فانبعثت لتخميس قصائده المذكورة مزدلفا لمشاركته في ثوابها بنسبة التذييل والتخميس، معترفا لمنشئها رحمه الله بحسن التأصيل والتأسيس...اهـ".

نعم وكما سلسه وزيّنه ورصّعه وصوّفه بالأمثال السائرة والدرر الفائقة والجواهر الزكيّة المتلألئة.

ومن الأمثال السائرة والإشارات البيّنة:

۞ أفي الحقّ شك بعد ألف دلالة
۞ وللبحر قعر ليس يدرك بالسبح
۞ ففي كلّ قول مستحيل وجائز
۞ وفي الختم منع للزيادة في الطرس
۞ وهل يثبت البنيان إلا على الأسّ
۞ و لا عجب فالوبل في عقب الرّش
۞ وهل طار مقصوص الجناحين من عشّ
۞ فلا فكر في لبس و لا رجل في دحض
۞ ومن فقد المحبوب حنّ إلى الرّبع
۞ ومن فاته المحبوب حنّ إلى المغنى
۞ ومن قدم المحبوب أيقن بالنجح
۞ وللحبّ قرب ليس يدرك بالعدو
۞ و لا عجب أن يفضل الشخص في الجنس
۞ ومن عجب أن يسبق الغد للأمس
۞ و لا عجب أن تطلع الشمس في الأرض
۞ و لا عجب أن يعدل الفرد بالجمع
۞ و لا عجب أن يفضل الصنو للصنو.
۞ فمن شكّ في الإبراء فالحسّ يشهد
۞ وكلّ سبيل فيه أحمد يحمد
۞ ومن ذا يكيل البحر والبحر مزبد. أي هائج يقذف الزّبد.
۞ وكم غارق في لجّة وهو ينقذ
۞ وبالله لا بالناس ترجى الجوائز
۞ فصبرا فكم حزن يؤول إلى عرس
۞ وشمس الضحى أقوى من الأعين الرمض
۞ ولن تحجب الأنوار إلا عن المغضي. أي المعرض
۞ وفي الناس مقبوض العنان عن النهض
۞ و لا يأس إن الدهر آت وذاهب
۞ وقد تصدق الآمال واليأس كاذب
۞ على قدر وسط السمط ينتقد السمط
۞ فلا سهو في فكر و لا وهم من لفظ
۞ و ذو الظلّ لا يغشاه لفح من القيظ. أي شدّة الحرّ
۞ فروض العلا ينمي على كثرة القطف
۞ ولم يرض إلا قائد الحقّ قائدا
۞ وما بعد رأي العين للعلم غاية
۞ ولم لا يذوب الشمع والنار في الشمع
۞ فكلّ فساد قد نفاه صلاحه
۞ أزاحت يداه الضرّ عن كلّ مسلم
۞ فأقواله حكم وأحكامه قسط

۞ رسول هداه الله بالعلم فاهتدى
۞ و ما أحد أولى به من محبّه
۞ وما صحّ عنه من حديث فدن به
۞ وكم آية دلّت على صدق أحمد
۞ ففي مدحه أطنب وأنت مقصر
۞ فمدح رسول الله من أوكد الفرض
۞ أعد ذكر خير الخلق فالعود أحمد

قوله فالعود أحمد هذا مثل سائر وأوّل من قاله حذاش بن حابس التميمي وفي هذا يقول المرقش: وأسن فيما كان بيني وبينه ** فإن عاد بالإحسان فالعود أحسن.

وفي آخر حرف القاف:" فعذرا فإني عن صبوح أرقق" وهذا مثل مذكور في كتاب الأمثال عن أبي عبيدة بن سالم، وسببه أنّ رجلا أضاف عند قوم فسقوه غبوقه ليلا فلما كان عند السحر جعل يحكي لهم حكايات الأجواد من العرب الأسخياء منهم ويبدئ في ذلك ويعيد فقالت ربّة المنزل: "أعن صبوح ترقق". فهذه الأمثال والإشارات قليلة من ضمن ما في العشرينيات. ولكلّ واحد من هذه الأمثال يشير إمّا إلى آية قرآنية أو حديث نبوية أو مثل حكيمية وهكذا ولو شرعنا في شرح الجميع لخرجنا من المقصود فلذلك قدمت لكم أنه أوّل كتاب تدرس في اللغة وقد يلقّب بقاموس المساكين.

ولذلك تسابقت العلماء في شرحه، منهم من طوّل ومنهم من لخّص ومنهم من علّق عليه بل كلّهم أفادوا وأجادوا جزاهم الله خيرا ورحمهم آمين.

ومن أحسن الشروح بل وأشهرهم الشرح المسمى بالنّفحة العنبرية في حلّ ألفاظ العشرينيّ' للشيخ محمّد بن مسنه بن عمر بن محمد بن عبد الله بن نوح البرنوي أصلا الكشناوي مولدا وبين آدم عبد الله الإلوري في كتابه (الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي) في ذكر بعض من نبغوا من علماء نيجيريا في الطبقة الثانية أنه " الشيخ محمد بن مسنى (بالقصر)" خلاف ما تقدّم وزاد أنه أخذ عن ابن الصباغ وبرع"

وفي كتاب إزالة الريب والشكّ والتفريط في ذكر المؤلفين من علماء التكرور والصحراء وأهل شنجيط عند حرف الميم وعند ترجمته: " توفي عام 1178 له شرح على العشماوية سماه بزوغ الشمسية على العشماوية، وهذا الشرح وله جزء لطيف منظوم ليس فيه حرف منقوط وله تأليف في سورة الإخلاص سماه عين الإخلاص في تلاوة سورة الإخلاص، وله تأليف على وقت المغرب سماه شعاع الربا وتأليف على معرفة ما يقبل الصرف وعدمه، وفتح المرام على ابن هشام، وتاريخ سماه أزهار الربى في أخبار يربى (بلد من بلاد حوص)".

ومن شروح العشرينيات اللؤلؤة المرادية لابن شعبان، ومغني اللبيب على ابن مهيب لمحمد بن عمر الغلاوي نسبا الشنجيطي وطنا. وللحاج أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر شرح على العشرينيات ذكره أحمد بابا في نيل الابتهاج وهو والده.

وقد اختصر شرح العنبري المتقدم ذكره آنفا الشيخ العالم العلامة محمد غبريم بن محمد غانم الداغري المتوفى عام؟ وسماه بالنوافح العطريّ' المختصرة من النفحة العنبريّة في حلّ ألفاظ العشرينية. وهذا الشرح هو المستعمل المتداول عندنا هنا فيلازم الطلبة دراسته في جميع المجالس وهو لله الحمد والشكر مطبوع يباع في الأسواق.

ومؤلفه أعني محمد غبريم شيخ كبير قد بلغ الغاية القصوى في العلم والمعرفة والورع وقد جمع الله له علم الحقيقة وعلم الشريعة وفاق أهل عصره في التصوّف وأفنى عمره كلّه في التأليف في الصلاة على النبي ﷺ. وقد وقفنا لله الحمد على كثير من مؤلفاته وعندي الآن في خزانتي ما يلي:

- نتائج السفر في الصلاة على سيّد البشر.
- جهاز السارح في التوجّهات بصلاة الفاتح.
- تعقيب وتذييل النتائج وأسئلة الحوائج.

- السّور المنيع وهو حزب كبير ومفيد.

وله أيضا قصائد في المدح والتوسّل ومن أشهرها ما نظّمه عند زيارة قبر النّبي ﷺ وتسمى: إنهاء السلام إلى إمام كلّ إمام. وغير ذلك من مؤلفاته التي سمعنا مما تدلّ على وسع باعه في العلم و لا سيما في اللغة. وقد قرظ كتابه النوافح العطرية محمد الخامس بن شعيب الكنوي في أبيات قال فيها:

أمن شرح الوســـائل قد يريد ** عليكم بالنّوافح فاستفيــــدوا
فشرح جاء مختصرا مفيـدا ** عجيب النسج مجموع حميد
لسيدنا الرضى الحاج محمد ** بغبريم يلقب يا رشيد

ثمّ بين نبذة من فضائله فقال:

فمعروف بجمع للفنون ** وليس يشكّه إلا حسود
كتاب الله جوده صغيرا ** إلى أن صار ماهره يسود
وديدنه متابعة النبي ** له في سنة أخذ شديد

إلى أن قال أيضا:

أعانكم بهذا الاختصار ** زكاة العلم أخرجها مفيد
فزيّنه بشكل كلّ بيت ** وعند الشرح ممزوجا يعيد
وما تحتاج منه تجده سهلا ** فحلّ اللفظ أو قصصا تريد.

اهـ المراد منه.

والجدير بالذّكر أن كثيرا من علماء تنبكتو وتيشيت وسكتو وماسن بل والتكرور قد شرحوا هذا التخميس ومنهم من أخذ أصله وتابع فيه ابن مهيب وخمّسه ومنهم من أخذ نصّ ابن مهيب وعشّره ومنهم من شطره أيضا حتى صار كلّ بيت منه بيتين وهكذا، وكلّ واحد من هؤلاء الشراح يذكر أنه يطلب بذلك الزلفى من الله والقبول كما لاحظوا من مخمّسه ابن مهيب الذي قد أفاق في التكرور بتلاوة كتابه في الموالد وكما أشار أيضا فيه:

" بمدح النبي اقطع زمانك ترشد ** بنظم ونثر إن أطقت مسرمد"

إلى أمثال هذه الأبيات التي تكرّر دائما في التخميس.

وقد (شرح؟) الحاج عمر بن سعيد الفوتي هذا التخميس وغمرها بغرائب اللغة فصار كتابا ضخما وجعل له خطبة طويلة بليغة وسماه بـ (سفينة السعداء أو سفينة السعادة).

وهناك أيضا تخميس على أصل الكتاب للشيخ أبي عبد الله بن محمد بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد بن جب بن محمد أيوب بن ماسران بن بوب باب بن موسى جكل المعروف بعبد الله فودي المولود سنة 1186هـ/ 1766م، المتوفى سنة 1245هـ/ 1829م.

وذكر من شراح تخميس بن مهيب نفح الطيب في شرح تخميس ابن مهيب للشريف محمد بن الإمام أحمد بن محمد بن الإمام أحمد الحسني الإدريسي التيشتي.

وأمّا القصائد المدحيّة التي يضيفونها على تخميس ابن مهيب لإحياء هذه الذّكرى الخالدة فكثيرة جدّا، ولكلّ فرقة أو محلّ أو بلدة لها ما تخصّها من هذه القصائد ومنها ما يشتركون فيها.

ومن هذه القصائد ما لا تقرأ الآن في الموالد إمّا لطولها أو صعوبة تلحينها أو جهل كيفيّة التلحين أو عدم كثرة النّسخ منها. والأسف أنّ أغلبيّة هذه القصائد لم يعرف قائلها ولم نقف في البحث على قائلها أو مكاتب تشير إليها.

ونشرع الآن في الموعود ونبدأ بمن يستحقّ الابتداء به لأنّه صحابيّ وهو كعب بن زهير يقدّم على غيره.

1- القصيدة الأولى: ﴿ بانت سعاد ﴾

وهي لكعب بن زهير بن أبي سلمى المزني الصحابي لما هجا النبي ﷺ مدحه بها وجاء معتذرا فقرأها. ومطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول ** متيّم إثرها لم يفد مكبول

وآخرها:

لا يقع الطّعن إلاّ في نحورهم ** وما لهم عن حياض الموت تهليل

وهي في سبعة وخمسين بيتا. ولهذه المنظومة شروح وتخميسات وتشطيرات وغيرها.

2- القصيدة الثانية: ﴿ قصيدة البردة ﴾

وهذه القصيدة تسمى بالكواكب الدرّية في مدح خير البريّة الشهيرة بالبردة الميميّة للشيخ شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد الدولاصي ثمّ البوصيري، وهو شاعر عربيّ بربريّ الأصل محدّث وخطّاط ماهر توفي سنة 694 أربع وتسعين وستمائة هجرية موافق 1213 – 1295 م. ومطلع القصيدة:

أ من تذكّر جيران بذي سلم ** مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وآخرها: ...

وقال صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون في المجلّد الثاني منه:" وهي مائة بيت واثنان وستّون بيتا منها اثنا عشر في المطلع، وستّة عشر في ذكر النّفس وهواها وثلاثون في مدائح الرسول عليه الصلاة والسلام وتسعة عشر في مولده وعشرة في يمن دعائه وسبعة عشر في مدح القرآن وثلاثة عشر في معراجه واثنان وعشرون في جهاده وأربعة عشر في الاستغفار وتسعة في المناجاة".

وذكر أيضا بسبب إنشائه هذه القصيدة روايات كثيرة وحكايات عجيبة غريبة. راجعه.

وهذه القصيدة مشهورة بين الأنام ويتبرّك بها الخواص والعوّام وكتبوا عليها من التخميسات والتّسبيعات، والنّظائر ما لا يعدّ.

وذكر السّهراني أنّه رأى خمسة وثلاثين تخميسا جمعها بعض العلماء، ورأى تسبيعا عجيبا مبدوء من أوّله إلى آخره بلفظة الجلالة للشيخ شهاب الدّين أحمد بن عبد الله المكيّ فذكره بعد شرح كلّ بيت.

والشّروح التي عليها كثيرة لا تحصى منهم من اقتصر على المعنى اللغوي ومنهم من اقتصر على المعاني الصّوفيّة ومنهم من اقتصر على غير ذلك بل وسّع وطوّل. ومنهم من شرحه بلغة أخرى غير العربيّة.

ومما ينبغي التنبيه عليه أنّ الروايات تختلف في أواخر المنظومة فتأمّل لذلك.

3- القصيدة الثالثة: ﴿ قصيدة الهمزيّة ﴾

وهذه القصيدة تسمّى بأمّ القرى لما أنها احتوت أكثر المدائح النبويّة واشتهرت بالهمزيّةفي المدائح النبوية. وهي أيضا للشيخ شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد الدولاصي ثمّ البوصيري، وقد تقدّم ترجمته في البردة. ومطلع القصيدة:

كيف ترقى رقيّك الأنبياء ** يا سماء ما طاولتها سماء

وآخرها:

ما أقام الصلاة من عبداللـّ ** ـه وقامت بربّها الأشياء

وهي من أشهر قصائده التي جمع فيها تاريخ حياته ﷺ وبيّن فيها صفاته. وقد ازدحم عليها الشعراء والعلماء بالتخميس والتّشطير والتّفسير والتعليق عليها وتتضمّن ما شاء الله من الألفاظ اللّغويّة وما فيها تورية وغير ذلك. وعدد أبياتها ؟ بيتا. لكن الروايات تختلف لأنّ هناك زيادات لا توجد في بعض النّسخ. وعادة نرى بيتين يستفتح بهما القراءة وينتهي بهما أيضا لا توجد في النّسخ وهما:

صلّ يا ربّ ثم سلّم على من ** هو للخلق رحمة وشفاء

وعلى الآل والصحاب جميعا ** وعلى من له إليك الانتماء.

4-القصيدة الرّابعة: ﴿ القصيدة المحمديّة ﴾

وهذه القصيدة تسمّى بالقصيدة المحمّديّة في مدح خير البريّة، وهي أيضا للشيخ شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد الدولاصي ثمّ البوصيري، وقد تقدّم ترجمته في البردة. ومن عجيب ما في هذه القصيدة أنّها ميميّة القافية، وأنّ صدر كلّ شطر منها تبتدأ بلفظة {محمّد} إلى آخر المنظومة. ومطلعها:

محمّد أشرف الأعراب والعجم ** محمد خير من يمشي على قدم

وآخرها:

محمّد قـــــــــائم لله ذو همم ** محمّد خاتم للرّسل كلّـــــــــهم

وعدد أبياتها 16 بيتا.

5- القصيدة الخامسة: ﴿ القصيدة المولديّة ﴾

وهذه القصيدة من أحسن قصائد المديح إذ جمع قائلها معجزاته ﷺ وفضائله، وليلة ولادته، وافتتح القصيدة بالترحيب والتبجيل للشهر الذي ولد فيه الرّسول الأعظم ﷺ والدعاء الصالح. فللّه درّ قائلها ورحمه فقد أفاد وأجاد إذ جعل هذه القصيدة سهل على اللسان، ليس فيها غرائب اللغة وسلّسها بالمعجزات والفضائل، فلذلك تحفظها العامّة والخاصّة. ولكن الأسف لم يعرف قائلها وشرحها [1] سيد أحمد الرقادي ومطلعها:

أهلا بشهر المولد *** شهر النّبي الأمجد
أتى بسعد الأسعد *** خير الورى محمّـد

وآخرها:

رضي الله دائما *** على الرّجال الكرما
أنصاره والرّحما *** صلّوا على محمّــد

وعدد أبياتها ستّة وثلاثون (36) بيتا.

6- القصيدة الساسة: ﴿ القصيدة المنفرجة ﴾

وهذه القصيدة للشيخ أبي الفضل يوسف بن محمد بن يوسف التوزي الأصل المعروف بأبي الفضل بن النّحوي المتوفّى سنة 513هجرية بقلعة آل حماد في أيام العزيز المنصور بن ناصر بن علناس بن حماد، على قول العلامة أبي العباس أحمد بن أبي زيد البجائي شارحها. وقيل أنّها لأبي الحسن يحي بن العطّار القرشي الحافظ.
وذكر القاضي تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية أنها لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الأندلسي القرشي. قال و رأيت في كتاب الغرّة اللائحة أنّها لأبي عبد الله محمد بن علي التوزري المعروف بابن المصريّ. والأوّل الذي تقدّم هو الأرجح الذي يعتمد عليه الأكثر وحتى السبكي في بعض الرّوايات ينسبه لابن النحوي وكذلك ابن المصري أيضا.
قال ابن السبكي وكثير من الناس يعتقد أنّ هذه القصيدة مشتملة على الاسم الأعظم وما دعا به أحد إلاّ أستجيب له وقال إنها مجرّبة لكشف الكروب، وكان والد السبكي ينشدها عند الأزمّة.
وقال الفقيه الإمام أبو عبد الله محمد بن علي التوزري أنشد الشيخ أبو الفضل هذه القصيدة عند شدّة هالت ففرج الله عليهم في الحين.
وسماها الشيخ تاج الدين السبكي " بالفتوح بعد الشدّة" وقيل " بالفرج بعد الشدّة" وذكر لها فوائد في الجزء الخامس من طبقاته.
فلذلك اعتنى العلماء بشرحها وتخميسها وتشطيرها وتسبيعها وتعشيرها وغير ذلك.
وهذه القصيدة في غاية الحسن والجمال وقد جمع صاحبها فيها من الأمثال ما لا تحصى مما قد يشجّع الإنسان على الصّبر والاجتهاد في العمل والعزم فيه وتحمّل أعباء الأحوال

[1] - وهو مخطوط رقم 3476، مركز أحمد بابا.

والأشغال وترك الكسل والخمول وكلّ ما يجرّ إليهما وبالخلاصة بيّن أنّ كلّ شيء مهمى كانت شدّته وصعوبته وعسره سيكون سهلا وميسّرا وأنّ الصبر والتحمّل والعمل والاجتهاد فيه وإتقانه هي الوسيلة لحلّ صعوبة كلّ شيء. وتمّت قصيدته بالتوسّل بالنبي ﷺ وبأبي بكر وعثمان وعمر وعليّ والحسن والحسين وأمّهما وبجميع من ينتمي إلى الرّسول ﷺ والتابعين وتابعيهم والعلماء والعارفين بل وكلّ المسلمين بأن يعجّل له الفرج بعد الشدّة.

وقد أطال أحمد بابا السوداني في ترجمة ناظمها في نيله راجعه تستفد.

وقد خمّس أبو محمّد عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي المتوفى سنة 636 هجرية، هذه المنفرجة وذكر أن تخميسه هو السبب في تسريحه من اعتقاله. فقد ذكر حكاتيه في كتاب عنوان الدّراية لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني. ومطلع تخميسه:

لابدّ لضيق من فرج ** والصبر مطيّة كلّ شج
وبدعوة أحمد فابتهج ** اشتدي أزمة تنفرجي
قد آذن ليلك بالبلج

وآخرها:

وعلى من بمقالتهم أخذا ** وتحامى الهدى حين حذا
ومعالي نثرته نبـــــذا ** وأبي حسن في العلم إذا
وافى بسحائبه الخلج

وأما مطلع القصيدة المنفرجة لابن النّحوي فهو:

اشتدي أزمة تنفرجي ** قد آذن ليلك بالبلج

وآخرها:

الحمد لله على كلّ حال ** والشّكر لله على الفرج

ولكن الروايات هنا تختلف فتأمّل لذلك. وعدد الأبيات ستّة وأربعون (46) بيتا.

وقد ذكر صاحب كشف الظّنون لهذه المنظومة عدّة شروح ووفّقنا نحن على الجلّ منها نفعنا الله بالجميع، وذكر أيضا أنّ أبياتها خمسة وثلاثين بيتا. اهـ - وهناك أيضا تخميس غير ما تقدّم ولكن لم يعرف قائلها، ومطلعها:

أبشر بالخير وبالفرج * فالضيق يصير إلى الفرج * وعلى سعة عقبى الحرج
اشتدي أزمة تنفرجي * قد آذن ليلك بالبلج

7- القصيدة السابعة: ﴿ القصيدة المرزوقيّة ﴾

وهذه القصيدة تسمّى بدعاء الفرج وشهرت بالمرزوقيّة وهي لابن مرزوق. وهل هي لابن مرزوق الجدّ؟ أو لابن مرزوق الحفيد؟ أو لابن مرزوق الكفيف؟ أو لفرد من أفراد أسرة ابن مرزوق؟ فالله أعلم بالحقيقة والصواب. والذي ينبغي التنبيه عليه أنّ من النسّاخ من ينسبها لابن مرزوق فقط من غير أيّ بيان. ومنهم من ينسبها لمحمد بن مرزوق التلمساني، ومنهم من ينسبها لسيد محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني، ومنهم من ينسبها لأبي بكر بن أحمد بن مرزوق التلمساني، فرأينا من الأحسن في هذا المحلّ أن نقيّد ملخّصا لما جاء في كتاب الأعلام للزركلي، والديباج لابن فرحون، ونيل الابتهاج لأحمد بابا السوداني، وكشف الظّنون للحاجي، ثمّ نقترح المعتمد منهم.

ففي الأعلام للزركلي ما نصّه:

" محمّد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي :(710 – 781 هـ / 1311 – 1380م)
أبو عبد الله، شمس الدين، فقيه وجيه خطيب من أعيان تلمسان أثنى عليه ابن خلدون وأسهب المقري في ترجمته. رحل إلى المشرق سنة 718 مع والده وأقام بمصر مدّة وعاد إلى تلمسان سنة 733 فولّى أعمالا علميّة وسياسيّة... له كتب، منها (شرح عمدة الأحكام - خ) في الحديث، و (شرح الشفا) لم يكمله، و(شرح الأحكام الصغرى) و (ايضاح المراشد فيما تشتمل عليه الخلافة

من الحكم والفوائد) و (الإمامة) و (المفاتيح المرزوقيّة ـ خ ، في شرح الخزرجيّة) و (عقيدة أهل التوحيد، المخرجة من ظلمات التقليد ـ خ)".

وفي كتاب الدّيباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون اليعمري المدني المالكي ـ رحمه الله ـ في صفحة 305 برواية:

" محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي من أهل تلمسان يكنى أبا عبد الله وتلقّب من الألقاب المشرقية بشمس الدين."

فهذا يوافق ما تقدّم من قول الزّركلي فتأمّل.

وفي الزركلي أيضا. ص/ 228 في الجزء السادس، ما نصّه في الحفيد:

" الحفيد بن مرزوق (766 – 842 هـ / 1364 – 1438 م) محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي، التلمساني، أبو عبد الله، المعروف بالحفيد، أو حفيد ابن مرزوق: عالم بالفقه والأصول والحديث والأدب، ولد ومات في تلمسان ورحل إلى الحجاز والمشرق، له كتب وشروح كثيرة، منها (المفاتيح المرزوقية لحلّ الأقفال واستخراج خبايا الخزرجيّة ـ خ) و (أنواع الذّراري في مكرّرات البخاري) و (نور اليقين في شرح أولياء الله المتّقين) و (تفسير سورة الإخلاص على طريقة الحكماء، وثلاثة شروح على البردة) و (المتّجر الربيح) في شرح صحيح البخاري،لم يكمل. و(الروضة ـ خ) رجز في علم الحديث، و(أرجوزة في القراءات) على نمط الشاطبية وأرجوزة نظم بها تلخيص المفتاح في (المعاني والبيان) وأرجوزة اختصر بها (ألفية ابن مالك) وأرجوزة في (الميقات) و (شرح جمل الخونجي) و (الحديقة ـ خ) و (اغتنام الفرصة في محادثات عالم قفصه ـ خ) و (إظهار صدق المودّة ـ خ) و (شرح مختصر خليل ـ خ) و (شرح الجمل ـ خ) و (برنامج الشوارد ـ خ)".

ويوافق هذا مع ما ذكره صاحب كشف الظّنون في الجزء الثاني من كتابه ص/ 1333 عند ذكر كتاب البردة. فقال ما نصّه: " وشرحها أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني شرحا وهو شرح عظيم سماه بالاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب وله شرح آخر سماه إظهار صدق المودّة في شرح قصيدة البردة...الخ". ولكن سقطت من نسخة صاحب كشف الظنون لفظة محمد الثانية خلافا لما في نسخة الزركلي في الأعلام.

وفي أمر ابن مرزوق الكفيف يقول الشيخ أحمد بابا السوداني في نيل الابتهاج ما نصّه في ص/ 88: " أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف ولد العالم ابن مرزوق بن الإمام الشهير الحفيد ابن مرزوق. كان نجيبا، صالحا من أهل تلمسان، أخذ عن والده الكفيف وعن السنوسي والتنسي وابن زكرى، ومات مغبوطا به وقع اسمه في فهرست ابن غازي ووصفه بالفقيه أبي العباس، ونقل عنه صاحب أبو عبد الله بن العباس في مسائله وتوهّم الشيخ بدر الدين القرافي هذا المصري العصري أنه ولد الإمام الحفيد بن مرزوق وليس كذلك بل هو حفيده ولد ولده الكفيف كما علمت والله أعلم".

وبعد الملاحظة والمراقبة والتأمّل وجدنا أيضا أنّ الشيخ أحمد بابا السوداني لخّص جميع ما تقدّم في نيل الابتهاج أيضا في ص/ 267 برواية تختلف ثمّ في آخر المكتوب فتح الأقفال ووضّح المشاكل فقال ما نصّه: " محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن مرزوق الخطيب، شمس الدين شهر بالخطيب وبالجدّ ابن مرزوق شارح العمدة في الحديث والشفاء..." إلى أن قال: " وجدّه الخامس والسادس أبو بكر بن مرزوق معروف بالولاية فيهم. وولد صاحب الترجمة على ما أخبرني عام عشرة وسبعمائة، ورحل مع والده للشرق سنة ثمان عشر وسمع ببجاية على ناصر الدين ولما جاور أبوه بالحرمين رجع هو للقاهرة فأقام وقرأ على البرهان السقاقي وأخيه وبرع في الطلب والرواية..." إلى أن قال: " وقد بنى مسجدا عظيما بالعباد، وكان عمّه محمد بن مرزوق خطيبا به على عادتهم..." إلى أن قال في آخر المكتوب: " وبيته بيت علم ودراية ودين وولاية كعمّه وأبيه وجدّه وجدّ أبيه وكوالديه محمد وأحمد وحفيده الإمام النظّار الحفيد ابن مرزوق وولد حفيده المعروف بالكفيف وحفيد حفيده المعروف بالخطيب وهو آخر فقهائهم فيما أعلم".

وإذا لاحظنا ما تقدّم وتفكّرنا فيما قيّده النسّاخ غالبا على الوثائق التي تتضمّن هذه المنظومة، وجدنا بعد الاقتراح التامّ أن ناظم القصيدة المرزوقية هو ابن مرزوق الجدّ. لأنّ أغلبيّة النّسخ لا ترى فيها إلاّ لفظة محمد بن أبي بكر بن مرزوق وهو المعروف المشهور بشمس الدين ويعرف أيضا بابن مرزوق الجدّ. والله أعلم وأحكم وعلمه أكمل وأتمّ. نفعنا الله بمنظومة المرزوقية وبعلوم المنسوبين إليها آمين.

وهذه المنظومة تحتوي أوّلا على الصلاة على النبيﷺ ثمّ بعد ذلك بيّن منشدها بالطريق الجملي حاجته كلها ثم واصل ذلك بالثناء على الله ببيان صفاته وقدرته وإرادته بل بكلّ ما يمكن الثناء به عليه تعالى، ثمّ رجع إلى تفصيل حاجته وجعل يتوسّل إلى الله بالأنبياء ودعواتهم الذين تعبوا غاية التعب في الدعوة إلى الله مع قدومهم كآدم ونوح وإبراهيم ويونس وهود و لوط و يوسف و يعقوب و أيّوب و إسماعيل و موسى و عيسى و نبيّنا محمد ﷺ وعلى الجميع. ثمّ توسّل بالقرآن جملة والآيات وما فيها وما فيه من الحكم، وببعض أساميه ﷺوما قيل إن فيه إسم الله الأعظم من الحروف المودعة في القرآن ثمّ توسّل أيضا بأمّ القرى وهي مكّة والكعبة والمواقف والمشاعر وبالصحابة والتابعين وبأهل العلم والأولياء والصالحين جميعا وخصّ منهم أبا مدين الغوث صاحب المواهب اللدنيّة والأنوار الربانية والفيوضات الرّحمانية بل وبجميع من مضى من الأشياخ وأهل الطرق الصوفية وقدوتهم وهكذا إلى انتهاء القصيدة فجاءت قصيدة فائقة في التوسّل والمدح وإظهار قدرة الخالق وضعف الآدمي. نفعنا الله بها وبما فيها من الأسرار والحكم آمين . بل ألف آلف. اهـ

ويروى في بعض الحكايات الشفويّة أنّ ناظمها وقع في بئر فجعل ينشدها فأخرجه الله من البئر بإذنه وقدرته تعالى. وقيل أنّ صاحبها وقع في ورطة فجعل ينشدها ففرج الله عليه. ويرجّح هذا ما يوجد غالبا مقيّدا في مقدّمة بعض النّسخ وهي:

اللّهم صلّ وسلّم على * نبيّ أتى بالهدى والكرم
إذا شئت رفع البلا والنقم * ودفع الكروب وجلب النّعم
فقل بلسان فصيح أتم * رفعت أموري لبار النسم

وفي بعض النّسخ في المقدمة:

حمدت إلهي جزيل النّعم * كاشف الكروب ومجلي الظّـــــلم
صلاة تدوم بطول الدّوام * على المصطفى ذي القدر الأعظم
وءال وصحب نجوم اقتداء * غيوث الغمام أجواد الكــــــرم
أستغفر الله غفار الذّنوب * ستار العيوب ومفرّج الهمّ
أستغفر الله التوّاب الرحيم * العفو الصفوح عما اجترم
أستغفر الله الجواد الكريم * معطي الرغائب وكاشف الغمّ

وأما مطلع المعمول هنا:

اللهم صل وسلّم على * حبيبنا محمد عليه السلام
صلاة تدوم وتبلغ إليه * مرور الليالي وطول الدّوام

وآخرها:

تكرّم عليّ وجد بالرّضى * ويسّر خلاصي مما أهم
وثمّ الصلاة على المصطفى * شفيع الخلائق في المزدحم

وفي بعض النسخ:

كذا الآل والصحب والتابعين * وأهل العلوم وأهل الحكم

وعدد أبياتها: ثلاثة وستون بيتا. اهـ

8- القصيدة الثامنة: ﴿ ثمرة القلب ﴾

وهذه المنظومة تعرف بثمرة القلب. فهي تبتدأ ببيتين من منظومة "طلع البدر" ومنهم من يدعو المنظومة بـ : طلع البدر. فهذه المنظومة لم يعرف قائلها.

ففي مقدّمتها بيّن الناظم أنّ ثمرة قلبه وفؤاده بل وجميع جوارحه هي محمّد ﷺ. ومن هنا بدأ في مدحه ﷺ ويظهر شجاعته بالصلاة والسلام عليه إلى أن بيّن ليلة ولادته بقوله " ليلة يب" ولم يزل مستمرّا في المدح وبذكر أحواله ومناسك حجّه وذكر ما جرى له ليلة المعراج مع روح الله جبريل. وبعد ذلك جعل يظهر قدرة الله وملكه ويثني عليه إذ ظهر للأمّة الإسلاميّة هذا النّبي المختار " كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس". ثمّ واصل على طريق الاقتباس الألفاظ الجارية الواردة بين النبي ﷺ والأنبياء وجبريل في الأحاديث وبها ختم هذه المنظومة المباركة:

لما أتى سمـــــــا الدنيا * قيل من معـــــــك يا
جبريل قال مرسل معيا * خير من يرسل محمد

فالحاصل أنّ المنظومة فاقت وفاحت حسنة ونضرة وحلاوة. ومطلعها:

طلع البـــــدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشّــكر علينا * ما دعـــا لله داع
ثمرة قلبي مع فؤادي * محمد خير العباد

وآخرها:

لما أتى سمـــــــا الدنيا * قيل من معـــــــك يا
جبريل قال مرسل معيا * خير من يرسل محمد

وعدد أبياتها ثمانية وعشرون (28) غير البيتين من طلع البدر. اهـ

9- القصيدة التّاسعة: ﴿ مقام ﴾

هذه المنظومة تعرف بمقام ففي مقدمتها بيّن ناظمها أفضلية النبي ﷺ على سائر الأنبياء وبما خصّه الله تعالى به من المعجزات وشرّفه به على غيره من الأنبياء وبيّن أنّ معجزته ﷺ فاقت غيره من الأنبياء بل هي أعجب وأغرب وأعلى وبالأسف لم يعرف ناظمها. فكر كلام الله لموسى عليه السلام وجوازه مع عسكره في البحر وقلب العصى حيّة وغيرها من معجزاته فقابلها بإسرائه ﷺ وزيادة الدّنوّ من الملك الأعلى فوق السماوات والعلى وسدرة المنتهى وحجب النّور والرفرف وقابلها أيضا بانشقاق القمر وتفجير الماء من بين أصابعه وهكذا يقابل معجزات موسى بمعجزات محمّد ﷺ وعلى موسى. فأشار إلى ما تقدّم:

لئن كلّم الله موسى النّبي * على جبل الطور يوم النّدى
فقد كلّم الله سبحــــــانه * على عرشه أحمد المرتضى

ثمّ واصل النّاظم بتسخير الجنّ والإنس وكلّ شيء لسيّدنا سليمان عليه السلام فقابله بكلام الحجر له وتسبيحه في كفّه وكلام الذّراع المسمومة وشكاية البعير وغيرها ممّا لا يعدّ و لا يحصى فقال مشيرا إلى ذلك.

وإن كانت الجنّ قد نالها * سليمان والريح تجري رخى
فإنّ النّبي حوت كفّــه * عنان البـــــراق وهذا كفى

ثمّ واصل أيضا بحكاية سيدنا صالح وناقته وبحكاية سيدنا إبراهيم ونار نمروذ وحكاية سيدنا نوح ويونس ويوسف وعيسى صلوات الله عليه وعليهم أجمعين فجعل يقابل معجزة كلّ نبي من هؤلاء بمعجزاته ﷺ ليبيّن أفضليته ﷺ على غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه. ولمّا تمّ عرضه من هذا الأمر بدأ يثني على هذه الأمّة ويمدحها إذ أخرج الله منهم هذا النبي المختار فبيّن أيضا أنّ كلّ من أحبّه وأحبّ أصحابه وأسرته ينال شفاعته غدا. ومن هنا شكر الله وحمده إذ وفقه على هذه النّعمة فقال:

صلاة الإله على أحمد * حبيب الرسالة فوق السّما
الحمــد لله والشّكر لله * على نعمته بالنبي الهدى

فالخلاصة مما تقدم أنّ المنظومة منظومة مقابلة فقد أجاد وأفاد ناظمها فجزاه الله عن الأمّة المحمّديّة خيرا آمين. ومطلع هذه القصيدة:

مقام لدى سدرة المنتهى * لأحمد لا شكّ للمصطفى

نبيّ وتالله ما مثلــــــه * فأوحى إليه شديد القوى

وآخرها:

صلاة الإله على أحمد * حبيب الرسالة فوق السّما

الحمـد لله والشّكر لله * على نعمته بالنبي الهـدى

وعدد أبياتها خمس وأربعون (45) بيتا.

10- القصيدة العاشرة: ﴿ يا إله العالمين ﴾

وهذه المنظومة من أحسن المنظومات أيضا في قصائد المديح وهنا أيضا بالأسف لم يعرف قائلها ـ رحمه الله. فالنّاظم في هذه القصيدة بدأ بالنّداء على الله وثنّى بالثناء عليه بظهوره لهذا النّبي وجعله رحمة وهدى وكرامة للنّاس أجمعين.

وبعد هذا شرع في مدح القرآن كتاب الله الذي هو أكبر من جميع معجزاته ﷺ وبيّن أنّه الحقّ وأنّه النّور والتبيان لكلّ شيء وأنه محفوظ بقدرة الله لا يقدر أحد على تحريفه و لا تغييره فقال تعالى: { إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون}.

ثمّ واصل مع ذكر معجزاته ﷺ فبدأ بأكبرهم وأغربهم وهو ما قدمنا ذكره آنفا كتاب الله فانشقاق القمر فقال:

محمّد خير البشــــر * من أجله انشقّ القمر

وقالوا سحر مستمرّ * أهل الضلال المفتين

وتابع لهذه المعجزة ردّه للشّمس ثمّ من هنا بدأ في ذكر المحاورة والترحيب التي جرت بينه ﷺ وبين غيره من الأنبياء ليلة المعراج ومن هنا أيضا جعل ينبّه الأمّة المحمّديّة ويبشّرهم بهذه النّعمة الوافرة العطرة الطيّبة التي هي ظهور هذا القمر المنير والسّراج المنير ويضيف إلى هذا شيئا من ما منحه الله من النّور ورفعة قدره بين أنبيائه صلوات الله عليه وعليهم، وختم المنظومة بالرّجاء من الله أن يهديه بهذا المدح وأن يجعله من حزبه إذ الفضل كلّ الفضل والرّفعة لمحمّد وحزبه فقال:

حزب النّبي قد سما * على مقام في سما

صلوّا عليه دائما * وسلّموا مستبشرين

فللّه درّ ونفع الأمّة الإسلاميّة بمنظومته وأن ييسّر لناظمها مناه آمين. ومطلع هذه القصيدة:

أيا إله العالمين * ومنزل الذّكر المبين

أنت وليّ المتّقين * ولا تحبّ المفسدين

وآخرها:

حزب النّبي قد سما * على مقام في سما

صلوّا عليه دائما * وسلّموا مستبشرين

وعدد أبياتها أربعون (40) بيتا.

11- القصيدة الحادية عشر: ﴿ أيا إلهي يا قريب﴾

وهذه المنظومة متوسّطة لكنّها في غاية الحسن والإفادة، وقد جمع ناظمها فيها عدّة مواضيع كالدّعاء والإرشاد ومدح النبي ﷺ والأمر بالصلاة عليه والنّصيحة والتحذير والإغراء والتهيّأ ليوم القيامة، والأسف أيضا لم يعرف قائلها.

فقد بدأ النّاظم بالدّعاء بطلب الغفران وبيّن بعد ذلك أنّ الصلاة على النّبي ﷺ من الأسباب الجالبة للخلاص من أهوال يوم القصاص. ثمّ استمرّ في مدح النّبي ﷺ بقوله:

محمّد هو نبيّنا * وشفيع المذنبين

يا سعيد المتّقين * ينظر وجه محمّد
زمزمي مصطفى * مكّي مدنيّ

ثمّ أوصى وحرّض على المسلمين الإكثار من الصّلاة على هذا النّبي الكريم وأتبعه أحوال الذين كانوا يستهزئون بدينه كيف حالهم يوم القيامة على الصفة التي نعتها محمّد ﷺ في الأحاديث وذكر أحوال يوم القيامة وجهنّم وأبوابه. ومن هنا؛ رجع للمدح أيضا وجعل يصف أدب البراق معه ﷺ وإسرائه إلى السّموات العلى. وفي هذا الموضع ختم المنظومة بالدّعاء أيضا بنيل حبّه ﷺ والتوسّل بجهله أيضا في نيل الفرج في مهمّاته وستر عيوبه وغفران ذنوبه. ومطلع هذه المنظومة:

أيا إلهي يا قريب * فاغفر لمن يتوب
ولمن يدعو مجيب * بالصّلاة على محمّد

وآخرها:

يا ربّنا فرّج كروبنا * إلهنا فاستر عيوبنا
مولانا فاغفر ذنوبنا * بجاه النّبي محمّـد

وعدد أبياتها أربع وعشرون (24) بيتا.

12- القصيدة الثانية عشرة: ﴿ خير حمد الإله ﴾

هذه المنظومة لعبد الله الملقب بأند عبد الله بن سيد أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الفقيه عثمان بن محمّد بن يحي بن تنمر الولاتي. وقد أشار إلى ترجمته صاحب فتح الشّكور فقال: " كان فقيها نحويا شرح الأجروميّة شرحا حسنا مختصرا وتوفي في السابع أو الثامن بعد ثلاثين وألف وهو من المعمّرين".

فقد بيّن في هذه المنظومة ما شاء الله من فضائله ﷺ. فمدحه بظهور هذا الدّين الحنيف وبالآيات الظاهرة في ولادته وبإسرائه ورده للشمس وبالكتاب الذي جاء به. واستمرّ في هذا إلى أن وصل إلى ذكر معجزاته بالتفصيل فذكر منها أشرفها كتظليل الغمامة له، وحفظ الشمس، ونبع الماء من بين أصابعه، ونموّ الطعام ببركته واستجابة دعواته وحكايته مع الذئب والضبّ والغزال وتعينه لوقت مجيء العير وببشارته بذلك، وبأنه صاحب الشّفاعة الكبرى واللواء والحوض.
و لمّا تمّ من هذه العجالة بيّن أنّه يطلب من الله الفضل بهذه المنظومة كما أنّ جميع الأنبياء صلّوا عليه ومدحوه قبله وزادوا بذلك فضلا وكذلك أصحابه وكلّ منسوب إليه ﷺ. وأرّخ تاريخ نظمه بقوله:

حاصل في عام خمس * بعد بيك أن يصالا.

وعرّف نفسه بقوله:

نظم مدحي القصيده * ابن أحمد به قالا

ومطلع هذه القصيدة:

خير حمد الإله * وهو باق لن يزالا
صل على خير خلق * ثم سلّم اتّصالا

وآخرها:

نظم مدحي للقصيده * ابن أحمد به قالا
هدية الله تعالى * نعمة الله توالا

وعدد أبياتها ستة وثلاثين (36) بيتا.

13- القصيدة الثالثة عشر: ﴿ الكريم يقبل ﴾

وهذه المنظومة حسن التّسميط. ولكن بالأسف لم يعرف قائلها ـ لله درّه ورحمه ـ قد لخّص في هذه المنظومة ثمرات التّوبة في المقدّمة وحرّض المسلمين عليها وبلزومها، وشرح أحوال جهنّم وأهواله لكلّ من عصى محمّدا أو ما جاء به محمّد ﷺ. وواصلها بالنّصائح الأدبية بقوله:

دم على الجماعه * والزم القناعه

إلى أن جعل يصف الله ويحمده بصفاته الكماليّة ويسبكه بالنّصائح التّهذيبيّة بلزوم الصّبر وحسن المعاملة وحسن الخلق وكثرة الدّعاء مع ذكر طرف من آداب الدّعاء. وبعد هذا شرع في مدح النّبي ﷺ بذكر صفاته الخُلُقيّة والخَلقيّة وأوصله أيضا بكيفيّة التوسّل والاجتهاد في التهجّد والكثرة فيه وفي الدّعاء، وختم المنظومة المباركة بالدّعاء الصالح نفعنا الله به آمين. ومطلعها:

الكريم يقبل * تائبا أتاه * لا يخاف بخسا * كلّ من رجاه

تب عليّ ترحّم * يا أخيّ واعلم * أن في جهنّم * سجن من عصاه

وآخرها:

يا كريم هب لي * من جفا جهلي * كم رجاك مثلي * لم تجب دعاه

وعدد أبياتها تسعة وعشرون (29) بيتا.

14 – القصيدة الرابعة عشرة: ﴿كنت إني أنا﴾

هذه المنظومة في غاية الحسن والجمال إذ جمع فيها الوسائل والآداب المطلوبة في الدين مع تداخل المدح والثناء على رسول الله ﷺ فيها. لم يعرف قائلها.

فبدأ بتحميد الله والدّعاء بجاه النبي ﷺ إذ جاهه عند الله عظيم، بطلب الرّضا والعفو وشفاعته ﷺ.

وثنى بالمدح بذكر فضائله وآثاره ومعجزاته ﷺ وكلّ من آمن به وتبع سنّته. وبالدّعاء على كلّ من خالف أوامره ونواهيه ومال عن سنّته المطهّرة.

وثلّث بالطلب من جميع المدّاحين والسامعين أن يقوموا بالصلاة عليه معه، وبيّن بعد ذلك فوز من زار قبره في حجّه والطلب من الزّائر أن يبلّغ سلامه إلى هذا النّبي ﷺ وعلى ضجيعيه.

وختم المنظومة بالدعاء لنفسه وللمذنبين ولجميع المسلمين عموما وخصوصا وبجاهه ﷺ. ومطلعها:

كنت إنّي أنا * أنا ومن لنا * أنا عبد الجنا * يا من له الثّنا

صلّوا على النبي وسلّمو عليه

وآخرها:

آمين آمين آمين * فاغفر للمذنبين * كذا والقانطين * بحرمة يس

صلّوا على النبي وسلّموا عليه

وعدد أبياتها ثلاثة وعشرون (23) بيتا.

15 – القصيدة الخامسة عشرة: ﴿شهر الربيع﴾

في هذه المنظومة موضوع واحد فقط وهو مدح شهر ميلاد خير الورى سيّدنا ونبيّنا محمد ﷺ.

فبيّن فضل هذا الشهر وليلة ولادته ﷺ على سائر الليالي والشهور. على أنّه مقدّم على غيره وأرفع وأطيب وأطهر وأشرف وأنور وأزين وأعدل... الخ إذ فيه ولد أفضل الأنبياء وأرفعهم وأطيبهم وأطهرهم وأشرفهم وأنورهم ﷺ وعليهم أجمعين.

فجعل في الشطور الأوّلية يمدح الشهر وفي التالية المكملة للبيت يمدح ليلة الولادة، فكأنّه يبيّن فضل الشّهر ويرجّحه بليلة الولادة المباركة صلى الله على صاحبها وسلم، والأسف لم يعرف قائلها. ومطلعها:

شهر الرّبيع أوّل الشّهور ** فيك أوّل اللّيالي مولد النّبي محمّد

وآخرها:

شهر الرّبيع أتمّ الشّهور ** فيك أتمّ اللّيالي مولد النّبي محمّد
شهر الرّبيع خير الشّهور ** فيك خير اللّيالي مولد النّبي محمّد

وعدد أبياتها ستّة عشر (16) بيتا.

16- القصيدة السادسة عشرة: ﴿ أودعت لربّي ﴾

وهذه المنظومة تحتوي على التّحميد والتّمجيد والدّعاء والتوسّل بالنبي وبجاهه فقط لا غير. ولكن بالأسف لم يعرف قائلها ـ فلله درّه ورحمه ـ فقد جمع جامع الدّعوات المباركة المفيدة الجالبة لخيري الدّنيا والآخرة، وعمّر في دعائه المسلمين رحمه الله ونفعنا به وبمنظومته. ومطلعها:

أودعت لربّي * علاّم الغيوب * نفسي ذو الغيوب * بجاه محمّد
في دار الخراب * وتحت التّراب * وعند الجواب * بجاه محمّد
يا ربّ الأرباب * اغفر لي ذنوبي * في يوم الحساب * بجاه محمّد
أجرني يا ربّ * من دار العذاب * وسوء الحساب * بجاه محمّد

وآخرها:

يا من لا يخاف * ارحم من يخاف * بجاه من لا يخاف * بجاه محمّد
يا من لايضام * ارحم من يضام * بجاه من لا يضام * بجاه محمّد

وعدد أبياتها سبعة عشر (17) بيتا.

17- القصيدة السابعة عشرة: ﴿ أ يا رجاء الطّالبين ﴾

وهذه المنظومة مثل ما تقدّم فقد احتوت على التّحميد و التّمجيد والدّعاء ومدح النبي ﷺ الذي هو النقطة الرئيسيّة فيها.

وأشار في آخر المنظومة بذكر شجاعته وقوّة عزمه وانهزامه لجيوش الكفّار ونصره للدّن الحنيف، وبيّن شرف نسبة وفضل ليلة ولادته وختم هذه المنظومة بالطلب من الله أن يبلّغ سلامه إلى هذا النّبي ﷺ. نفعنا الله بها. ومطلعها:

أيا رجاء الطالبين * ويا أمن الخائفين
أنت عماد اللاجئين * كذا مجير القانتين

وآخرها:

هنا انتهى ما قد ألهم * على درود المنتظم
في مدح خير الخلق هم * كاف و لام أجمعين.

وعدد أبياتها أربعة وعشرون (24) بيتا.

18- القصيدة الثامنة عشرة: ﴿ مولانا ﴾

هذه المنظومة المعروفة " بمولانا" لم يعرف قائلها، ولكن أشار الناظم في آخرها إلى البلد الذي نظّم فيه تلك القصيدة وهو سجلماسة. وهي مدينة قديمة في المغرب عاصمة بلاد تفلالت سابقا على حدود الصّحراء. وذكر أيضا اسم عليّ بن إدريس طالبا له الغفران بعد تقديمه فذلك دليل على أنّه كان معاصرا للسلطان علي بن إدريس ـ أنظر ترجمته في الاستقصا ـ وفي ما دليل على أنّ النّاظم من سجلماسة في المغرب.

والحاصل أنّ هذه المنظومة قد فاقت أغلبيّة ما تقدّمت، فيتضمّن ما شاء الله من الدّعوات والتبشيرات والتّحذيرات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من الفوائد والمنافع فهي منظومة طويلة وسنجزئها إن شاء الله بتلخيص ما تتضمّن من الإفادة والمنافع مع التّداخل.

ففي الدّعاء: " مولانا نرجو رضاك * ما لنا مولا سواك" ... الخ في خمسة أبيات.

وفي البشارة: " بشرى لأهل الإخلاص..." الخ

وفي التحذير: " ومن كفر به * فهو من الملحدين" ...الخ. ومجموع الأبيات الواردة في البشارة والتحذير ثلاثة عشر بيتا.

ثمّ أمر بالصّلاة عليه ﷺ وذكر فضائله وآثاره ومقامه بين الأنبياء وشرف نسبه وألقابه وكنيته بل ذكر عدة أسماء من أسمائه كـ: حبيب المحسنين، مرشد المرشدين، منذر الملحدين، إمام المتّقين... الخ

وبيّن فضله قبل مبعثه وبعد مبعثه وتسديد رأيه ومنافع أقواله وأفعاله، وهذه كلّها في أربعة عشر بيتا منها.

ثمّ ذكر في أربعة بيتا ما اختصّه الله به وفضّله به على غيره من الأنبياء وبشارة الأنبياء به وبآثاره قبل بروز نوره ﷺ وعليهم، وما ذكر في كتب الأوّلين.

ثمّ ليلة ولادته وإشراق العالم بظهوره والفرج الذي عمّ العالم العلويّ والسفليّ وذلك في أربعة أبيات فقط، ثمّ تابع نظمه بالنّصيحة بالجود والبشرى الحسنة لمن اتصف نفسه بالخصال الحميدة في بيتين.

ومن هنا بدأ يتعوّذ من الوسواس، وبيان فوائد التعوّذ منه والحضّ على الترحّم وإطعام الطعام وبيان الجزاء الذي قيل فيهما. والتصدّق على الفقراء ودوام التوبة وكثرة الصلاة عليه ﷺ. ثمّ ذكر بعد هذه فضل الخلفاء الراشدين وأسرته الطيّبة وخصّص منهم ابن عمّه عليّ بن أبي طالب قامع المشركين وهذه الفوائد والمعلومات كلّها في ثمانية عشر بيتا ثمّ بيّن تاريخ نظمه لهذه القصيدة والموضع الذي نظمها فيه فقال مشيرا به:

نظمت نشد مسا ** بأرض سجلماسا
مدحت النّبي عسى ** إن الحقّ الصالحين

فلعلّ نشد معناه النشيد لضرورة النّظم ومسا المضاف إليه لعله فحذف الهمزة والله أعلم ولعلّ كلمة (نشد مسا) هو تاريخ النّظم فالله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمئاب.

ولمّا تمّ غرضه بين السبب الذي جرّه إلى خدمته لهذه القصيدة الفائقة في بيتين وختمها بالدّعاء له وللمسلمين عامة ولأهل مجلسه خاصّة وللمستمعين في عشرين بيتا تقديرا.

فكلّ من قرأ هذه المنظومة قراءة تفهيم وتدقيق مع التأمّل والاطمئنان يرى فيها لا توصف من الفوائد والمنافع وسهولة المناولة نفعنا الله بها آمين. ومطلعها:

مولانا نرجو رضاك * ما لنا ربّ سواك
ثبّتنا عـــــند لقاك * يا أرحم الراحمين
هب لنا منك الرّضى * والعفو عمّا مضى
من قبل مجيء القضى * يا أكرم الأكرمين
ثبّتنا عند السـؤال * يوم لا ينفع مال
حيث بقرب يــــقال * أين المتصدّقين

وآخرها:

اغفر من له التّقديس * لعلي بن إدريس
وجميع أهل المجلس * اغفر للمستمعين
استجـــــب لنا دعا * وارحم من تضرّعا
بجاه نبيـــــــــنا * يا مجيب السائلين
صـــــلّى الله ربي * على النّور المبين
أحمد المـــصطفى * سيـــــد الأوّلين

وعدد أبياتها ثمانية وسبعون (78) بيتا. اهـ

19- القصيدة التاسعة عشرة: ﴿ يا مالكا ﴾

هذه المنظومة تحتوي على التّوحيد والتّحميد والتمجيد والثّناء الجميل والمناجات الحسنة المهيّجة للقلوب الصّافية وهي تحتوي على هذه المذكورات فقط فبالأسف لا تقرأ الآن في الموالد وناظمها مجهول لم يعرف.

ومطلعها:

يا مالكا ليس لي سواك كم لك في الخلق من سوائي
أنت الغنى وافتقاري إليك يا سامع الدّعـــــاء

وآخرها:

فحيث ما كنت أنت منّي كقاب قوسين غير نائي
وعن يميني وعن شمالي وعن أمامي ومن ورائي
يا طيب ما عندك حدثيني نسائم الصبح والمســاء

وفي نسخة زيادة هذا البيت التالي ولكنّها ليست من النّظم وهو:

حاشاه لم تعـــــــودوا منـــك لي لي وقال لا لا

وعدد أبياتها اثنين وعشرين (22) بيتا مع زيادة ما تقدّم.

20- القصيدة العشرون: ﴿ تخميس بانت سعاد ﴾

وهذه القصيدة في غاية الحسن فقد وسّع ناظمها مقالات مؤصلها الذي هو كعب بن زهير وأضاف إليها فوائد ومعلومات جيّدة في بيان فضل النّبي ﷺ ومدحه والثناء عليه.

وبالأسف قائل هذه التخميس لم نقف عليه في البحث والمنظومة أيضا لا تقرأ في هذه الأزمنة الحاضرة. ومطلعها:

دمي بسيف الهوى والهجر مطلول * وعقد صبر عن الأحباب محلول
ودمع عيني عن الأرجاف موصول * بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول
متيّم اثرها لم يفد مقبول

وآخرها:

أزكى صلاة عليهم أنّهم نجم * صلاة من ليس يمشي وحده عدم
ممزوجة بسلام ساقه كــرم * فإنّهم في المعالي سادة بـــــهم
تردي بهم في الوغا شعثا أبابيل
ثمّ الصلاة على المختار سيدنا * محمّد خيرنا دينا ومرشـــدنا
وخير داع لمولانا ومنجـــدنا * وءاله المصطفى الفرح مقصدنا
ما حركت فوق أشجار عثاكيل

وعدد أبياتها تسعة وخمسون (59) بيتا.

ويقول مخمّسها في المقدمة: " لمّا وقفت على القصيدة المشهورة ببانت سعاد لكعب بن زهير بن أبي سلمى انبعثت نفسي إلى تذييلها، وتخميسها لما فيها من مدح رسول الله ﷺ فقلت مستعينا بالله تعالى...".

21 – القصيدة الحادية والعشرون: ﴿ البائيّة ﴾

هذه القصيدة للشيخ العالم العلامة الفقيه الفهامة الشيخ سيد أحمد زرّوق ﷺ. فقد ذكر الزركلي ترجمته في الأعلام فقال ما نصّه: [أحمد بن أحمد بن محمّد بن عيسى البرنسي الفاسي، أبو العباس، زروق (846 هـ - 899 هـ / 1442 – 1493 م) فقيه محدّث صوفيّ، من أهل فاس (بالمغرب) تفقّه في بلده وقرأ بمصر والكدينة وغلب عليه التصوّف، فتجرّد وساح، وتوفي في تكرين (من قرى مسراته، من أعمال طرابلس الغرب) له تصانيف كثيرة يميل فيها إلى الاختصار مع التحرير، وانفرد بجودة التصنيف في التصوّف. من كتبه " شرح مختصر خليل" في الفقه المالكية، و " النصيحة الكافية لمن خصّه الله بالعافيّة - ط" و " القواعد - ط" في

التصوّف، و " الجُنّة، للمعتصم من البدع بالسنّة" و " البدع الذي يفعلها فقراء الصوفية" مائة فصل، و" الكناشة" و " رحلة" و" شرح رسالة أبي زيد القيرواني ط" فقه]

وفي نيل الابتهاج لأحمد بابا السوداني ما نصّه: " أحمد بن أحمد بن محمّد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق، الإمام العالم الفقيه المحدّث الصّوفي الوليّ الصّالح الزّاهد القطب الغوث العارف بالله الحاج الرحلة المشهور شرقا وغربا ذو التصانيف العديدة والمناقب الحميدة والفوائد العتيدة، قد عرف بنفسه وأحواله وشيوخه في كناشته وغيرها فقال: ولدت يوم الخميس، طلوع الشمس ثامن وعشرين من المحرم سنة ستّ وأربعين وثمانمائة... حتى بلغت العشر وحفظت القرآن، وتعلّمت صناعة الخرز ثمّ نقلني الله بعد بلوغي سادس عشر إلى القراءة، فقرأت الرّسالة على الشيخين عليّ السبطي وعبد الله الفخار قراءة بحث وتحقيق والقرآن على جماعة منهم القوري، والزرهوني، وكان رجلا صالحا والمجاصي والأستاذ الصغير بحرف نافع، واشتغلت بالتصوّف، والتوحيد فأخذت الرسالة القدسية وعقائد الطوسي على الشيخ عبد الرحمان المجدولي ومن تلاميذ الأبيّ، وبعض التنوير على القوري، وسمعت عليه البخاري كثيرا وتفقّهت عليه في كلّ أحكام عبد الحقّ الصغرى، وجامع الترمذي وصحبت جماعة من المباركين لا تحصى كثرة بين فقيه وفقير اهـ ملخّصا ـ وقال فيه الشيخ بن غازي صاحبنا الأود الخلاصة الصفيّ الفقيه المحدّث الفقسه الصّوفي البرنسي وبرنس بنون مضمومة بعد الرّاء نسبة إلى عرب المغرب اهـ فهرسته.

واستمرّ أحمد بابا في نيله في ذكر أصحابه وأشياخه ومعاصريه وعدّة كتب غير ما ذكره الزّركلي وأبيات في التصوّف، ونبذة من أقواله الأدبيّة. وقال في آخر التّرجمة عن شيخه العارف بالله سيدي ريتون أنّه قال فيه أنّه رأس السبعة الأبدال نفعنا الله به اهـ.

وهذه المنظومة تحتوي على موضوع واحد فقط وهو ذكر وصف خلقته ﷺ كما نعتها كتب الأوائل والأحاديث والسّير إجمالا وتفصيلا. فيبيّن لونه ووجهه، وحاجبيه وعينيه وخدّيه ولحيته وبنانه وصدره وفمّه، وشعره، وثناه، وطوله وقصره، وأدبه وتبسّمه، ومشيه ﷺ وغيره فلذلك أشار النّاظم في البيت الثامن عشرة بعد سرد الأوصاف فقال:

فدونك من أوصافه الغرّ جملة *** تذمّنها نظمي بها الدّهر أعذب

وممّا يوجد دائما مكتوبا في مقدّمة هذه المنظومة " أنّ من كتبها وجعلها في منزله آمن من الصّواعق والحرق والغرق ومن السلطان الجائر والفقر و لا يزال الخير كلّه في منزله ما دامت فيه صفته ﷺ" فللّه درّ ناظمها ورحمه ونفعنا بعلومه فقد أفاد وأجاد.

وقد شرح هذه المنظومة الشيخ عبد القادر بن محمد سالم المجلسي المالكي الأشعري شرحا كافيا اختصره من القسطلاني وشمائل الترمذي وغيرهما. ومطلع القصيدة البائيّة:

صلاتك ربّي والسلام على النّبي ** صلاة لها ريح من المسك أطيب
لقد كان خير الخلق أبهر طلعة ** من البدر بل من شمسه هو ألهب
جميل المحيا أزهر اللون أبلج ** بهيّ بهيج الوجه أبيض مشرب
أشمّ أزجّ الحاجبين مفلّج ** كحيل الجفون أدعج العين أهدب

وآخرها:

مدحتك يا خير العباد ولم تكن ** لمدحي فقيرا بل أنا المتكسّب
لئن كنت ممّن يحسن المدح ثمّ لم ** أقله وفيك إنني لمخيّب
فمدحك بالنّظم المجوّد حوكه ** زكاة على كلّ القصائد توجب
عليك صلاة الله ثمّ سلامه ** وآلك والأصحاب ما ذرّ كوكب

وعدد أبياتها أربعة وعشرون (24) بيتا.

22 ـ القصيدة الثانية والعشرون: ﴿ تسبيع البردة﴾

وهذه القصيدة للشيخ الفقيه بن مرزوق. فقد قدّمنا ترجمته عند ذكر القصيدة السّابعة. فراجعها. فقد وسّع فيها مقالات مؤصلها البوصيري. ومطلع التّسبيع هو:

الله يعلم ما في القـــلب من ألم ** ومن غـــرام باحشاء ومن سقم
على فراق فراق حلّ من حرم ** كم قيل والدّمع من عيني كالديم
على العقيق عقيق غير منسجم ** أمن تذكّر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وآخرها:

الله شاهد ما أبغيــــــــــه لي أربا ** وقد جـــعلت مديحي للرجا سببا
غريب مدحي حلاني سيد الغـــربا ** صلى عليه الذي أوصى إليه سبا
والآل والصحب والأتباع والنــجبا ** ما رنحت عذبات البار ريح صبا
وأطرب العيس طيب العيس بالنّغم

وتقاس عدد أبياتها على الأصل الذي هو البردة.

23 - القصيدة الثالثة والعشرون: ﴿ دوام حال ﴾

هذه القصيدة للشيخ أبي عبد الله محمّد بن يوسف الشران. وقد ذكر أحمد بابا السوداني ترجمته في نيله فقال رحمه الله: " محمّد بن إبراهيم الشران الأندلسي الغرناطي، وصفه بعضهم بالشيخ الفقيه الرئيس الصّدر العلامة العماد الذّخر العلم الأرفع الأوحد الأمجد الذي لا يجارى في الإنشاء والاختراع كلاما جزلا وقولا فصلا رئيس كتبة الحضرة العليّة أبو عبد الله بن الشيخ الفاضل الماجد الأرفع الأعزّ الأوجه أبي إسحاق كان حيّا سنة سبع وثلاثين وثمانمائة 837 له منظومة حسنة في الفرائض وقفت عليها وشرحها القلصادي كما تقدّم في ترجمته".

فهذه القصيدة من أغرب القصائد خطوة وأبلغها وأكثرها فائدة بل وأوسعها وأقواها أسلوبا بل وأنضرها فتحتوي على النّصائح الطيّبة والتّشجيع على الصّبر والتّحمّل وبيان لطف الله بخلقه، والحضّ على التوكّل إليه، والتصوّف بتصغير الدّنيا وشهواتها، وبيان صفاته تعالى والثناء عليه بصفاته الكماليّة والجماليّة. وبعد ذلك واصل مع التسليم لقضائه تعالى وتفويض الأمور إليه والرّضى بقضائه، ومن هنا كأنّ النّاظم ولهان بالمناجاة المهيّجة للقلوب المبيّنة لضعف المرء وافتقاره إلى رحمته تعالى ورجاءه، ثمّ شرع النّاظم في التوسّل بالنّبي ﷺ، ومدحه فبدأ ببيان فضله وما أكرمه الله به من حسن خَلق وخُلُق وشيمة وحكمة وعلم ونور وحبّة وترحّمه، وغير ذلك من الفوائد. وأضاف إلى هؤلاء ما خصّه الله به من الكرامات دون غيره من الأنبياء إجمالا وعدّها تفصيلا، وذكر إسرائه كما ينبغي وكما هو مسطور ومعجزاته تفصيلا، وهجرته، وغير ذلك من آثاره وسيرته ﷺ.

فهي منظومة لا توصف ففيها من التلميح، والاقتباس والبيان والبديع والمعاني والبلاغة والأمثال والارشادات ما ليست في غيرها فلذلك اشتهرت (بالمحال). ومطلعها:

دوام حال من قضايا المحال ** واللطف موجود على كلّ حال
والنّصر بالصّبر محلّ الظبا ** والجَد بالجــــدّ مريش النّبال
وعادة الأيام معهـــــــــودة ** سلم وحرب والليالي سجـــال
وما على الدّهر انتقاد عـلى ** حال فإنّ الحال ذات انتقـــال
من لليالي بائتلاف وكـــــم ** من اعتبار باختلاف اللّيـــــال
أخذ عطاء محنة منـــــحة ** تفرّق جمع جلال جمـــــــــال

وآخرها:

فأنت للخلق ملاذ الــــورى ** والوزر الأحمى لدى ذي الجلال
صلّى عليك الله نور الهدى ** أزكى صلاة قرنت باتصــــــال
يصحبها أزكى ســـــلام به ** ننال أمنا من جميع الوبــــــال

وعدد أبياتها مائة واثنان وستّون (162) بيتا. اهـ

24 – القصيدة الرابعة والعشرون: ﴿ صلاة ربّي مع السّلام ﴾

وهذه القصيدة للشيخ محمد بن المختار بن سعيد المعروف بالوليّ اليدالي الديماني، فقد ذكر ترجمته في إزالة الرّيب فقال مانصّه: " أظنّه أدرك الثاني عشر، ألّف تأليفا في مجلّدين في تفسير القرآن، سماه الذّهب الابريز على كتاب الله العزيز وله قصيدة ميمية من أحسن القصائد في مدح النبي ﷺ في سبعة وأربعين بيتا، خارجة عن بحور الخليل بن أحمد الخمسة عشر وعن المتدارك والخبب ومطلعها:

صلاة ربّي مع السلام ** على حبيبي خير الأنام

تلقاها الناس بالقبول وكذا غيرها من تواليفه الحسان وشرحها شرحا صغيرا وكبيرا ولها بركة عظيمة وفضائل. ومن أراد فضائلها فلينظر في شرحه لها رحمه الله" اهـ المراد منه.

ففي هذه القصيدة جمع صفاته وأحواله وآثاره وأنسابه وغيرها. وكان ناظمها مدّاحا للنبيّ ﷺ ، أنظر ترجمته في الوسيط. ومطلعها:

صلاة ربّي مع السّــــــلام ** على حبيبي خير الأنام

بادي الشّفوف داني القطوف ** بــرّ عطوف. ليث همّام

ذاك النّبي. الهــــــــــاشمي ** ذاك العليّ. الهادي التّهام

وآخرها:

قنا البلايا وافتــــــح لنا يا ** جــمّ العطايا. سبل السّلام

وارزق لنا يا. باري البرايا ** عنــــد المنايا. حسن الختام

وعدد أبياتها كما تقدّم سبعة وأربعون (47) بيتا. وفي نسخة ثمانية وأربعون اهـ. ولهذه المنظومة شروح غير شرحي النّاظم.

25 – القصيدة الخامسة والعشرون: ﴿ تخميس البردة ﴾

ناظم هذه التّخميس هو الشيخ الفقيه الأجلّ، الإمام الأعدل أبو عبد الله المرّاكشي. ولم نقف على حقيقة ترجمته في كتب التّراجم التي وقفنا عليها. والذي يفهم من تخميسه أنّه شاعر مفلق فصيح وبليغ.

ففي كتاب إزالة الرّيب والسعادة للموقت رأينا ذكر بعض العبادلة ولم نتحقّق هل هو المطلوب أم غيره. والله أعلم.

وتخميسه هذه مشهورة جدّا في تنبكتو وكذلك في المدن والقرى المجاورة لها، ومع شهرتها لم نقف على ترجمته. ومطلعها:

ما بال عينيك تشكو شــــدّة الألم ** رمداء نامت عيون وهي لم تنم

تذري دما ودموعا في دجى الظّلم ** أمن تذكّر جيران بذي ســـــلم

مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وآخرها:

يضاحك الزّهر حياه الحيا فـحبا ** طيب الشميم فأبدا منظرا عــجبا

جرى الشّذا والنّدا من ثغره شنبا ** ما رنحت عذبات البان ريح صبا

وأطرب العيس حادي العيس بالنقم

وعدد أبياتها تقاس على أصلها.

26 – القصيدة السادسة والعشرون: ﴿ تخميس المرزوقيّة ﴾

هذه القصيدة لا تقرأ في الموالد الآن وكان أهل جنـگري بار، هم الذين يلازمون قراءتها. أما اليوم لا يقرأها أحد بل وحتّى لا تسمع بها.

وناظمها هو أبو بكر بن سيد عروة بن الشيخ سيد محمد وقد بحثنا عن ترجمته فلم نقف عليها إلاّ أنّ بول مارتي ذكره فقط بتحريف بعض الألفاظ. بمعنى بدلا من أبي بكر (بكل) وبدلا

من عروة (علوات) والحاصل أنّه من ذرّية الشيخ سيد المختار الكبير ووالده علوات هذا أخ للشيخ أحمد البكاي المشهور. وذكر بول مارتي أنّه مات مجنونا وليس الأمر كذلك بل مات وليّا صالحا، وكان مجاب الدّعوة، لذلك يزدحم عليه النّاس لطلب الدّعاء منه. وكان دائما في الشّطحات فلذلك يظنّه من لا يعرفه أنّه مجنون. وله عدّة قصائد. ومطلعها:

رضيت بما الله لي قد قسم ** له قـــــلم قبل هذا رسم
فلما أموري شيت بســـــم ** رفعت أموري لبار النّسم
وموجدنا بعد سبق العدم
و رازق من كان ذا سيّئات ** على كلّ حال كذا الصّالحات
ومهدي الهداة لنهج النّجات ** مميت الخلائق بعد الحيـــاة
ومنشي العظام ومحي الرّمم

وآخرها:

أيا من قضى الأرض ثمّ قضى ** سماواته السبع أيّ قضا
بحقّ الرّسول النبي المرتضى ** تكرّم عليّ وجد بالرّضى
ويسر خلاصي ممّا أهم
فربّ الرّضيع وأحـــــواله ** صلاة له إثر اجلالـــــه
وتسليمه ثمّ إفضالـــــــــه ** على المصطفى وعلى ءاله
وأصحابه عربهم والعجم
فهذه البرية أجمعـــــــــها ** لمن هو يا صاح أرفعــــها
وأكرم طبعا وأنفعــــــها ** صلاة يفوح لنا نفعـــــها
بكشف العلوم وردع النّقم

وعدد أبياتها المخمّسة اثنان وأربعون (42) بيتا.

27 – القصيدة السابعة والعشرون: ﴿ على النبي ﴾

هذه القصيدة للشيخ العالم العلامة، الشاعر المفلق المجاهد بسيفه وقلمه الأديب الكبير أحمد البكاي بن الشيخ سيد محمّد بن الشيخ سيد المختار الكنتي (1218 - 1282 هـ / 1803 – 1865 م). وفي منح الربّ الغفور في باب وقائع الحادي والثمانين بعد المائتين والألف ما نصّه: " فيه توفي البكاي بن الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيد المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي كان رحمه الله تعالى سيّدا حليما نزيها أديبا لبيبا عاقلا حاذقا شاعرا ناثرا نحويّا، بيانيا، لغويّا، منطقيا عروضيا، فتح الله تعالى عليه في العلوم فتحا غريبا عجيبا حاز به من جميعها حظّا وافرا، وكان أغلبهم عليه الحديث والسير والنحو واللغة، وكان سخيّا من الأسخياء كريما من الكرماء خبيرا بعلم الجدول".

وتحتوي هذه القصيدة أوّلا بالاستفتاح بالصّلاة على النّبي ﷺ ومدحه بأخلاقه وخلقه جملة وإسرائه ورؤيته تعالى، ومعجزاته تفصيلا كانشقاق القمر وحنين الجذع وغيرهما مما هي مسطورة في كتب الأحاديث والسير. وثانيا اختصر في ذكر خلقته تفصيلا ووسّع في ذكر ما أكرمه الله به وبالثّناء الحسن عليه وبالمدح الجميل ببراعة الألفاظ والمباني بل مدحه ﷺ بكلّ ما جرى في أمره قبل بروزه وعند بروزه إلى أن توفي ﷺ.

ولمّا تمّ من هذا العمل شرع الشيخ البكاي ثالثا في التوسّل به ﷺ فجعل يمدحه مرّة ويتوسّل به مرّة أخرى وهكذا إلى آخر القصيدة المباركة الطيّبة المفلقة. ومطلع القصيدة:

على النّبي المصطفــى ** خير الصلاة والســلام
و آله والشرفــــــــا ** أصحابه الغرّ الكــرام
نبي مولانا الشفيـــــع ** الصالح البرّ المطيـــع
ذو القدر والشأن الرفيع ** والآي واللاء الحســـام
والجاه والوجه البديــع ** والخلق والخلق العظام

قطب الجمال والكمـــال ** و برج أذوار الجـــلال
وعين مجموع المقـــال ** وأكرم النّاس الكـــــرام
وأرجل القوم الرّجـــال ** وأعظم الصّيد العظـــام
هو الذي جبريل شـــقّ ** عن صدره أكرم شــــقّ
والماء في الطست الغدق** أفرغه فيه فقــــــــــام
كلّ حـــــــقيقة وحقّ ** لها بحبّه قيـــــــــــام

وآخرها:

صلى عليك الله مـــــا ** أضاء نجم في السمــــــا
في كلّ ما غيث همـــى ** وكلّ ما سحّ غمـــــــام
وكلّ ما نـــــــام نمى ** وكلّ ما غنّ حمـــــــام
صـــلى على ءالك ءال ** خير البرايا ذو الجـــلال
ما ءال في المومات ءال ** وضربت نحو خيـــــام
يا سير أكباد الجـــلال ** بين هضاب و أكـــــام
والحمد لله العلـــــــي ** الواحد الحقّ الولـــــــيّ
ذو الرحمات المفضّـــل ** على البـــــقاء والدّوام
يا ربّ و اغفر لي ولــي ** ســــــلامة هب يا سلام

عدد الأبيات مائة وثمانية وعشرون (128) بيتا.

28– القصيدة الثامنة والعشرون: ﴿ يا صاح عج ﴾

وهذه القصيدة أيضا للشيخ سيد أحمد البكاي قد قدّمنا ذكره. فهي قصيدة مسلّسة بلغات غريبة تسحر قارئها، فقد بدأ ناظمها بالغزل ولم يزل فيه إلى أن بلغ ستة وثلاثين بيتا منها. وبعد هذا شرع في المدح وذكر ما اختصّه الله به ﷺ ومعجزاته وكراماته، وفضائله بل مدحه بكلّ وبأنواع الثّناء الواردة في القرآن والأحاديث والسير وغيرها. ومطلعها:

يا صاح عج بالجمال *** على الرّبوع البوال
ديار سلمى قديمــــا *** من الليالي الخـوال
غيـــداء حيداء رود *** كالشمس عند الزوال
والنّجم عند اتســـام *** والبـــدر عند الكمال
تجلو ثنايا عــــذابا *** كانّهن لئــــــــــال

واستمرّ في هذا الغزل إلى أن قال:

حسبي لنفسي شفاء *** من كلّ داء عضــــال
مديح أكرم عبـــــد *** لربّه ذي الجــــــلال
محمّد خير خـــلق *** في رفعة وكمـــــــال

وآخرها:

فليس مثلك خـــلق *** في الحال أو في المئال
حتى تعمّ جميعـــي *** منكم بأسنى نـــــــوال
فكلّ خير مــرادي *** وكلّ نول نـــــــوالي
يا ربه اجعل به لي *** وسيلـــــــة الاتّصال
يا ربّ صلّ وسلّـم *** عـــــــلى النّبي وءال
ما ءال بارق غيث *** وانهلّ وادق خـــــال
والحمد لله ربّـــي *** ذي العزّة المتعـــــالي

عدد الأبيات مائة واثنان وثلاثون (132) بيتا.

29– القصيدة التّاسعة والعشرون: ﴿ صلّ يا إله ﴾

وهذه أيضا للشيخ سيد أحمد البكاي بن الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي. وهذه القصيدة تدور في نفس الموضوع كالتي تقدّمت. ومطلعها:

صلّ يا إله ثمّ ســــــــــلم *** دائـــــما على خير الأنام
ما دعاك أو لباك مــــــحرم *** قاصــــد إلى البيت الحرام
أحمد رسول الله أحمــــــــد *** سيّــد الورى طه الممجّـــد
فضله مبين لـــــــيس يجحد *** إذ حـــوى المعالي بالتمــام
فهو في ضروب الفخر أوحد *** غــــير أنّ فيه القول نــام

وآخرها:

يا إلـــــــــهنا حمدا وشكرا *** إذ هديتنا سرّا وجهـــــــرا
الامتداح خير الخلق طــــرا *** سيّد الورى النور التّهـــام
محمّد لا زلت تقـــــــــرأ *** من إلهنا أزكــــى السلام

وعدد أبياتها تسعة وثمانون (89) بيتا.

30– القصيدة الثلاثون: ﴿ يا صاح بلّغ ﴾

هذه القصيدة تسمى ببغية الودود الحبّ ومحنة الحسود الخبّ، وهي لأحمد بن حافظ. ولم نقف على ترجمته و لا على ترجمة شيخه. فقد أنشد هذه القصيدة في مدح شيخه أحمد بن محمّد بن عليّ ويتوسّل بالنبي ﷺ وبشيخه المذكور. ومطلعها:

يا صاح بلّغ سلامي ** معلّقا باحتــــــرام
كــالمسك شمّا وذوقا ** كالشّهد بل كالمدام
فأنت أدرى الأنـــام ** بحالتي واهتــمام

وآخرها:

يا ربّ صلّ وسلــّم ** على النّبي بالـــدّوام
والآل والصّحب طرّا ** ما حام ورق الحمام
الحمد لله ربـــــــي ** ذي مـــــنّة وانتقام

وعدد أبياتها سبعة وأربعون (47) بيتا.

31– القصيدة الحاديّة والثلاثون: ﴿ مالي أحسّ ﴾

وناظم هذه القصيدة هو الشيخ محمد عبد الله بن سعاد الفلاتي. وهو أكبر شاعر، وأكبر مادح للنبي ﷺ. مشهور بالعلم والورع والتّقى، وكان معاصر الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي، وشابا في زمن أحمد الماسني وقبره مشهور في دين (ولاية بلّي) في قرية نَارَ وذريته في دلِّ يتبرّك بها النّاس.

فلهذا الشيخ قصائد لا تحصى منها ما هي باللّغة العربية ومنها ما هي باللغة المحلية أي اللغة الفلاتية، ولو جمعت قصائده لصار مجلّدا ضخما.

فآثاره وحكاياته لا تحصى ولم نقف على تاريخ وفاته وله قصيدة طويلة مدح بها تنبكتو عند مجيء الشيخ سيد المختار فيها فقال:

تنبكتو بالخير حفّت *** واليمن حين أتاها
قد حلّها بأمــــــان *** وقادها بهُـــــداها
فازت بنور وفازوا *** وفاز من قد أتاها

... الخ

ومطلع قصيدة (مالي أحسّ)

مالي أحسّ بصوت *** يرنّ شوقا لأحمد

حتى انتهيت إليــه *** يميل شوقا ويخمد
بششت بالي وأسقي *** قد زاد منه وجـــدّد
نظم حبيب لحـــبّ *** من نوره ليس يخمد

وآخرها:

يا حسن حسن ويا من *** جماله ماله الـــحدّ
صلى الإله على مـــن *** قد ساد ولدا و ولد
بعد ما فوق فــــوق *** وعدّ ما هو حامــد
والآل والصحب كلا *** من قائم ثمّ قاعـــد
و عدّ نطق البرايـــا *** من ميت ثمّ راقـــد

وعدد أبياتها تسعة وعشرون (29) بيتا.

وهذه جملة أشهر القصائد التّي كانت وما زالت إلى الآن تضاف إلى كتاب ابن المهيب لإحياء هذه الذّكرى الخالدة الطيّبة. وبجانب هذه القصائد عدة لا تحصى. منها ما كانت تقرأ ومنها ما لا تقرأ عادة.

وفي هذا المحلّ من الواجب أن نقدّم تشريفات إيجابيّة، وتكريمات مزيّة لفحول الشّعراء الذين أضاءوا ونوّروا المدن والقرى والولايات المجاورة بقصائدهم وأناشيدهم في الموالد النّبويّة، إمّا باللّغة العربية، وإمّا باللّغات المحلّية، فذاعت بل وشاعت، واشتهرت قصائدهم في جميع المسمّيات، فترى الأطفال والشبان وحتى الأشياخ والبنات الصّغار يحفظونها عن ظهر قلب، وينشدونها في المحافل والأعياد وخاصّة في ليلة المولد لإحياء ذكره ﷺ.

ونذكر منهم أبا العبّاس سيدي أحمد صالح الوافي الأرواني القاضي الشهير والفقيه الكبير عالم أروان ومفتيها. له مؤلفات مفيدة وتقييدات مهمّة. ومن نظمه في مدح النّبي ﷺ المسمى بذات الخال وخمّسها ومطلع تخميسها:

أصاح اللّب دونك والمعالي * و لا ترم بنفسك في الهجالي
فإنّ الوصل عند النّاس غالي* يلاحظ المحبّ و لا أبالي
بذات الخال أشغف كلّ بال

ومنهم أمير المؤمنين الحاج عمر بن سعيد الفوتي مشهور الولاية، معظّما عند الخاصّة والعامّة، جمع فنون العلم كلّها فقها ونحوا، ولغة وعروضا وأصولا وبيانا وغير ذلك. وله عدّة قصائد في الموالد تقرأ دائما عند الفوتيين وغيرهم وفي المدن والقرى المجاورة لتنبكتو.

ومنهم الشيخ محمّد بن عبد الله بن سعاد الفلاني وقد قدّمنا ذكره. وله عدّة قصائد باللغة الفلانية في مدح النّبي ﷺ. وما زالت أهل المواشي ينشدون قصائده ليلا ونهارا و لا سيّما ليلة المولد. إنّ قصائده تتأثّر في الإنسان عند ما كان يمرّ أمامه راع وهو ينشده ورآى بقراءته أو إنعامه.

ومنهم العالم العلامة والفقيه الفهّامة الشيخ المختار وديعة الله الملقّب بالمختار بن يركي تلف. وله عدّة قصائد باللّغة الفلاّنية والعربيّة في مدحه ﷺ. ومن أشهر قصائده التي ما زالت تنشد في الموالد في القرى المجاورة يذكر فيها معجزاته ﷺ ومطلعها:

وسيلتنا إلى الرحمن سرمد * رسول الله سيدنا محمّد

وآخرها:

عليك صلاة ربّك كلّ حين * وتسليم يسرك يا محمّد
ورضوان من المولى عميم * يدوم دوام مجدك يا محمّد

وعدد أبياتها خمس وخمسون (55) بيتا.

ومنهم العالم العلامة والشاعر المفلق الذي جاهد بشعره ونثره المستعمرين مصطفى بن أحمد الشهير بعمر جليا. فلهذا الشيخ عدّة قصائد، ومن قصائده في مدح النّبي ﷺ والتوسّل به:

أهدي إليكم مدحتي . في علّتي * فهي الشفيع لكربتي . ولذّتي

وآخرها:

فعليه ما ختم الرّسالة في الورى * أزكى الصّلاة عديد أهل الملّة

وعدد أبياتها أربعون (40) بيتا تقديرا.

وله تخميس البردة ومطلعها:

أمن تلاءلاء برق من سنا علم * أمن تناشق ريح هبّ من حرم

أمن تلامع نورا من دجى ظلم * أمن تذكّر جيران بذي سلم

مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

ومنهم الفقيه الصّوفي المتواضع الذي جعل عمره كلّه في مدح النّبي ﷺ الشيخ أحمد بن فودي بن موسى بن خطيب من أهل سكُندما، في نواحي فرمكي ولاية نيافنكي.

كان هذا الصالح ورعا تقيا وكان معاصر الشيخ أحمد الماسني وقصائده كلّها باللّغة الفلانية، وله قصائد بكلمات مقطّعة، كلمة عربية وكلمة فلاّنية. وكان يرعى الأفيال وله حكايات عجيبة وغريبة. وتنشد قصائده عند جميع قبائل الفلاّن وغيرها. ولا سيّما عند أهل المواشي.

ومنهم العالمان، الفقيهان، الصّالحان الأخوان الشقيقان اللذان بلغا الغاية القصوى في إنشاد قصائد المديح باللّغة المحلّية وخاصّة باللّغة الفلانيّة والسنغايوية أحمد هنبركي وعبد الله هنبركي (بإمالة الكاف). وكانا معاصرين للشيخ أحمد أحمد ويسكنان في دونْسَ. فآثارهما معروفة ومشهورة.

الفصل العاشر: في ذكر أول من ابتدأ الاحتفال بالمولد النّبوي في المشرق

في المشرق أوّل من احتفل بهذا العيد الملك المظفّر أبو سعيد على قول مؤلف كتاب الاستقصا لأبي العباس الناصري مع تعليق ابنيه جعفر النّاصري، ومحمّد النّاصريّ.

وفي الجزء الثالث من وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزّمان لأبي العبّاس شمس الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلقان عند حرف الكاف ما نصّه: أبو سعيد كُوكُبُورِي بن أبي الحسن علي بن بُكْتِكِينْ بن محمد الملقب الملك المعظّم مظفّر الدّين صاحب أربل".

و كُوكُبُورِي: بضمّ الكافين بينهما واو ساكنة، ثمّ باء موحّدة مضمومة، ثمّ واو ساكنة، وبعدها راء، وهو إسم تركيّ معناه بالعربيّ ذئب أزرق.

وبُكْتِكِينْ: بضمّ الباء الموحّدة، وسكون الكاف، وكسر التاء المثناة من فوقها، والكاف، وسكون الياء المثناة من تحتها، وبعدها نون هو إسم تركي أيضا.

وأمّا إربل، كما في المنجد في اللغة، الطبعة الخامسة والعشرون، إربيل: مدينة في العراق، قاعدة محافظة أربيل، ومركز القضاء 140000 سكان، وهي أربل القديمة، ورد ذكرها في الكتابات السومريّة الألف الثالث قبل الميلاد عرفت باسم أربايلو في العهد الأشوري. بالغرب منها انتصر الأسكندر الكبير على داريوس الفارسي في موقعة كوكميله. تجارة حبوب وغلال، ومحافظة أربيل محافظة عراقيّة 5 أقضية: أربيل، مخمور، كويسنجق، راوندوز، شفلاوة.

وكانت ولادته بقلعة الموصل ليلة الثلاثاء السابعة والعشرين 27 من المحرّم سنة تسع وأربعين وخمسمائة 549 هـ موافق 1154 م.

وتوفي وقت الظّهر يوم الأربعاء ثامن عشر شهر رمضان، سنة ثلاثين وستمائة 630 هـ موافق 1233 م بداره في البلد التي كانت مملكة شهاب الدين قراطا. فلمّا قبض عليه في سنة أربع عشرة وستمائة أخذها وصار يسكنها بعض الأوقات، فمات بها ثمّ نقل إلى قلعة أربل، ودفن بها ثمّ حمل بوصيّة منه إلى مكّة شرفها الله تعالى وكان قد أعدله بها قبّة تحت الجبل في ذيله يدفن فيها، فلمّا توجّه الرّكب إلى الحجاز سنة إحدى وثلاثين سيّروه في الصّحبة فاتفق أن رجع الحاج تلك السّنة من لينة (منزلة في طريق الحجاز من جهة العراق) ولم يصلوا إلى مكّة فردّوه ودفنوه بالكوفة بالقرب من المشهد رحمه الله تعالى وعوّضه خيرا.

وفي الجزء السادس من الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال، والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي ما نصّه: " كُوكُبري مظفر الدّين بن الأمير زين الدين أبي الحسن التركماني زيادة على ما قدّمنا، دخل الشام

واتّصل بالملك النّاصر صلاح الدّين، فأكرمه كثيرا إلى أن قال: وتوفي باربل. كان له اشتغال بالحديث، سمع من الرّصافي وغيره وحدّث، وله مواقف في القتال وآثار حسنة في الحجاز وغيره. اهـ

وقد ولّى موضع والده وهو ابن أربع عشرة سنة وقد تعصّب عليه بعضهم حتّى كتب محضرا أنّه ليس أهلا لذلك وشاور الديوان العزيز في أمره، واعتقله وأقام أخاه يوسف مكانه، ثمّ أخرج من البلاد فتوجّه إلى بغداد فلم يحصل له بها مقصود فانتقل إلى الموصل ومالكها يومئذ سيف الدين غازي فاتّصل بخدمته إلى أن انتقل إليها فلم يزل من هنا ومن هنا إلى أن توفي أخوه يوسف في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وخمسمائة بالناصرة ثمّ التمس مظفّر الدين الأمر. اهـ بالاختصار من الوفيات.

وأمّا سيرته:" فلقد كان له في فعل الخيرات غرائب لم يسمع أن أحدا فعل في ذلك ما فعله. لم يكن في الدّنيا شيء أحبّ إليه من الصّدقة كان له كلّ يوم قناطير مقنطرة من الخير يفرقها على المحاويج في عدّة مواضع من البلد يجتمع في كلّ موضع خلق كثير يفرق عليهم في أوّل النّهار، وكان إذا نزل من الرّكوب يكون قد اجتمع عند الدّار جمع كثير فيدخلهم إليه، ويدفع لكلّ واحد كسوة على قدر الفصل من الشتاء والصيف أو غير ذلك. وكان قد بنى أربع خانقاهات للزمني والعميان وملأها من هاذين الصنفين وقرّر لهم ما يحتاجون إليه كلّ يوم وكان يأتيهم بنفسه في كلّ عصريّة اثنين وخمسين ويدخل إليهم ويدخل إلى كلّ واحد في بيته، ويتفقّده بشيء من النّفقة، ويسأله عن حاله، وينتقل إلى الآخر، وهكذا حتّى يدور على جميعهم و هو يباسطهم، ويمزح معهم، ويجبر قلوبهم، وبنى دارا للنّساء الأرامل، ودارا لصغار الأيتام، و دارا للملاقيط رتّب بهم جماعة من المراضع وكلّ مولود يلتقط يحمل إليهنّ فيرضعنه وأجرى على أهل كلّ دار ما يحتاجون إليه في كلّ يوم وكان يدخل البيمارستان، ويقف على مريض مريض ويسأله عن مبيته وكيفيّة حاله، وما يشتهيه وكان له دار مضيف يدخل إليها كلّ قادم على البلد من فقيه أو فقير أو غيرهما. وإذا عزم الإنسان على السّفر أعطوه نفقة على ما يليق بمثله.وبنى مدرسة رتّب فيها فقهاء الفريقين من الشافعيّة والحنفيّة، وكان كلّ وقت يأتيهما بنفسه. وبنى للصوفية خانقاهين فيهما خلق كثير من المقيمين والواردين ويجتمع في أيّام المواسم فيهما من الخلق ما يعجب الإنسان من كثرتهم ولا بدّ عند سفر كلّ واحد من نفقة يأخذها. وكان يسيّر في كلّ سنة دفعتين، جماعة من أمنائه إلى بلاد الساحل، ومعهم جملة مستكثرة من المال يفتك بها أسرى المسلمين من أيدي الكفّار، فإذا وصلوا إليه أعطى كلّ واحد شيئا وإن لم يصلوا فالأمناء يعطونهم بوصيّة منه في ذلك وكان ينفق على الحجّاج. وهو أوّل من أجرى الماء إلى جبل عرفات، ليلة الوقوف وغرم عليه جملة كثيرة وعمّر بالجبل مصانع للماء، فإنّ الحجّاج كانوا يتضرّرون من عدم الماء، وبنى له تربة أيضا هناك"

وأمّا احتفاله بمولد النّبي ﷺ، فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به لكن نذكر طرفا منه، وهو أنّ أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده فيه، فكان في كلّ سنة يصل إليه من البلاد القريبة من أربل. مثل بغداد والموصل، والجزيرة، وسنجار،

ونصيبين، وبلاد العجم، وتلك النّواحي خلق كثير من الفقهاء والصوفيّة والوعاظ، والقراء والشعراء و لا يزالون يتواصلون من المحرّم إلى أوائل شهر ربيع الأوّل، ويتقدّم مظفّر الدّين بنصب قباب من الخشب كلّ قبّة أربع أو خمس طبقات، ويعمل مقدار عشرين قبّة وأكثر منها قبّة له والباقي للأمراء وأعيان دولته لكلّ واحد قبّة، فإذا كان أوّل صفر زيّنوا تلك القباب بأنواع الزّينة الفاخرة المتجمّلة، وقعد في كلّ قبّة جوف من المغاني وجوف من أرباب الخيال، فكان ينزل كلّ يوم بعد صلاة العصر ويقف على قبّة قبّة إلى آخرها ويسمع غناءهم ويتفرّج بها.

وكان يعمله سنة في ثامن الشّهر وسنة ثاني عشره لأجل الاختلافات الذي فيه، فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئا كثيرا زائدا عن الوصف وزفّها بجميع ما عنده من الطّبول والمغاني إلى أن قال، فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلّي المغرب في القلعة ثمّ ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير وهكذا، فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة إلى الخانقاه على أيدي الصّوفيّة على يد كلّ شخص منهم نفحة وهم متتابعون كلّ واحد وراء الآخر فينزل من ذلك شيء كثير. ثمّ ينزل إلى الخانقاه وتجتمع الأعيان والرؤساء، وينصب كرسيّ للوعاظ، فإذا تمّ النّظام يقدم الأطعمة التي لا توصف و لا تحد وفي مدّة العرض ووعظ الوعاظ يطلب واحدا واحدا من الأعيان والرؤساء والوافدين لأجل هذا الموسم ويخلع كلّ واحد منهم ثمّ يعود إلى مكانه، فإذا تكامل ذلك كلّه حضروا السماط، وحملوا منه لمن يقع التعيين على الحمل إلى داره، و لا يزالون على ذلك إلى العصر أو بعدها. ثمّ يبيت تلك الليلة هناك، ويعمل السماعات إلى بكرة. هكذا دأبه في كلّ سنة. وقد لخّصت صورة الحال، فإنّ الاستقصا يطول. فإذا فرغوا من هذا الموسم تجهّز كلّ إنسان للعودة إلى بلده فيدفع لكلّ شخص شيئا من النّفقة، وكان كريم الأخلاق، كثير التّواضع، حسن العقيدة، شديد الميل إلى أهل السنّة.

و قال ابن خلكان أيضا: لو استقصيت في تعداد محاسنه لطال الكتاب و في شهرة معروفة غنيّة عن الإطالة. اهـ المراد من وفيات الأعيان بالاختصار و التّغيير و التّقديم و التّأخير.

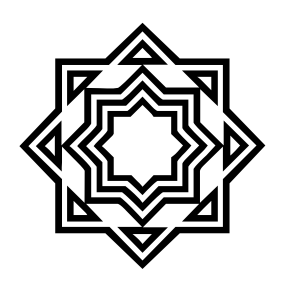
وقال ابن كثير في تاريخه: كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأوّل، ويحتفل فيه احتفالا هائلا وكان شهما شجّاعا، بطلا، عاقلا، عادلا، وطالت مدّته في الملك إلى أن مات وهو محاضر الفرنج بمدينة عكافي سنة 630 ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة.

وفي كتاب الوسيلة العظمى للشيخ أبي المكارم السيّد زين الدّين بير محمد دده رحمه الله، حكاية مفيدة في أمر هذا الملك المذكور أعني المظفّر كان هذا الملك يجعل الشهر الذي وجدت فيه النّسمة الكبرى، ومن عرج إلى السموات العلى كلّه عيدا، ويتّخذ أيّامها ولياليها ضيافات للعوام والخواص والسادات، وكان يرتحل إليه من الأطراف العلماء والأشراف، وكان حسن سعته رحمه الله ولطافة طوره في ذلك السّعي خارجا عن حدّ الإحاطة وكان جلّ همّته، ومعظم نيّته بصدق طويّته، أن يكون ما صرفه في عشقه، ومحبّته ﷺ من أطيب ما حوته خزانته، وحسب المصروف في

اليوم المعروف له فوجد ثلاثمائة ألف من الذّهب الإبريز ابتغاء لوجه الله الملك العزيز. اهـ

وذكر ابن الجوزي في تاريخه، ما حاصله: إنّي سمعت ممّن حضر مائدة الملك المظفّر في ذلك اليوم المعطّر، إنها زيّنت بأنفس المأكولات، وأعذب المشروبات وكان فيها مائة ألف صفحة من ألوان الأطعمة وثلاثون طبق مملوءة بالحلويات الفنديّة، وعشرة آلاف من الدّجاجات المشويّة... إلى أن قال: وقد ألّف الحافظ ابن دحيّة كتاب مولده ﷺ، وأهداه إلى الملك المظفّر فأعطاه ألف دينار ملكيّة جائزة لهذه الخدمة العليّة.

وذكر ابن خلكان في ترجمة الحافظ أبي الخطاب بن دحيّة في حرف العين وصوله إلى أربل، وعمله لكتاب التنوير في مولد السّراج المنير لما رأى من اهتمام مظفّر الدين به، وأنّه أعطاه ألف دينار غير ما غرم عليه مدّة إقامته من الإقامات الوافرة.



الفصل الحادي عشر: في ذكر أوّل من ابتدأ الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب

وأمّا بالمغرب: فأوّل من أحدثه السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحقّ على قول صاحب الاستقصا عند بقيّة أخبار سيرة يوسف المتقدّم فقال: " وفي سنة إحدى وتسعين وستمائة 691 أمر السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحقّ بعمل المولد النبوي، وتعظيمه والاحتفال له وصيّره عيدا من الأعياد في جميع بلاده، وذلك في شهر ربيع الأوّل من السنة المذكورة. وكان الأمر به قد صدر عنه وهو بصبرة من بلاد الرّيف في آخر صفر من السنة، فوصل برسم إقامته بحضرة فاس الفقيه أبو يحي بن أبي الصّبر.

وأعلم أنّه قد سبق السلطان يوسف إلى هذه المنقبة المولدية بنو العزفي أصحاب سبتة فهم أوّل من أحدث عمل المولد الكريم بالمغرب والله تعالى أعلم.

وقد قدمنا في الفصل الرابع من هذا الكتاب ما ذكره أحمد بابا السوداني في كفاية المحتاج ممّا يرجّح أنّ بني العزفى هم الذين أحدثوا عمل المولد النبوي فراجعه في محلّه.

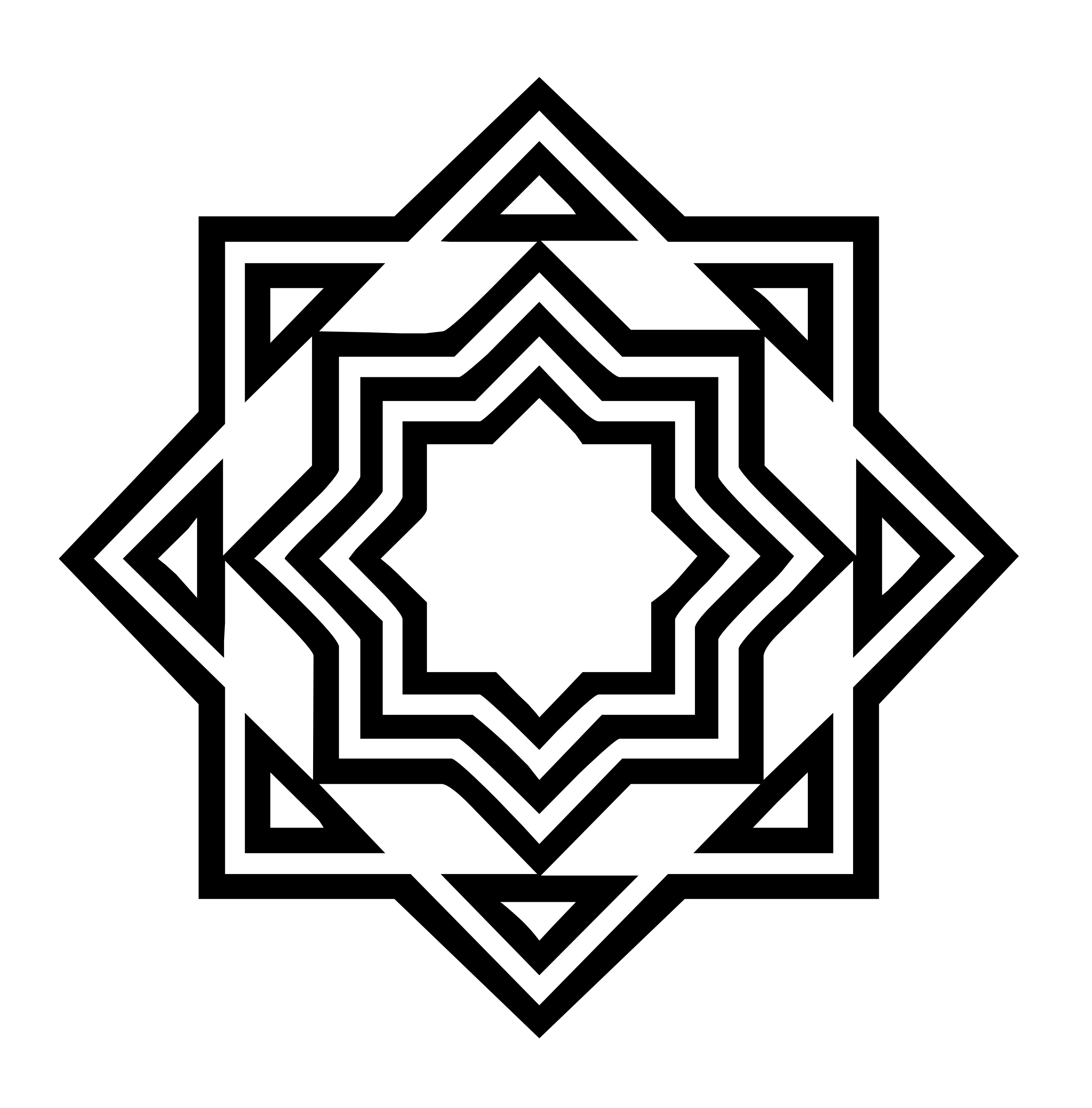
وأمّا بنو العزفى فهم قبيلة في المغرب الأقصى وفيهم من العلماء والصالحين ما لا تحصى. ومن أراد الاطلاع على سيرهم وآثارهم فعليه بكتاب الاستقصا لأبي العباس الناصري في الجزء الثالث منه بعد فصل بناء مدارس العلم بحضرة فاس.

وأمّا يوسف هذا " فقد ولّى السّلطنة بعد وفاة والده السلطان يعقوب فأخذ البيعة له الوزراء والأشياخ ولما عبر إليهم البحر واحتلّ بالجزيرة جدّدوا له البيعة غرة

صفر سنة خمس وثمانين وستمائة وأخذوها له على الكافة فاستتبّ ملكه، واستقام أمره ففرق الأموال، وأجزل الصلات وسرح السجون و رفع عن الأخذ بزكاة الفطر و وكّلهم فيها إلى أمانتهم وكفّ أيدي الظلمة، والعمال عن الناس. فأزال أكثر الرّتب والقبالات التي كانت بالمغرب إلاّ ما كان منها في الأقطار الخالية، والمفازات المخوّفة وصلح أمر النّاس في أيّامه".

" كان السلطان يوسف ـ رحمه الله أبيض حسن القدّ مليح الوجه، أنقى الأنف، مهيبا لا يكاد أحد يبدأه بالكلام، جوادا مشفقا على الرّعية، متفقّدا لأحوالها، شجاعا شهما، ذا عزيمة، وكان غليظ الحجاب لا يكاد يوصل إليه إلاّ بعد الجهد. ومن أعيان كتّابه، الكاتب أبو محمّد عبد الله بن أبي مدين العثماني، ومن أعيان شعرائه أبو الحكم مالك بن المرحل السبتي، وأبو فارس عبد العزيز الملزوزي المكناسي وغيرهما، والله أعلم."

وفاته: " كان السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ـ رحمه الله ـ قد اتّخذ في جملة حاشيّته ومماليكه خصيا اسمه سعادة، وكان هذا الخصي قد تصيّر إليه من جهة أبي علي الملياني أيام كان عاملا له على مراكش، وكان السلطان يوسف في ابتداء يخلط الخصيان بأهله و لا يحجبهم عن حرمه وعياله، ثمّ حدثت للسلطان ريبة في بعض الخصيان، فاعتقل جملة منهم كان فيهم عنبر الكبير عريفهم، وحجب سائرهم فارتاعوا لذلك وفسدت نياتهم فسوّلت لهذا الخصي الخبيث نفسه الشيطانية الفتك بالسلطان، فعمد إليه وهو في بعض حجر قصره، فاستأذن عليه فأذِن له، فألفاه مستلقيا على فراشه، مختضبا بحناء، فوثب عليه وطعنه طعنات، قطع بها أمعاءه، وخرج هاربا وأنطلق بعض الأولياء في أثره، فأدركه من العشى بناحية تاسلة فقبض عليه وجيء به إلى القصر، فقتلته العبيد والحاشية، وصابر السلطان يوسف منيّته إلى آخر النّهار، ثمّ قضى رحمه الله يوم الأربعاء سابع ذي القعدة من سنة ست وسبعمائة، وقبرها هناك. ثمّ نقل بعد ما سكنت الهيعة إلى مقبرتهم بشالة فدفن بها مع سلفه وأطلال ضريحة لا زالت ماثلة إلى الآن". اهـ المراد من الجزء الثالث من الاستقصا بالاختصار والتقديم والتأخير.



الفصل الثاني عشر: في ذكر أول من ابتدأ الاحتفال بالمولد النبوي في تنبكتو

وأما في تنبكتو فقد قدّمنا أنّ أهلها كانوا يحيون ليلة المولد بقراءة قصائد المديح وذكر سيرته، ولم يكونوا يحتفلون لها.

فأوّل من قام وأحدث الاحتفال بمولده الشريف الشيخ وليّ الله أبو القاسم التّواتي - رحمه الله - ولقد بلغ الغاية القصوى في الاحتفال بالمولد النّبوي.

كان رحمه الله، شيخا فاضلا خيرا، صالحا، زاهدا، عابدا، عارفا بالله تعالى، وإماما عادلا، خاشعا، جوادا، ومحبّا للطلبة ومعلميهم ومساعدا لهم.

وفي تاريخ السودان للشيخ عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السّعدي في الباب الحادي عشر في ذكر أئمّة مسجد الجامع، ومسجد سنكري على الترتيب ما نصّه: " وقد سكن في جوار المسجد الجامع من جهة القبلة، ليس بينها وبين داره إلا الطريق النافذ. فقد أخلف الفقيه سيد أحمد في الإمامة". فانظر ترجمته في نفس الباب.

وهو رحمه الله ورضي عنه قد أبتني محضرا في قبالة المسجد لاصقا بها، وفيها يقرأ الأطفال. وبعد ما توفي أخلفه فيه تلميذه السيد منصور الفزاني، وبعده السيّد الفاضل الصالح الخيّر الزّاهد المقرئ عالم التّجويد الفقيه إبراهيم الزّلفى - أبو القاسم، هو الذي أحدث هذه المقبرة التي هي المقابر اليوم بعدما امتلأت المقبرة القديمة التي حول المسجد، وجعل عليها السّور ثم خربت.

وهو الذي ابتدأ قراءة الختمة في المصحف بعد صلاة الجمعة مع قراءة حرف واحد من العشرينيات، وحبس أمير المؤمنين أسكيا الحاج محمّد تابوتا، فيها ستّون جزءا من المصحف في ذلك الجامع لأجل تلك الختمة، وبقيت تقرأ فيها إلى العام العشرين بعد الألف، ثمّ بدلت بأخرى، حبسها الحاج علي بن سالم بن عبيدة المسراتي. ومن شدّة اجتهاده لملازمة المدح أنّ أسكيا قد دعاه، وهو يريد الرّكوب، فأرسل إليه أحدا لدعوته فوجده الرّسول مشتغلا بالمدح، فلم يجب لدعوته، بل قال له: " وأدنيته بالذّكر فهو به معي" أبيات من الفزازي، ومعنى ذلك أنّه لا يجيب دعوة أحد ما دام في مدحه ﷺ.

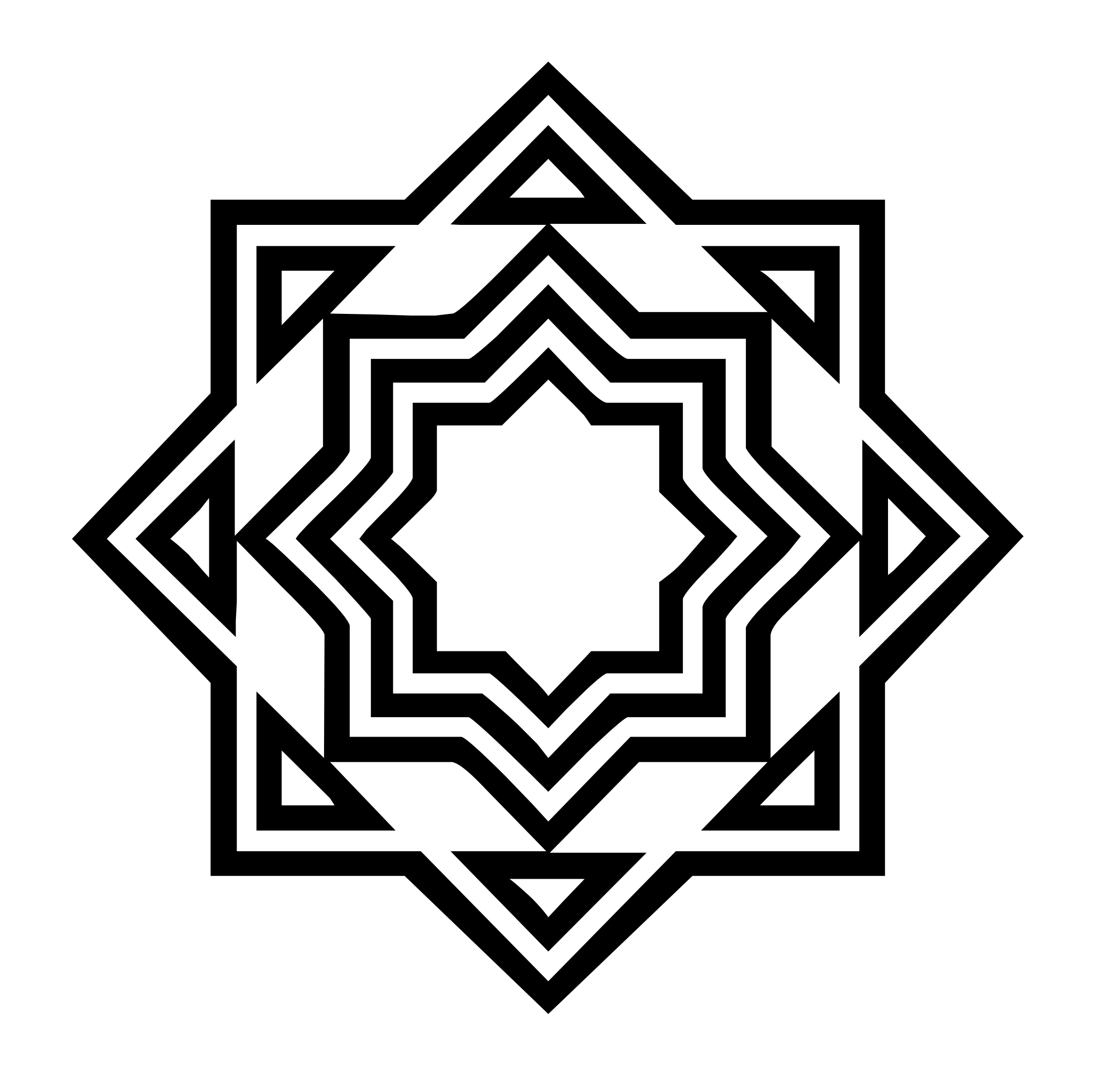
وهذا كلّه لمراعاة ما ورد في كتب أصول الحديث في الأدب مع الرّسول ﷺ وعدم القيام والاشتغال بأمور خارجة عن الأدب. وقد قدّمنا قول العنبري في ذكر الشروط المطلوبة في المادح للنبيﷺ

وأمّا سيرته واجتهاده في أمر احتفال المولد النّبوي فإنّ الوصف يقصر عن الجمع بها، فهو كأبي سعيد كُوكُبُورِي إلاّ أنّه فقيه ومعلّم صبيان وليس بملك.

"ولقد كان ذا كرمات، وبركات، يطعم الطّعام وأكثر إطعامه للمدّاحين لشدّة محبّته لمدح النّبي ﷺ وموضع المدح قريب لداره، ومتى سمعهم يمدحون خرج إليهم بالرغائف السخونة، كأنّما خرجن من الفرن تلك الساعة، ولو كان في جوف الليل حتى تبيّن للناس أنّها من الكرامة"

وقد توفي - رحمه الله و رضي عنه - في أوائل العام الثاني والعشرين بعد تسعمائة 922 وصلى على جنازته فياض الغدامسي. وقبره مشهور يزار إلى الآن.

وتحسب قبره من قبور الأولياء المحيطين بالمدينة، ودفن بازائه خمسين رجلا من التواتيين مثله في الصّلاح والعبادة.
وقد ذكر كرامات عجيبة في أمره يوم وفاته فراجع تاريخ السودان ومنه لخّصت ما تقدّم تستفد إن شاء الله هـ.
فيزدحم الناس يوم الجمعة وزمن الاستسقاء على روضته للزيارة والتوسّل به إلى الله. ومن المتصوّفين من نظم قصائده في التوسّل به إلى الله خاصّة وبغيره عامّة.
وبالخلاصة في كلّ ما تقدّم من الفصول العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر أنّ الاحتفال بالمولد النّبويّ أوقد أنواره أوّلا في المشرق في أوائل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) بواسطة الملك أبي سعيد كوكبوري. وفي المغرب في أواخر القرن السادس الهجري بواسطة بني العزفى في رواية، والسلطان يوسف بن يعقوب في رواية أخرى. وفي تنبكتو في أوائل القرن العاشر الهجري بواسطة أبي القاسم التواتي إمام المسجد الجامع بجنكري بار. رحمهم الله آمين. وكلّهم قاموا بهذا الاحتفال حبّا له وكرامة ليوم مولده وطلبا بذلك الزّلفى من الله لا غير. اهـ



الفصل الثالث عشر: في التعريف بفرق المدّاحين في تنبكتو ومواقع رحابهم في الحارات

ولما كانت هذه المدينة عاصمة الثقافة، والعلم والدين والتجارة، صار النّاس يأتونها من كلّ فجّ، ولذلك كثر فيها القبائل والأجناس. ومن هنا خصّصت كلّ قبيلة موضعا لنفسها، أو ضمّت نفسها إلى من هو أقرب لها نسبا أو من بينهم علاقة أسريّة أو عصبيّة أو بلديّة أو أصليّة أو غيرها. وذلك هو السبب في تنويع مجالس المدح في الحارات والعزم في إحياء حيويّتها في أنحاء المدينة كلّها.

فالمجالس المخصّصة للفرق، لملازمة قصائد المدح لإحياء هذه الليلة المباركة ويومها تسعة بالتفصيل.

الأول: مجلس أهل جنـگري بار

وإنما بدأنا بهم لأنّ مؤسس الاحتفال لهذه الذّكرى الخالدة كان يسكن في هذه الحارة الذي هو الشيخ أبو القاسم التّواتي فقد قدّمنا ترجمته في الباب المتقدّم آنفا. وعندهم أيضا صدر أهل مجلس المدح الذي كان يجتمع فيه أهل المدينة الذي سماه الشيخ سيد محمود بن عمر (بِسَوْتِرِى) شجرة معروفة ومشهورة في تنبكتو. وبعد أن صلّى بأهل المدينة أحمد الصّقلي الشريف بأمر سيد محمود بن عمر صلاة عيد الأضحى في نفس الموضع بعد رؤية مناميّة رآها، جعلوا على الموضع دائرة وسمّوه (كُلُصُخُ) فالحكاية مسطورة في تاريخ الفتّاش راجعه. وأما موقع المجلس اليوم في البطيحاء الملاصق بالمسجد الجامع. مرّة يمدحون في الذي من جهة الشمال ومرّة في الذي من جهة الشرق وأمّا يوم المولد فيمدحون في داخل المسجد.

الثاني: مجلس أهل سنكري

فسنكري هي الحارة التي كانت تقتطف منها ثمرات العلوم ويشهد لذلك المسجد المعروف بسنكري الذي كان مركزا للعلوم والثقافة والدين. وكان فيه يدرّب الشيخ عمر كري أبو حفص أهل الحارات الأخرى على المدح وتصحيح الألفاظ. وقد قدمنا حكايته في الفصل الأوّل عند ذكر حكاية ما جرى بين القاضي العاقب ومؤذّن جنـگري بار (المسجد الجامع) السيّد عبد الله ولد كنـگي . ويمدحون في البطيحاء الملاصق بالمسجد وهو الوحيد هناك. وفي يوم العيد يمدحون في داخل المسجد.

الثالث: مجلس أهل باجندي

فحارة باجندي، هي حارة أشياخ أحمد بابا السوداني، ومن قبله من العلماء والأولياء والصالحين. ويطلق أيضا على هذه الحارة، حارة سيد يحي. فأهل هذه الحارة يمدحون في البطيحاء الملاصق بالمسجد. ولكن في يوم المولد يمدحون في داخل المسجد.

الرّابع: مجلس الرقاقدة

وهذا المجلس في حارة سنكري ويعرف موضعه بتَكَبُنْدُ وفيه زاوية العالم العلامة الوليّ الصالح الصّوفي صاحب الفيوضات الرّبّانيّة والمآثر النّورانية الشيخ سيد أحمد بن عمر الرّقادي المتوفى سنة 1693 م وقبره مشهور يزار ويحسب أيضا من الأولياء المحيطين بالمدينة. فقد بلغ هذا الشيخ الغاية في إحياء العلم ونشره في هذه المدينة ونسب له في رواية كتاب شفاء الأسقام في الطبّ، وهو كتاب مفيد. وقد توسّل به الزّائرون في عدّة قصائد.

وكان أصل زاويته في الجانب الشرقي من رحبة رجعت في ملك شركة معروفة في زمن الفرنسيين بأمورال. وانتقلت الزّاوية من هذه الرّحبة وبنيت بناء جديدا أمام هذه الرّحبة المذكورة، وفيها الآن يمدحون كلّ من انتسب إلى الرّقاقدة من الكنتيين ومن تتلمذ عندهم أو أخذ أورادهم. فالحاصل أنّ الزّاوية منصوبة في تَكَبُنْدُ كما قدّمنا.

الخامس: مجلس أهل الشيخ

وأهل الشيخ هم ذرّية الشيخ سيد المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي المعروف بالشيخ الكبير المتوفى سنة 1226هجريّة موافق سنة 1811 ميلادية.

وفضائل هذا الشيخ لا تحصى، وقد قيل أن مؤلفاته تبلغ تسعة وتسعين على عدد أسماء الله الحسنى من غير الكتيّب والرّسائل والقصائد والتوسّلات والابتهالات. وقد ذكر في كتاب إزالة الرّيب طرفا من مؤلفاته راجعه ومثله في كتب التواريخ كفتح الشكور والمنح.

وموقع مجلسهم وراء مسجد سيد يحي في حارة باجندي من الجهة الجنوبي الشرقي للمسجد وكانوا من قبل في مسجد البكّاي.

ويحضر معهم في مجلسهم عدّة قبائل، كقبيلة إِنْتَابَن من غُرْمَ هَوْسَ، وهم قبيلة كَلَوْزَ بالطارقية وقبيلة شريفن من غرم غندام، وأجناس من الطّوارق. ويحضر لمجلسهم أيضا كلّ من تتلمذ عندهم أو تلمّذ والده أو شيخه عندهم، فلذلك يرى في مجلسهم عدّة قبائل، ما بين عرب وفلاّن وطوارق وغيرها. وستكون بقيّة المعلومات في محلّها المناسب وهي عند ذكر المناهج إن شاء الله.

السادس والسابع: مجلس أهل أرواد

ويعرف هذه القبيلة عند التنبكتيين بـ (لاَرَوْتَرَيْ) أي القبيبة المستعربة. وهم قبائل شتى إذ فيهم العرب الساكنون في أزواد مع أنواع أجناسهم، وفيهم من ينسب إلى الشرفاء أي من ذرّية النبي ﷺ، ومنهم من ينسب إلى السوق ومنعم الأنصار، والدّواعلي، والسّودان وغيرها من القبائل والأجناس. ومنهم أيضا من ينسب إليهم لأنّه تتلمذ عندهم أو تلمّذ جدّه أو والده عندهم، فجملة هؤلاء أروانيّون.

وكانوا جميعا يمدحون في زاوية العالم العلامة والفقيه الفهّامة، قاضي القضاة الشيخ سيد عالي الأرواني المتوفى سنة 1922 ميلادية في تنبكتو. وزاوية هذا الشيخ وراء الشركة الماليّة للتوريد والاستيراد من جهة الشّمال وبينهما دويرات. ولكن المسافة تقدّر بينهما بخمسين مترا.

و انقسمت الفرقة الأروانية على قسمين بسبب مناقشة وقعت بين أشياخ المجلسـ فاتخذت الفرقة الثانية لنفسها مجلسا خاصّا، وموقعه من جهة الغرب للشركة الماليّة للتوريد والاستيراد المذكورة آنفا، والمسافة بينهما أيضا خمسون مترا تقديرا.

فالفرقة الباقية في الزّاوية تسمّى (الْفَاجّي) أي أولاد العلماء. والفرقة المنتقلة تسمّى الدّواعلي. ففي كلتا الفرقتين علماء وصلحاء وأتقياء. نفعنا الله ببركتهم آمين.

الثامن: مجلس أهل الساحل

أهل الساحل، هم المغاربة، فقد كانوا من قبل يمدحون مع الأروانيين، ثمّ بعد زمن اقترح شيخ منهم اسمه حمد البشير ولد العبّد المتوفى سنة ؟ أن يخصّص لأنفسهم مجلسا يمدحون فيه مع القبائل المنسوبة للمغاربة. فاتّفقوا على اقتراحه واختاروا رحبة بين حارة باجندي وجنـگري بار. وهذه الرحبة بقرب بل إمام دار تاجر مغربي مشهور "مربّيه بن ؟" وهي أي الرحبة منصوبة من جهة غرب مسجد

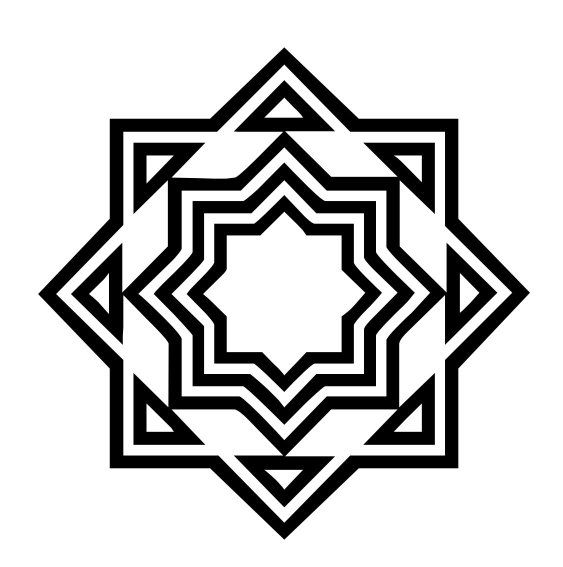
سيد يحي وبينهما قطعة مربّعة فقط والمسافة خمسة وعشرون مترا تقريبا. ومن القبائل الحاضرين لهذا المجلس من المغاربة، القبيلة التكنيّة وأصلهم من وادنون واجليمين في المغرب وقبيلة تجاكنت من تندوف، ومن تلمذ عندهم.

التاسع: مجلس أهل كَبَرَ

كَبَرَ حارة من حارات تنبكتو لكنّها بعيدة منها والمسافة بينهما سبع كيلو مترا، وتعرف هذه الحارة بميناء كَبَرَ لأنّ عندها تتوقّف البواخير والسفن النّهرية الكبيرة.

فقد كان أهل كَبَرَ يمدحون في موضع لم يبق إلاّ إثره في رحبة معروفة بمكان ألفا إبراهيم. وذلك منذ بداية احتفال المولد في تنبكتو، ثمّ بعد أزمنة طويلة، تركوا الاحتفال لموانع عديدة، ثمّ رجعوا للاحتفال، واختاروا لأنفسهم رحبة مسجدهم، وكان المدح كلّه تحت مراقبة عالم مشهور وهو الشيخ ألفا سيكو. وما زالوا إلى الآن يقومون باحياء ليلة المولد ويومه في مسجد كَبَرَ والحاضرون لهذا المجلس من قبائل القرى المجاورة لكَبَرَ والمجاورة لحواشي نهر النّيجر.

فمجموع مجالس المدح في تنبكتو تسعة[1]، و لا بدّ بل ومن الواجب أن نبيّن بعد هذا مناهجهم وتنظيمهم وما أعدّوا لهذا العيد المبارك لإحياء ذكر نبيّنا محمّدﷺ وعظم وكرم ومجّد. هـ



الفصل الرّابع عشر: في بيان منهج كلّ فرقة لتنظيم حيوية عيد المولد النّبويّ

يتضمّن هذا الفصل إن شاء الله منهج كلّ مجلس أو كلّ فرقة وظواهر هم وعاداتهم، وما تجري فيها من النّشاطات والإلحانات وعناوينها إن كانت وتغييرها وكيف ومتى، وما يوزّع من الهدايا للقرّاء والحاضرين والولائم ومن يقوم بها بل النّظام العام عند كلّ مجلس أو فرقة.

---

[1] ـ وقد استقلّ أهل حارة بلّفرند واتّخذوا مسجد الحارة مقرّا لإحياء ليلة المولد، ويقرأون نفس القصائد ويستعملون نفس التلحينات ويشرف على القراءة داوود محمد إمام المسجد، ومن ناحية أخرى أيضا زاوية التّجانيين وعلى رأسهم الفقيه أبو بكر سعيد.

وقبل الشروع في هذا المقصد من الواجب أن نبيّن بعض التنبيهات المفيدة بأن نذكر ضريبة كلّ صنف من العمال لمساعدة المجتمع في هذا العيد من التجّار وأصحاب الحِرفِ والنِّساء وغيرها ما يدلّ على عزمهم لإحياء هذا العيد المبارك.

أهل تنبكتو ونواحيها يتمسّكون بإكرام هذا العيد كلّ الإمساك ومن ذلك إكرامهم له حيث أنّ كلّ مولود في شهر المحرّم أو صفر أو الربيع الأوّل يسمّونه أحمدا أو محمدا و ربّما يضيفون إليه لفظة المولد فيصير محمد المولد. ويحرّفونه أيضا بعدّة تحريفات كمحمّد المولد، أو محمّد ددب، أو محمّد ددو، أو مهلمد، وإن كان الإسم أحمد يفعلون به نفس الشيء أحمد المولد، أحمد المولود، أحمد ددب، أحمد ددو، حمد ددو، هملمد. وهذه التحريفات تتغيّر على حسب القبائل، وإن كان المولود بنتا يسمّونها فاطمة المولد، أو فاطم المولودن أو فطمة ددب أو فات ددو أو فاتلمد على حسب تحريف القبائل كما تقدّم.

ومنذ بروز هلال صفر فأينما توجّهت وفي أيّة ورشة دخلت أو رنوت ومع أيّ صانع أو خادم وقفت لا تسمع إلاّ إنشاد القصائد المدحيّة النّبويّة، ومنها ما هي باللّغة العربيّة ومنها ما هي باللغة المحليّة. فللنّساء والبنات الصّغار أيضا نفس الشيء يردّدن القصائد في اللّيالي.

وبالجملة فالليالي والأيام كلّها من شهر صفر وتاليه منوّرة بالقصائد المولديّة. فسيأتي إن شاء الله أشهر القصائد التي كانت وما زالت تنشدها البنات والنّساء ليالي المولد بعد هذا.

فضريبة التّجّار في هذا العيد هي ترخيص الأسعار وكيف ما كانت وكيف ما بلغت بمعنى أنّ كلّ ما تباع بمائة ترجع إلى خمسين، وكلّ ما تباع بألف مثلا ترجع إلى خمسمائة وهكذا إلى هلمّ جرّا. وهذه كلّها لتسهيل الإجراءات على النّاس. و لا يزالون في هذا الرّفق والتّرخيص إلى آخر شهر الرّبيع الأوّل وهذا أيضا قليل ممّا يفعلونه للفقراء من القرّاء والطلبة وأساتذتهم سرّا. وهذا كلّه إكراما لهذا العيد المبارك.

فالبناءون يهتمّون ببناء المساجد وسكنى الأئمّة وذلك له وقته الخاصّ وهو عند قرب شهر الرّبيع،والخيّاطون والحذاء ون كلّ واحد منهم يدفع ضريبته على حسب ما تمكّن له وحتّى قيل إنّ بعض الأسر الذين يقومون بحرفة الإسكافية يقسمون الضّريبة بينهم بمعنى كلّ أسرة لها دورها المعيّن لها في سنة معيّنة. وهم يقدمون للأئمّة والقضاة والأشياخ والمحدّثين وبعض الطّلبة ما ينتعلون به من النّعال. والخيّاطون يقومون بخياطة ملابس هؤلاء المذكورين والأطباء يتحرّون تلك اللّيلة لما ذكرناه في آخر الباب السابع.

فالحاصل أنّ كلّ واحد من أصناف أصحاب الحرف له عمليّته الخاصّة لمساعدة المجتمع مجانا لإحياء هذا العيد المبارك. فحكاياتهم في هذا الأمر كثيرة وعجيبة فلا نطوّل بذكرها.

فأمّا النّساء، فيصنعن أنواعا وألوانا مختلفات من الحلاوى والأطعمة اللّذيذة المرفقة والأشربة الباردة النّافعة.

ومن أشهر هذه المصنوعات ما يصنعن من الشراس الخارج من الأشجار يمزّجنها بالسّكّر والفلفل الأحمر ويضفن إليها الكلنفر بعد أن جعلت في المنخل وصفيت تصفية كاملة وصارت دقيقا رخيّا ثمّ يكوّنّ منها كببا يوزّعنها على القرّاء وربّما يوزّعنها دقيقا على أصله وذلك لتحسين الصّوت وتصفيته وسهولة إخراج الحروف من الحلق ليعلو صوت القارئ ليسمع البادي كما يسمع النّائي.

ومنها (جِمِنْتَ) باللغة المحلّية ويصنع من الفول السوداني (مَاتِيـگـى) شيب بالعسل وبعض التّوابل المعروفة ويكوّنن منها كببا. فهي حلوة غاية.

ومنها أيضا غير ذلك كالتمر وذلك للأطفال الصغار الجالسين بين القرّاء وأنواع من الحلاوى.

ومنها أيضا (الـگـُورُ) وهو من فواكه هذه البلدة فتمضغ للشهوة فهو مثل الأتاي والسيجارة عند أربابها، وقد ذكره عمر دكوري المرجي في بعض منظوماته قدمت الإشارة إليه في ذكر التنبيهات في حيوية مجالس الذّكر راجعه في أوّل هذا الكتاب.

ومنها البخور الطيّب. فيصنعن منها ما لا توصف ويقدّمنها للقرّاء عند القراءة وعند تغييرات الإلحان فتارة في مجمر تفوح منه الرّائحة الطيّة وتارة في أجيريب تقدم للقرّاء هديّة منهنّ إليهم، فالمجلس لا يفترق مع الرّائحة الطيّبة إلى آخره.

ومن أشهر المشروبات وأنفعها ما يصنع بالعسل الممزوج بأنواع من التّوابل ويضاف إليه ماء باردا وربّما ينفع في قدر جديد ليبرد. فهذه الأشربة لها عدّة منافع منها أنّها تنفى النّوم وتزيد النّشاط، ومنها أيضا ليمون هري مصنوع من الليمون.

فالحاصل أنّ النّساء يلعبن دورا هامّا في مساعدة القرّاء في هذا العيد المبارك.

ومن هنا قد آن لنا أن نشرع في المقصود وفقنا الله إلى الصّواب وإلى كلّ عمل مودود.

أهل جنـگـري بار وسنكري وباجندي

ولا يخفى على من لاحظ منهج أهل جنـگـري بار وسنكري وباجندي يجده متقاربا، وكذلك نظامهم و ظواهرهم و وضعيا تهم وطوارءهم بل وجميع تحرّكاتهم على السّواء. إلاّ أنّ فيها تغييرات تختصّ بأهل سنكري خلافا لأهل الحارتين جنـگـري بار وباجندي. وسيفهم بيان ذلك إن شاء الله في الخطوات والسّير وفي الجدول المكوّن للمنهج.

فيقدّم كلّ فرقة منهم شيخا عارفا، عالما ورعا، وهو الذي يقوم بجميع حيوية العيد وظروفه وسدّ مشاكله الماديّة، والرّوحيّة والعلميّة بل جميع الأمور تحت رعايته وبحضرته، فلا يرفعون قدما و لا يضعونه إلاّ بعلمه وبأمره.

فبداية المدح تكون عند الجميع في شهر صفر ويخصّصون منه ليالي الاثنين والخميس والجمعة بقراءة ثلاثة أحرف من كتاب الوسائل المتقبّلة لابن مهيب في كلّ ليلة من اللّيالي المخصّصة لها. فعلى هذا تكون ختمة الكتاب في شهر صفر ختمة واحدة فقط.

فتجزئة الكتاب تكون عند أهل جنـگري بار و باجندي على عشرة أجزاء بقراءة ثلاثة أحرف كلّ ليلة من اللّيالي المخصّصة للمدح، خلا اللّيلة الأخيرة وفيها يقرءون حرفين فقط.

وعلى هذا الترتيب يبقى الأسبوع الآخر من الشهر المذكور خاليا من القراءة.

وأمّا عند أهل سنكري فتكون التّجزئة إحدى عشرة جزءا.

ففي ليلة البداية وهي ليلة الاستفتاح فيقرءون حرفا واحدا فقط. ثمّ في الحصص الستّة التّاليات يقرءون في كلّ حصّة ثلاثة أحرف. وفي الحصّة التّالية لهذه الستّة يقرءون أربعة أحرف. وللحصّة التالية لها ثلاثة أحرف. والتي تلي هذه أيضا يقرءون فيها حرفين. وفي الحصّة الأخيرة يقرءون حرفا واحدا فقط وبه يختمون الكتاب ويكون مجموع هذه الحصص إحدى عشرة على حسب التّجزئة.

وعلى هذا نرى أنّ لأهل سنكري خاصة ليلة واحدة في الأسبوع الآخر من الشهر خلاف ما عليه الحارتان جنـگري بار وباجندي. وأمامك جدول تقاس عليه.

جدول توزيع الحصص في شهر صفر عند الحارات جنـگري بار وسنكري وباجندي

		جنـگري بار		باجندي		سنكري	
		الحروف	عددها	الحروف	عددها	الحروف	عددها
	اليوم الأوّل	أ ب ت	3	أ ب ت	3	أ	1
		ث ج ح	3	ث ج ح	3	ب ت ث	3
		خ د ذ	3	خ د ذ	3	ج ح خ	3
		ر ز ط	3	ر ز ط	3	د ذ ر	3
0							
1		ظ كـ ل	3	ظ كـ ل	3	ز ط ظ	3
2		م ن ص	3	م ن ص	3	كـ ل م	3
3							
4							

3	ن ص ض	3	ض ع غ	3	ض ع غ		5
							6
							7
4	ع غ ف ق	3	ف ق س	3	ف ق س		8
3	س ش هـ	3	ش هـ و	3	ش هـ و		9
							0
							1
2	و لا	2	لا ي	2	لا ي		2
							3
							4
1	ي						5
							6
							7
							8
							9

وفي ربيع الأوّل الذي هو حقيقة مبدأ العيد تحسّ بالنشاطات الإجمالية والقيام بالحزم والعزم لإحياء هذه الليالي المباركة بالأشعار المدحيّة باللّغات المختلفة تنشر في جميع النّواحي وفي الأسواق بضرب الدّفوف إلى آخر العيد.

وهنا تختلف العادات اختلافا خفيفا. والتّوافق بين جنـگري بار وباجندي. وهاتان الحارتان يقرؤون كلّ ليلة ثلاثة أحرف إلى اللّيلة التّاسعة وفي الليلة العاشرة يقرءون حرفين وبهما يختمون كتاب الوسائل.

وعند أهل سنكري خاصّة، يستفتحون اللّيلة الأولى من الشهر بقراءة حرف واحد فقط ثمّ يواصلون بقراءة ثلاثة أحرف كلّ ليلة إلى الليلة السابعة من الشّهر. وفي الليلة العاشرة يقرؤون حرفين فقط وعند يختم الكتاب.

والليلة الحادية عشرة تسمى ليلة الاستراحة والتهيّأ عند الفرق الثلاثة، جنـگري بار وسنكري وباجندي فلا يقرؤون فيها شيئا.

ثمّ في اللّيلة الثانية عشر التي هي ليلة المولد فيقرؤون الكتاب كلّه من حرف الهمزة إلى حرف الياء. فيحيون اللّيلة كلّها بالمدح والثّناء على رسول الله ﷺ إلى الفجر أو إلى الصّبح.

وفي الليلة التالية لليلة المولد وهي الثالثة عشرة من الرّبيع الأوّل يستريحون أيضا لا يقرؤون فيها شيئا.

وفي الليالي الرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة يرجعون للمدح أيضا. فعند أهل جنـگري بار وباجندي يقرؤون سبعة أحرف في كلّ ليلة من اللّيالي الثّلاثة المذكورة.

وعند أهل سنكوري تسعة أحرف كلّ ليلة من الليالي المذكورة أعني الرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة. فيفهم من هذا أنّ أهل الفرقتين يقفون عند حرف الغين وعند أهل سنكري يكون الوقف عند الحرف الواو.

وفي الليلة السابعة عشرة يجتمع جميع قرّاء الفرق الثلاثة مع أشياخهم إلى موضع معروف ومشهور تسمّى باللغة المحلّية (ببّهومي) ومعناه أمام دار ببٌّ وموقعه أنه قريب من زاوية الشيخ سيد أحمد بن أعمر الرّقادي من جهة الشّمال في خمسين مترا تقديرا بين الدّويرات.

{ الأصل في الاجتماع واللّقاء أمام دار ببّهومي وما يجري فيه من العوائد التّقليديّة }

إنّنا نرى من الأحسن بل من الواجب أن نبيّن للمقلّد الكريم المادح ما كان عليه السّلف في أمر اجتماعهم أمام دار ببّ في هذه اللّيلة ليقيس الماضي بالحاضر وليعرف الفرق بينهما. وبعد سرد الحكاية سنقتبس منها إن شاء الله الفوائد المهمّة التي تتضمّنها.

فنقول إنّ الأصل في اجتماع قرّاء الحارات الثّلاثة هذه اللّيلة أمام دار هذا الشّيخ السّنكريّ المعروف ببُبٌّ (ولعلّ هذه اللّفظة لقب له كما يلقبون دائما الآباء والأشياخ ببُبُّو، أو بابا أو يلفا [بمعنى أستاذنا] أو الإمام أو الشيخ أو سيكو تحريف شيخ) احتراما وإكراما لهم.

والدة هذا الشيخ مرضت مرضا شديدا حتّى أشرفت على الموت فكان ابنها الذي هو شيخ قرّاء أهل سنكري الذي تحت يده تدور حيويّة عيد المولد حاضرا بجماعته بمجلس المدح في بطيحاء سنكري ليلا يشتغلون بالمدح والثناء على رسول الله ﷺ على عادتهم المعروفة، فبينما هم فيه إذ أرسل الشيخ واحدا من نوّابه ليراقب ويلاحظ حالة والدته المسكينة. فذهب هذا الرّسول و لم يبطأ حتى رجع و وقف أمام باب البطيحاء عند ما كان القرّاء في قراءة القصيدة المعروفة بالقصيدة المولديّة عند قول النّاظم المذيّل.

صلّوا على محمّد   القرشي محـــــــمّد

العربي محـــمّد رسول ربّ العالمين

فقالوا رافعين رؤوسهم نحو الرّسول:

فهو البشير النّذير* مدحا للرسول ﷺ وإشارة إلى مجيء الرّسول الواقف بالباب. فأجابهم الرّسول مرتجلا بوزن يوازي أصل بحر المنظومة: فبين الموت والحياة * إعلاما لهم بالحالة التي عليها السيّدة المسكينة. ومن هنا فهم الشّيخ والقرّاء إشارته وأجابوه جميعا بقولهم:

سبحان من هو لا يموت فالأمر كلّه لله

فكانت المخاطبة بينهما بالإشارة والاستعارة بهذه الأبيات المتقدّمة إكراما للرّسولﷺ و احتراما له ومن هنا قاموا جميعا متوجّهين إلى دار والدة الشّيخ وهم ينشدون قصائد ابن المهيب. فلما وصلوا جلسوا أمام الدّار واستمرّوا في المدح ولكن الشيخ كان في داخل البيت يلقّن كلمة الشّهادة للمسكينة. فخرج بعد ذلك وتابع مع القرّاء أمام الدّار. فلمّا وصلوا عند قول المخمّس في حرف الياء في البيت التي قبل الأخيرة منه وهو:

لقد مسّنا طول الفراق بنصبه فصرنا نحبّ الموت ضيقا بكربه

فيا ليتنا متنا احتراما بحبّـــه يسير علينا الموت في جنب قربه

ومن قصد المحبوب لم يسأل البقيا

فخرج رسول آخر من البيت وأخبره بوفاة الوالدة. فجعل الشيخ يكرّر الشطر الرّابع من البيت المذكور: * يسير علينا الموت ضيقا بكربه*، وكرّرته الجماعة معه أيضا عدّة مرّات بصوت تحنّن وتحزّن وتأسّف ومن هنا قام الشيخ يشتغل بالتجهيز والكفن وغيرها، وبقيّة أسرته بالنعي لأهل الحارات الباقيّة وتركوا القرّاء مستمرّين في المدح. ولمّا حضّروا كلّ شيء وحضر أهل الحارات الباقية، قاموا جميعا للصّلاة على الجنازة وتشييعها ودفنها. وبعد رجوعهم من المقبرة واصلوا المدح بقراءة عدّة قصائد من قصائد المديح إلى منتصف اللّيل. ولمّا كانوا في قراءة القصيدة الميميّة للبوصيري، عندما وصلوا إلى قول النّاظم:

ومنذ ألزمت أفكـــاري مدائحــه وجدته لخلاصي خير ملتـــــزم

ولن يفوت الغنـــى منه يدا تربت أنّ الحيا ينبت الأزهار في الأكـم

ولم أرد زهرة الدّنيا التي اقتطفت يدا زهير بما أثنى على هـــــرم

يا أكرم الخلق ما لي من ألـــوذ به سواك عند حلول الحادث العمـم

ولن يضيق رسول الله جاهك بـي إذا الكريم تحلّى باسم منتقــــــم

فإنّ من جودك الدّنيا وضـــــرّتها ومن علومك علم اللّوح والقلـــم

...إلى آخر الأبيات الباقية، انحدر الدّموع من عيني الشيخ فاخترع بصوته تلحينا عجيبا تحرّك القلوب وتأثّر فيها الحنانة والحزن. ومنذ ذلك الوقت اتّخذ أهل الحارات الثلاثة صوته نغمة عند وصولهم إلى هذه الأبيات إلى يومنا هذا. وبقراءة هذه الأبيات تتمّ الحلقة. وبعد الفاتحة والدّعاء قاموا جميعا وراء الشيخ وشيّعوه إلى دار سكناه ينشدون وراءه أبيات متفرّقة في أبحر متنوّعة تتضمّن ما شاء الله من فضائل العلم والعلماء وإكرامهم وطلب العلم والحثّ عليه وحسن الخلق والآداب وغيرها من

الفوائد. ومن هذه الأبيات ما هي منسوبة لسيّدنا عليّ بن أبي طالب ومنها ما هي منسوبة للشاعر الفرزدق ومنها ما هي منسوبة لبعض الشّعراء.
ومنذ تلك الليلة اتخذ أهل سنكري هذه الليلة ليلة اللقاء لجميع القرّاء. و لا تحضر فيها النساء أصلا.

ويقتبس من هذه الحكاية عدّة فوائد. منها:
- بيان اجتهاد السّلف في مدح النّبي ﷺ وإظهار محبّته لأنّ علامات محبّته كثرة ذكره فمن أحبّ شيئا أكثر من ذكره وكما أشار إلى ذلك صاحب التخميس في عدّة مواضع بقوله:
بمدح النّبي اقطع زمانك ترشد.
وإلى أمثال هذه وإظهار محبّته يومئ قول عمر رضي الله عنه في الحديث الذي رواه البخاري في الأيمان والنّذور أنّه قال للنّبي ﷺ لأنت يا رسول الله أحبّ إليّ من كلّ شيء إلاّ نفسي التي بين جنبيّ فقال النّبي ﷺ لن يؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحبّ إليّ من نفسي التي بين جنبيّ فقال له النّبي ﷺ الآن يا عمر.
- تعظيمه وإظهار الخشوع والانكسار والخضوع عند ذكره ﷺ فلذلك لم يقم هذا الشيخ من مجلسه. وعلى هذا وأمثاله كان كثير من الصّحابة والتابعين يفعلونها تهيّبا له وشوقا وتوقيرا. فالحكايات في توقير الصّحابة والتّابعين في حقّه كثيرة جدّا وكذلك العلماء بعضهم فلا داعي إلى ذكرها.
- الكلام بالإشارة والاستعارة في الحكاية دليل على براعة السّلف في العلم حتّى كانوا يتكلّمون فيما بينهم من غير انقطاع ما هم فيه.
- تصغير المصيبة والصبر والتصبّر، لأنّ الشيخ مع الوصب الذي فيه والدته لم يمنعه من الحضور في المجلس وبعد دفنها رجع أيضا للمدح. فإنّه ظهر للناس معنى الصّبر وصبّرهم أيضا وصغّر المصيبة بذلك عند الجميع بعد رسول الله ﷺ امتثالا لما روي عن ابن إسحاق أنّه قال: أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ فقالت ما فعل رسول الله ﷺ قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبّين فقالت أرونيه حتّى أنظر إليه فلمّا رأته قالت كلّ مصيبة بعدك جلل أي صغير. فهذا دليل على ما قاله الرّسول ﷺ في ذكر إخوانه بقوله هم الذين آمنوا بي ولم يروني.
- الألفة والاتحاد والتّعاون بين النّاس بحضور قرّاء بقيّة الحارات وبقاءهم مع أهل سنكري للتّعزية والتصبّر والمدح والمشاركة في الأمور. فهذا لا شكّ ممّا حثّ عليه الرّسول ﷺ بقوله: المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يسلمه و لا يحقره ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله أو كما قال ﷺ كما رواه الأربعة.
- تقدّم الشيخ العارف العالم التّقيّ الصّابر القوي مادّيا و روحيا، الأمين في أقواله وأفعاله. والجلوس بينهم والاستفادة من أفكارهم لقوله ﷺ جالسوا الكبراء وسائلوا العلماء وخالطوا الحكماء. رواه الطّبراني. وكما قال الشّاعر:

إنّ الأمور إذا الأحداث دبرها دون الشيوخ ترى في بعضها خللا
ولكن الشيخ إذا لم تتوفر فيه الشروط المطلوبة فلا تقدم في شيء مهمى كانت.

- التبرّك بآثار النّبي والصالحين والتشبّه بهم في كلّ شيء وإحياء آثارهم لأنّ أهل سنكري وبقيّة الحارات يحيون هذه الليلة كلّ سنة ويستعملون نفس التّلحين الذي كان الشيخ ينشد به ميمية البوصيري وتكرار الشطر الرّابع من " لقد مسّنا" ...البيت. وقد قال الشاعر:

فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم ** إنّ التشبّه بالكرام فلاح

وهكذا كان أصحاب النّبي يفعلون ومن بعدهم من التابعين منهم من يتبرّك به ومنهم من يتشبّه بأفعاله. والشّواهد في هذا الأمر كثيرة جدّا. كما روى في البخاري عن أبي جحيفة ﷺ في أخذ أصحاب رسول الله ﷺ وضوءه ويمسحون به وجوههم. ووقوع النّاس على فضل وضوءه. وكان عند خالد بن الوليد ﷺ شعرات من شعره ﷺ جعلها في قلنسوته. وكان الصّحابة يستشفون بغسالة ملابسه وهكذا يتبرّك الصحابة بالنّبي والتّابعين بالصّحابة وتابع التّابعين ومن بعدهم بمن قبلهم.

- التّسامح والتّصافح بعضهم لبعض وذلك عند الختم من قراءة المدح وهذا من أخلاق الإسلام.

- الاعتراف بفضل العلم والعلماء وطلبه والحثّ عليه. وذلك بإنشاد القصيدة الطّويلة المتضمّنة لجميع المذكورات و سيّما في الأدب والخلق الحسن والعلم وأفضليّة أهله وغيرها.

- الصّدقة على الفقراء وذلك ممّا زادها بعض التّجار في هذه اللّيلة.

- المسابقة بإنشاد قصائد المديح بين الأشياخ وغيرهم من القرّاء الحاضرين من الفرق الثّلاثة وتلك ممّا زادوها كمقدّمة لإحياء هذه اللّيلة قبل الشّروع في القصائد العشرينيات. وهذه المسابقة تسمّى باللغة المحلّية (بَرِ) فسيأتي الكلام عليها عن قريب إن شاء الله.

و لا شكّ أنّ من لاحظ ما يجري في هذه اللّيلة استخرج منها فوائد غير هذه المذكورات.

و إذا عرفنا الأصل في هذه اللّيلة فلنرجع لما يجري فيها بعد نصبها بأن نذكر أمر الوليمة وهيئة القرّاء، والنّظام وكيفيّة المسابقة، وماذا يقرأ في تلك اللّيلة إلى آخرها.

ففي هذه اللّيلة تجري عدّة عوائد. منها أنّ شيخ أهل سنكري يقوم بوليمة كبيرة يحضر لها جميع القرّاء والأشياخ والفقراء، وبعد ذلك يكون الدّور للحضور في المجلس. وهنا ترى كلّ فرد من الأفراد عليه ملابسه التقليديّة وعلى رأسه عمامة سوداء شيّقة تتلمّع في المصابيح أو بيضاء. وعلى أكتاف الأشياخ أقمشة. ويكوّنون حلقتين، حلقة فيها الأشياخ والكبار، وحلقة للكهّال والشبّان وغيرهم.

وبعد حضور الجميع يشرعون في المسابقة بإنشاد القصائد. وتلك تكون بالصّفة الآتية:

فزيد يقرأ بيتا من أبيات القصائد المدحيّة ويجيبه عمرو في الجماعة بما يناسب بيته أو يقاربه معنى. و لا بدّ عند القراءة أن يمثّل كلّ من زيد وعمرو

بالإشارات بالأيدي أو التحرّك إذا كان لا بدّ منه حتّى من كان بعيدا من المجلس يستطيع أن يكشف معنى الأبيات التي تجري المخاطبة عليها بينهما، ثمّ يكون الدّور لاثنين أيضا ويستمرّون فيها إلى منتصف اللّيل. وكلّ من انتهى من مسابقته يقدّمون له عدّة من نواة الـگـورُ وشيئا من البخور الطيّب.
وبعد هذا، وقراءة بعض القصائد المدحيّة يشرعون في عشرينيات الفزّازي في حرف الياء منها فيقرؤونه إلى آخره ويتأدّبون بالآداب التي كانت عليها السّلف في القراءة من غير تبديل ويستعملون نفس التّلحين الذي كان الشيخ ينشد به القصيدة، بل لا يخالفون شيئا من المنهج والسير في هذه اللّيلة.
ومنذ ابتداء المجلس ينصبون مجامر تفوح منها الرّوائح الطيّبة إلى آخر المجلس.
وبعد الانتهاء من القراءة يفتحون بالدّعاء ثمّ المصافحة وطلب التّسامح بعضهم من بعض ويقومون مشيّعين الشّيخ إلى دار سكناه ويقرؤون وراءه الأبيات الأدبيّة إلى باب داره، وهناك أيضا يوزّعون على الفقراء والمساكين وبعض القرّاء ما تيسّر ويفتحون أيضا هناك ثمّ ينصرفون.
وهذه بالاختصار أصل الاجتماع أمام دار ببُّ وما يجري فيه من العوائد. و لا شكّ أنّ هذه اللّيلة في الآنيّة تخالف البتّة الماضيّة فإنّا لله و إنّا إليه راجعون نسأل الله السّلامة.
وأمّا اللّيلة الثامنة عشرة وهي ليلة العقيقة فهو عيد أيضا عند الجميع فيحيون الليلة كلّها بالمدح والثّناء وذكر سيرته ﷺ.
فعند أهل جنـگـري بار و باجندي يقرؤون ثمانية أحرف تكملة للكتاب لأنهم في الليلة السادسة عشرة وقفوا عند حرف الغين.
وعند أهل سنكري خاصّة في هذه الليلة أي الثامنة عشرة يقرؤون حرفين فقط تكملة للكتاب كما أنّهم أيضا وقفوا في اللّيلة السادسة عشر عند حرف الواو.
فأهل هذه الحارات الثلاثة كما قدّمنا يحيون هذه اللّيلة بإنشاد القصائد المدحيّة إلى الفجر ويلبسون أحسن الملابس للحضور له.
وفي صبيحته أي صبيحة اليوم الثامن عشر فهو يوم العيد الأكبر فيقرأ كلّ فرقة من الفرق الثّلاثة ثمانية وعشرين حرفا من ابن مهيب من حرف الألف إلى لام الألف.
وفي المساء يقرؤون حرفا واحدا فقط وهو الباقي وهو حرف الياء ويضيفون عليه عدّة قصائد من القصائد المدحيّة المعروفة ويستمرّون في المدح إلى المغرب.
وبعد عصر هذا اليوم يخرج أهل المدينة كلّها لزيارة المجالس ويكون آخر الدّور لانتظار ختم مجلس سنكري. فلذلك تشاهد النّاس يزدحمون حول المجلس منتظرين ختم الكتاب، والنّساء حاجبات يجلسن في الدّيار المجاورة للمسجد وعلى الجميع الملابس الحسنة والأدب والوقار والسكينة شعارهم لا غير إكراما لهذا النّبي ﷺ.

وعند الفاتحة يقف المؤذّن على الصّومعة وينادي بها ثلاث مرّات. وبعد المصافحة و التهنئة وطلب السماحة والكلمة الجارية في هذا المساء: أعاده الله علينا وعليكم بفرح وهمّة ونشاط بوجه نبيّه ﷺ. وبعد دقائق؛ يؤذّن المؤذّن لصلاة المغرب فيدخل النّاس للصّلاة، وبهذا الدّخول تنتهي حيويّة هذا العيد المبارك الطيّب أعاده الله علينا في كلّ عام آمين.

وأمامك أيّها القارئ الكريم الجدول الثّاني في توزيع الحصص في شهر ربيع الأوّل تابع للجدول المكوّن لشهر صفر.

جدول توزيع الحصص لإحياء ليالي ربيع الأوّل عند الحارات جنـگري بار وسنكري وباجندي

		جنـگري بار		باجندي		سنكري	
		الحروف	عددها	الحروف	عددها	الحروف	عددها
	اليوم الأوّل	أ ب ت	3	أ ب ت	3	أ	1
		ث ج ح	3	ث ج ح	3	ب ت ث	3
		خ د ذ	3	خ د ذ	3	ج ح خ	3
		ر ز ط	3	ر ز ط	3	د ذ ر	3
		ظ كـ ل	3	ظ كـ ل	3	ز ط ظ	3
		م ن ص	3	م ن ص	3	كـ ل م	3
		ض ع غ	3	ض ع غ	3	ن ص ض	3
		ف ق س	3	ف ق س	3	ع غ ف ق	4
		ش هـ و	3	ش هـ و	3	س إلى و	4
0		لا ي	2	لا ي	2	لا ي	2
1		ليلة الاستراحة والتهيّأ					
2		ليلة المولد (جميع الكتاب)					
3		ليلة الاستراحة					
4		أ إلى خ		أ إلى خ		أ إلى ذ	9
5		د ـ كـ		د ـ كـ		ر ـ ص	9

6			ل - غ		ل - غ		ض - و	9
7					ليلة الحضور أمام دار بُبُّو			
8		لـ يلة	ف - ي		ف - ي		لا و ي	2
		صـ باحا	أ - إلى - لام الألف	8	أ - إلى - لام الألف	8	أ - إلى - لام الألف	28
		مـ ساء	ي		ي		ي	1

وأمّا تغيير الإلحانات وهي المسماة عند الجميع بالضربات فعدّتها على هذا الترتيب الآتي تسعة:

- أولا: عند حرف الهمزة إلى " هو المصطفى" ...الخ
- ثانيا: من " هو المصطفى" إلى آخر الحرف.
- ثالثا: عند قول المخمّس: " أروح على ذكر النّبي و أغتدي".
- رابعا: عند قوله: " تبارك ربّ عمّنا بحبائه"..الخ
- خامسا: عند قوله: " بنجم الهوى" إلى قوله: " سلا قلب...الخ".
- سادسا: الصّيدح، وهو القراءة بالعجلة.
- سابعا: عند قول المخمّس: " لكلّ نبيّ عصمة وأمانة".
- ثامنا: عند قوله: " أعد ذكر خير الخلق... الخ"
- تاسعا: عند قوله: " لنا رغبة ... الخ" وعند قوله: " فيا ربّنا" ولكن هنا الصّوت أخفّ من الأولى.

{ملاحظة} هذه الضربات التّسع كلّها تستعمل عند الفرق الثلاثة ولكن بينهم تغييرات خفيفة لا يفطن لها حقيقة إلا من هو من أربابها أو ماهر فيها.

وكذلك لكلّ قصيدة من القصائد التي تضاف عندهم على ابن مهيب لها إلحاناتها الخاصّة ومن أشهر القصائد المتداولة أو المقروءة عندهم:

1- القصيدة المولديّة
2- خير حمد الإله
3- البردة للبوصيري
4- تخميس البردة
5- القصيدة المنفرجة
6- أ يا إله العالمين
7- يا إله يا قريب
8- مقام لدى سدرة المنتهى
9- مولانا نرجو رضاك

10- الكريم يقبل
11- كنت
12- أ يا رجاء الطالبين
13- المرزوقيّة
14- تخميس المرزوقية
15- ثمر قلبي، والبيتان قبله من: "طلع البدر"

وأمّا أمر الولائم فالذي يقوم بها عند أهل جنـگـري بار الآن هو شيخ الأمِنِيجي ورث ذلك عن أجداده ويعرف أسرتهم في هذه الحارة بأسرة محمد الأمين بن المختار. وأمر المشيخة والمقدمة ما زالتا في أسرتهم إلى الآن.

فلأهل جنـگـري بار وليمتان.

- أوّلا: ليلة الولادة وهي ليلة المولد.
- ثانيا: في الليلة التّالية ليوم العيد. وهي اللّيلة التّاسعة عشرة. ولكن في هذه اللّيلة يدعون جميع قرّاء بقيّة الحارات والأشياخ وبعض الأمراء.

ولأهل باجندي أيضا وليمتان.

- الأولى: في ليلة الولادة (ليلة المولد) والذي يقوم بها ذرّية المرحوم القاضي أحمد بابا بن أبي العباس بن سيد زيّان. وأمر القضاء في أسرتهم.
- الثّانية: في ليلة التسمية (ليلة العقيقة) ويقوم بها أسرة أو ذرّية الشيخ المرحوم محمّد بغيع والإمامة أيضا في أسرتهم.

والجدير بالذّكر أيضا أنّ جميع قرّاء الحارات يحضرون هذه اللّيلة عندهم.

ولأهل سنكري أربع ولائم

- الأولى: في أسرة المرحوم ألفا سالم بن الإمام بابير في ليلة المولد.
- الثانية: ليلة التسمية في أسرة المرحوم ألفا إسماعيل.
- الثالثة: في صبيحة يوم التسمية في أسرة العاقب.
- الرّابعة: يوم التّسمية بعد الظّهر عند أسرة عمّي.

منهج الرّقاقدة

إنّ فرقة الرّقاقدة يبدؤون المدح من شهر ربيع الأوّل فقط لا قبله. فيقرؤون كلّ ليلة ثلاثة أحرف من كتاب ابن المهيب كلّ ليلة خلا الليلة العاشرة، وفيها يقرؤون حرفين فقط تكملة للكتاب. وفي الليلة الحادية عشرة يستريحون فيها. واللّيلة التالية لهذه هي ليلة المولد فيمدحون اللّيلة كلّها بقراءة الكتاب كلّه كما يفعل جميع الفرق. ويستريحون أيضا في اللّيلة التّالية التي هي الثالثة عشرة من الرّبيع الأوّل.

وفي الليالي الرابعة عشرة إلى السابعة عشرة فيقرؤون في كلّ ليلة منهنّ ستّة أحرف.

وفي الليلة الثامنة عشرة التي هي ليلة العقيقة، فيحيون الليلة بتكملة الكتاب بقراءة الأحرف الخمسة الباقية وبزيادة ما شاء الله من القصائد المدحيّة . لأنّ هذه الليلة أيضا ليلة عيد في المدينة كلّها.

وفي ضحاء اليوم الثامن عشرة، يقرؤون الكتاب من حرف الهمزة إلى حرف الهاء، بعد أن بنوا قبّة كبيرة يمدحون تحتها. وفي مسائه يختمون العيد بقراءة

الأحرف الباقية الهاء و الواو ولام الألف والياء ويضيفون عليها ما تيسّر مع مراعات الوقت بعض القصائد المدحيّة.

وكانوا بعد العيد يحيون بقيّة الليالي بقراءة ستّة أحرف كلّ ليلة إلى آخر الشّهر.

وهذا بالاختصار منهج الفرقة الرّقاقدة، ولتسهيل فهمه كوّنا له منهجا للتوضيح.

توزيع الحصص لإحياء ليالي ربيع الأوّل عند الفرقة الرّقاقدة

		الحروف	عددها
	اليوم الأوّل	أ ب ت	3
		ث ج ح	3
		خ د ذ	3
		ر ز ط	3
		ظ كـ ل	3
		م ن ص	3
		ض ع غ	3
		ف ق س	3
		ش هـ و	3
0		لا ي	2
		ليلة الاستراحة	
2		ليلة المولد (كلّ الكتاب)	2 9
		ليلة الاستراحة	
4		أ - إلى - ح	6
5		خ - إلى - ط	6
6		ظ - إلى - ص	6
7		ض - إلى - س	6
8	ليلة	ش - هـ - و	5
	صباحا	أ - إلى - ش	2 5

وأمّا تغيير الالحانات ففي مواضع عديدة وتشبه ما عند الفرقة الأروانية غير أنّهم في غاية السّرعة والاستعجال عند إنشاد بعض القصائد.

ولكن لهم تلحينا واحدا خاصّا بهم ويسمّى " كُنْتَ كُنْتَ " وكذلك عند إنشاد قصيدة الهمزيّة ولكن تلحين الهمزيّة لصعوبته لا يتغنّى به المدّاحون في الحال إلاّ نادرا.

ومن أشهر القصائد التي تضاف على التّخميس:

1- المرزوقية، وتلك لليلة الاثنين وليلة الجمعة فقط.

2- القصيدة المولدية، وهي أيضا كذلك.

3- البردة، كلّ ليلة على حسب تجزئتها.

4- القصيدة الهمزية للبوصيري، فيقرؤونها على ترتيب تجزئتها. وأمّا في اللّيلة الثانية عشرة من الرّبيع الأول فيقرؤون كلّها مع طولها.

5- القصيدة المنفرجة، فيقرؤونها كلّ ليلة عند الختم قبل القيام من المجلس.

وأمّا الولائم بمناسبة هذا العيد المبارك فتكون أوّلا في ليلة المولد، ويقوم بها أهل ناجم ولد ببّات. وممّا قيل من اجتهاده أنّه بطل كبير ومجتهد. ومهمى أحسّ بحسن تدريب من حضر في مجلسهم ولم يكن له نسخة يقرأ فيها، فإنّه يجتهد له في الغد ينسخ نسخة جديدة بخطّ يده ويقدّمها له في الليلة التّالية

شكرا له وتشجيعا على حسن تدريبه وقراءته. ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء. وما ذلك على الله بعزيز. **و لا شكّ** أنّه شبيه بمؤسس الاحتفال بالمولد النّبوي هنا أبي القاسم التواتي الذي كان يساعد القرّاء بالأطعمة وهذا بنسخة من التخميس بخطّ يده.

وبعده بزمن حوّلوها عند أهل سيد عالي ولد باب لَارَوْ ولم تزل في أسرتهم زمنا طويلا إلى أن رجعت أيضا لأهل ناجم ولد بَبَّاتِ المتقدّم وهم الذين يقومون بها الآن.

وثانيا: في ليلة التّسمية أي العقيقة فتكون الوليمة أيضا في وقت الفجر وتلك عند أهل عبد المؤمن. ولكن الآن حوّلوها لصبيحة العيد عند أهل محمّد كَلُّوتِ.

وثالثا: وهي الوليمة الأخيرة فتكون بعد صلاة العشاء في الليلة التّاسعة عشر ويقوم بها أهل عبد المؤمن.

منهج أهل الشيخ

فهم العمدة القويّة لإحياء السنّة هنا ونشر التّصوّف بعد أنْ كاد انقراضه. وهم الذين فتحوا كثيرا من غوامض المشاكل الفقهية والمنطقيّة والفلسفية والسّياسيّة؛ وذلك ممّا أفاض الله على جدّهم الأكبر الشّيخ سيد المختار بن أحمد الكنتيّ المشهور بالشيخ الكبير.

فقد كان المولد عندهم بصفة تختلف بصفات الباقين لأنّهم يحضرون في مجلسهم لا للمدح فقط، بل للتدبّر والتفهّم والاستفادة بعضهم من بعض والتناقش لما أشكل على الحاضرين من الأبيات. فكان مجلسهم حلقة دراسيّة. ومهمى بلغوا مواضع الأمثال من الكتاب مثلا يتناقشون عليها لإخراج النّتائج المتضمّنة فيها كمعرفة قائله أو المنسوب إليه وترجمته؛ وإعرابه وتصريف أفعاله وما يقارنه من الأمثال السّائرة والأحاديث النّبويّة والآيات القرآنيّة وهكذا إلى آخر المجلس. فلذلك لا يستعجلون في المدح و لا يستعجلون فكلّ ما تيسّر مع الوقت أو الحال هو الموافق.

وكانوا من قبل يمدحون في المسجد الذي بناه البكّاي سنة؟. وبعد خرابه حاولوا المدح خلف مسجد سيد يحي الذي كان أصل مسكن الشيخ علوات أخو البكّاي. وكان المقدم لسير حيوية هذا العيد الشيخ سيد المختار الصّغير.

فيبدأ المدح عندهم في أوّل ليلة من ربيع الأوّل. فيقرؤون كلّ ليلة ثلاثة أحرف خلا ليلة المولد ففيها يقرؤون الكتاب كلّه كما هي العادة عند الجميع في تلك اللّيلة.

وفي ضحوة يوم العقيقة يقرؤون الكتاب كلّه إلى الظّهر مع قراءة جزء من الهمزيّة للبوصيريّ وفي مسائه يكملون بقيّة الهمزيّة وجميع القصائد المدحيّة. وأمامك الجدول المكوّن للمنهج.

		الحروف	عددها
	اليوم الأوّل	أ ب ت	3
		ث ج ح	3
		خ د ذ	3
		ر ز ط	3

		ظ كـ ل	3
		م ن ص	3
		ض ع غ	3
		ف ق س	3
		ش هـ و	3
0		لا ي	2
1			
2		ليلة المولد كل الكتاب	29
3			
4			
5			
6			
7			
8	صباحا	كلّ الكتاب	29
	مساء	قراءة جميع القصائد	

أمّا تغيير الإلحانات فتكون في المواضع الآتية:

1- عند قول المحمِّس: {خليليّ لديّ...}
2- عند قوله: {أروح...}
3- عند قوله: {دموع...}
4- عند الوقفين.
5- عند المواضع المكرّرة في الكتاب.
6- عند تركنا.
7- ثمّ يضيفون إلى هذه تلحينات الرّقاقدة.

وأشهر القصائد التي تضاف إلى التخميس هي:

1- القصيدة المولديّة
2- المرزوقيّة
3- المنفرجة

4- البردة
5- الهمزيّة
6- دوام حال
7- يا صاح عج
8- بغية الودود الحبّ
9- صلّ يا إله ثمّ سلّم
10- ما لي أحسّ

والولائم عندهم في ثلاث حصص ويقوم بالجميع أسرة الشيخ علوات:

- فالأولى في ليلة المولد
- والثانية في ليلة المولد أيضا ولكن في وقت الفجر، وفي مجلس المدح.
- والثالثة في ليلة التّسمية.

وهذا بالاختصار منهج هذه الفرقة الكنتيّة وبقيّة المعلومات قد قدّمت في التعريف بالمجالس راجعه.

منهج الفرقة الأروانيّة

و لا يخفى على أحد كما هو معلوم ومشهور أنّ الأروانيين لهم القدم الأعلى في الاجتهاد والعزم بإنشاد قصائد المديح. فإنّ من عادتهم مهمى التقيا اثنان فالحديث بينهما هو إنشاد القصائد المدحيّة، وحتّى في مصانعهم وجميع وسائلهم وعوائدهم وحتّى حول كؤوس الشاي وغيرها. فلذلك لا ترى واحدا منهم أبدا صغيرا كان أو كبيرا شابّا كان أو كهولا، وحتّى النّساء، كانوا يحفظون تخميس الوسائل والقصائد المدحيّة التي تضاف إليها عن ظهر قلب. وحتّى أنّ أغلبية الأمثال السّائرة بينهم مأخوذة من هذه التّخميس.

ففي أروان[1] كانوا من قبل يمدحون كلّ ليلة في مسجد وليّ الله الشيخ سيد أحمد بن ءادّ وكان المدح تستمرّ في الظّلام لا يوقدون له مصابيح، لتعوّدهم عليه ليلا ونهارا حتّى حفظوا الكتاب. وبعد زمن حاولوا المدح عند الشيخ المرحوم سيد أحمد بن سيد أبي بكر بن محمّد بن الصّيد بن الفقيه سليمان بن طالبن بن الفقيه سليمان بن محمّد أگين بن الشيخ سيد أحمد بن ءادّ المتوفى سنة 1340هجرية ليلة الإثنين لاثني عشر خلت من الرّبيع الثاني في أروان وهذا الشيخ عالم تقيّ ورع ماهر في العلوم ويقول فيه التّجاني بن محمد الأمين في نونيته:

كبير لاح في الظلماء بدرا وحقّا لا تداخله الظّنون

إلى أن قال:

فلا تستكثرنّ من شيخنا ذا فهو العلم شرحا والمتون

وقال أيضا في رائيته:

[1] - وبلغنا من بعض الأشياخ أنّ المجالس في أروان كانت ثلاثة: مجلس الكنتيين، ومجلس الفاجّي، ومجلس الدّواعلي. وبعد خراب بعض مواضع المجالس رجعوا جميعا إلى مسجد سيد أحمد بن ءادّ.

ما أن ظننت البحر يمشي راكبا حتى رأيت البحر بالأبصار
هو شيخنا أرشاد قلب السّاري وهو البخاري وهو فتح الباري
إلى أن قال:
شيخ إذا في النّحو فاه حسبته سيبويه والفرّاء والأنباري
أو في الأصول رأيت نفس الشافعـ يّ ومالك وأبي جني الأخيار

وكان آخر زيارته لتنبكتو سنة 1338 هجرية وهو أوّل من أمر بقراءة المدح في عصريّة شهر صفر وأتّخذها عادة إلى زماننا هذا. ويقرؤون فيه كلّ يوم خمسة أحرف إلى آخر الشّهر.

وكما كان من عادتهم من قبل في ربيع الأوّل يحيون اللّيالي كلّها بالمدح إلى منتصف اللّيل وذلك عند القاضي سيد الوافي الأرواني وبعد وفاته أخلفه السلطان بن سبّكر، ولم يزل الأمر على هذه الحالة إلى زماننا هذا في أروان.

وأما في تنبكتو في شهر صفر كانوا يمدحون في دار إبراهيم باب طالب بأمر الفقيه العالم العلاّمة والبحر الفهّامة الشيخ المرحوم القاضي سيد عالي وبعد وفاته انتقلوها إلى مسكن الشيخ عروة الذي كان أميرهم وعمدة من أعمدتهم. وتكون القراءة في شهر صفر بعد العصر على العادة القديمة.

وفي ربيع الأوّل يمدحون في مصلّى الشيخ سيد عالي المذكور إلى آخر العيد وحيويته، فلم يزالوا على هذه الحالة إلى أن تفرّقوا فرقتين كما أشرنا إليها في فصل التعريف بالمجالس.

أمّا القسم الأوّل قد بقي في المقرّ الأصلي واستمرار القراءة في عصرية صفر في مسكن الشيخ عروة إلى أن خربت الدّار، فانتقلوا إلى دار المرحوم الشيخ العالم العلاّمة الشاعر المفلق القاضي محمّد محمود بن الشيخ المتوفّى سنة 1973م.

والفرقة الثانية اتخذوا المنتقل الجديد مأوى لهم كما أشرنا إلى موقعه من قبل. فكان مع هذا كلّ فرقة من الفرقتين تلازم نفس الخطوات التي كانت عليها أسلافهم. و لا فرق في شيء من عوائدهم وظواهرهم لإحياء هذا العيد النّبويّ.

فيبدأ المدح عندهم كما هي العادة القديمة في شهر صفر فيقرؤون كلّ يوم بعد العصر خمسة أحرف إلاّ في الأسبوع الآخر منه فيزيدون على هذا العدد ليتساوى بآخر الشّهر.

عددها	الحروف		
5	أ ب ت ث ج	اليوم الأوّل	1
5	ح خ د ذ ر		2
5	ز ط ظ كـ ل		3
5	م ن ص ض ع		4
5	غ ف ق س ش		5
4	هـ و لا ي		6
5	أ ب ت ث ج		7
5	ح خ د ذ ر		8
5	ز ط ظ كـ ل		9

5	م ن ص ض ع		10
5	غ ف ق س ش		11
4	هـ و لا ي		12
5	أ ب ت ث ج		13
5	ح خ د ذ ر		14
5	ز ط ظ ك ل		15
5	م ن ص ض ع		16
5	غ ف ق س ش		17
4	هـ و لا ي		18
5	أ ب ت ث ج		19
5	ح خ د ذ ر		20
5	ز ط ظ ك ل		21
5	م ن ص ض ع		22
5	غ ف ق س ش		23
4	هـ و لا ي		24
6	أ ب ت ث ج ح		25
6	خ د ذ ر ز ط		26
6	ظ ك ل م ن ص		27
6	ض ع غ ف ق س		28
5	ش هـ و لا ي		29

وفي ربيع الأوّل يقرؤون كلّ ليلة خمسة أحرف إلى اللّيلة الحادية عشرة. وفي اللّيلة الثانية عشرة التي هي ليلة المولد يقرؤون الكتاب كلّه مع القصائد المدحيّة. فيحيون اللّيلة بالمدح والثناء كما هي العادة في المدينة كلّها. وبعدها يتابعون المدح كلّ ليلة بقراءة ثلاثة أحرف إلى ليلة العقيقة. وفي صبيحة يوم التسمية يمدحون من وقت الضّحى إلى الزّوال بقراءة أربعة وعشرين حرفا من الكتاب. وفي مساءها يرجعون للمدح لتكملة الكتاب ويقرؤون أيضا جميع القصائد المدحيّة، ويستريحون في اللّيلة التّاسعة عشرة، وبعدها يتابعون المدح إلى آخر السّنة أو إلى السّنة المقبلة و لا يمنعهم الحضور له إلاّ الموانع العاديّة كالمطر وغيره.

		الحروف	عددها
1	اليوم الأوّل	أ ب ت ث ج	5
2		ح خ د ذ ر	5
3		ز ط ظ كـ ل	5
4		م ن ص ض ع	5
5		غ ف ق س ش	5
6		هـ و لا ي	4
7		أ ب ت ث ج ح	6
8		خ د ذ ر ز ط	6
9		ظ كـ ل م ن ص	6
10		ض ع غ ف ق س	6
11		ش هـ و لا ي	5
12		ليلة المولد	29
13		أ ب ت ث ج	5
14		ح خ د ذ ر	5
15		ز ط ظ كـ ل	5
16		م ن ص ض ع	5
17		غ ف ق س ش	5
18	ليلة	هـ و لا ي	4
	صباحا	أ - إلى - س	24
	مساء	ش هـ - و - لا - ي	5
19			

20		أ ب ت	3
21		ث ج ح	3
22		خ د ذ	3
23		ر ز ط	3
24			

ونبراتهم معروفة ومشهورة ولكلّ واحدة منها عنوانها الخاصّ. وهذه النّبرات تعرف بالضّرب.

1- **فالضرب الأوّل:** هو الذي يبتدأون به القراءة ويسمّونه بـ"الـگـلاديّة".

2- والثاني: هو القراءة بالهجلة وحينا يقرؤون على نفس الطريق بهدوء ومهلة. ويسمونه بـ"الصّيدح".

3- الثالث: "المحرطن" وهو الضرب الذي يفعلونه عند قول المصنف: أشيعه حرصا على أن أكونه..." الخ في حرف العين.

4- الرّابع: " الأروانية" وهو أصل ضرب الأروانيين ويفعلونه عند إرادة الوقوف كما هو معلوم أنّ في الكتاب موضعين معروفين إذا بلغوا هنالك ندبا على جميع القرّاء والحاضرين أن يقوموا إكراما للنّبي ﷺ وذلك في حرف القاف في البيت الرّابع عند قول المخمّس: " قياما على الأقدام في حقّ سيّد"...الخ، وفي حرف الواو أيضا عند قوله: "وقوفا على الأقدام رعبا و رغبة"...الخ وهو البيت الخامس عشرة منه. وهذا الضّرب يستعملونه عند الوصول إلى قول المخمّس: " سوى مبغضيه...الخ" وهو البيت الثالث عشر من حرف الياء.

5- الخامس: " الدّواعلاويّة" وهو الضرب الذي يفعلونه بعد الوقوف.

6- السادس: "الزرية" وهو الضّرب الذي يكرّرون به البيت الثاني من حرف القاف أعني: " فأكرم بها من معهد أيّ معهد..."الخ، وكذلك البيت الثالث عشر من حرف الواو وهو : " ألم يقسم الرحمان بالنّجم إذ هوى..."الخ

7- ضرب الكنتيين: يلازمون هذا الضّرب جدّا وكلّ وقت.

8- الثامن: " الغلاّوية" وهو الضّرب الأخير الذي يختم به القراءة ويكرّرون به البيت الأخير الذي مطلعه :" فياربّنا في أرضه وسمائه...الخ".

9- التاسع: "كُنْتَ ـ كُنْتَ" وهذا الضرب للكنتيين أيضا، وهم يفعلونه نادرا فلذلك لا يحسنه إلاّ الأشياخ.

ثمّ للمادح الحرّية التّامّة بأن يستعمل ما شاء من الأضراب حيث شاء من الأبيات.

و لهم نوع من المباراة في المجلس، تحتاج إلى جهد وعزم واجتهاد، ليفحصوا عن الأفصح الأقوى بل الباهر في المدح بين قسمي المجلس بترجيع البيت الذي قبل بيت الوقف، ويسمّونها " شاحن".

فإنّ من عادتهم أنّهم يردّدون هذا البيت عدّة مرّات، وغالبا ما يكرّررونه إلى الفجر أو إلى الصّباح. و لا يستمرّون إلى تاليه إلاّ بتبرّع واحد من الحاضرين ممّن له اليد الطّولي بهديّة قيّمة، ستوزّع على القرّاء. إذ لو لا تلك لأبقوا على التّرديد إلى الفجر أو إلى الصّبح.

وأشهر القصائد التي تنشد عندهم مع الوسائل المتقبّلة هي:

1- الهمزيّة، في مساء يوم العيد بعد الختم.

2- البردة للبوصيري، أول ليلة ربيع الأوّل إلى نصف المنظومة. وفي ليلة التّسمية يختمونها. ويرجعون إليها في ليلة المولد ويقرؤون كلّها. وكذلك في صبيحة يوم العيد قبل الشّروع في قراءة الوسائل.

3- المرزوقيّة، ليس لها تحديد.

4- القصيدة المولديّة، في اللّيالي الثلاثة الأولية من ربيع الأوّل. ثمّ في كلّ ليلة الإثنين، والجمعة من نفس الشّهر.

5- القصيدة المحمّديّة للبوصيري، بعد كلّ ختم من القراءة.

6- البائيّة لابن مرزوق، ليس لها تحديد.

7- المنفرجة، هي آخر ما يقرأ عادة.

8- كلمات " طيبوا لنا" يختمون بها الجلسة اللّيليّة في ربيع الأوّل خاصّة إلى آخر الشّهر

وكانت الوليمة قبل التّفرقة عند مولاي الخليف وعند الشيخ سيد عالي. والذي يقوم بها الآن عند الفاجّي، القاضي سيد عالي، وسبكّر بن الشيخ، وحماه بن الشّيخ.

وعند الدّواعلي تكون عند أبناء المرحوم محمّد الطّاهر بن شرف والسيّد أبّاعلي بن سيد ببكّر، الذي هو الوحيد في إقامة مصلحة العيد ومؤنته وعند أبناء المرحوم باب بن سيديَّ العلويّ.

منهج الفرقة المغربيّة

فالمغربيّون كانوا أصلا يمدحون مع الأروانيّين. ولمّا تعدّد قرّاءهم أجمعهم حمد البشير ولد العبد الذي كان شيخا ومسنّا منهم فاقترح لهم فكرا جديدا بأن يتّخذوا لأنفسهم موضعا يمدحون فيه النّبي ﷺ كغيرهم، فاتّفق الآراء على اختيار الموضع الذي بقرب دار " مربّيه". وقد بيّنا موقع ذلك في فصل التّعريف بمواقع المجالس. راجعه.

وعادتهم لقراءة المدح سهلة لا مشقّة فيها. فيمدحون في ربيع الأوّل فقط لا قبل. فيقرؤون كلّ ليلة خمسة أحرف، ويستمرّون على هذا العدد إلى ليلة ففيها يقرؤون الكتاب كلّه.

والجدير بالذّكر أنّ المغربيّين كما هي من عادتهم حبّ الجمال والنّظام والنّظافة والرّوائح الطيّبة من كلّ شيء وفي كلّ شيء مهمى كانت. إنّهم في تلك اللّيلة يفرشون الحنابل الملوّنة الغليظة الجميلة وعلى الحيطان يعلّقون البسط الشيّقة المتلألأة كالبرق مع نصب ألوان المصابيح الكهربائيّة وتعدّد أنواعها، وكذلك الرّوائح الطيّبة تفور وتفوح منها إلى آخر المجلس. فلا شكّ أنّ من وقف بهذا المجلس لسحره

ما فيها من العجائب والغرائب وحسن النّظام بل و لو طاف في جميع المجالس في هذه اللّيلة لا يرى مثلهم حسنا وجمالا ونظاما.

ثمّ يتابعون المدح إلى ليلة التّسمية أي العقيقة ففيها يقرؤون أربعة أحرف وفي ضحائه 24 أحرفا وفي المساء يكمّلون ما بقيت من الحروف. أنظر الجدول لمراقبة المنهج.

		الحروف	عددها
	اليوم الأوّل	أ ب ت ث ج	5
		ح خ د ذ ر	5
		ز ط ظ كـ ل	5
		م ن ص ض ع	5
		غ ف ق س ش	5
		هـ و لا ي	4
		أ ب ت ث ج ح	6
		خ د ذ ر ز ط	6
		ظ كـ ل م ن ص	6
0		ض ع غ ف ق س	6
1		ش هـ و لا ي	5
2		ليلة المولد	29
3		أ ب ت ث ج	5
4		ح خ د ذ ر	5
5		ز ط ظ كـ ل	5
6		م ن ص ض ع	5
7		غ ف ق س ش	5
8	ليلة	هـ و لا ي	4
	صباحا	أ - إلى - س	24

5	ش هـ ـ و ـ لا ـ ي	م ساء		

والقصائد التي تضاف عندهم على التّخميس هي:
1- البائيّة لابن مرزوق.
2- البردة للبوصيري.
3- المنفرجة.
4- القصيدة المحمّدية.
5- المرزوقيّة.
6- المولديّة.

والوليمة عندهم تكون أوّلا عند عبد الرّحمان بن محمّد البشير الملقّب بالشليح في ليلة المولد.

والوليمة الثانية في يوم العيد عند أهل العبد سابقا ولمّا ارتحل بأهله للمغرب عاد الأمر على مربّيه وهو الذي يقوم بها الآن.

منهج أهل كبرا

وقد قدّمنا أهمّ المعلومات عن أهل كبرا في فصل التعريف بمجالس المدح راجعه.

وأمّا منهجهم لإحياء هذه الذّكرى الخالدة أنّهم يحيون ليلة المولد بقراءة الكتاب كلّه وليلة العقيقة بقراءة الكتاب كلّه أيضا وفي ضحائه يقرؤون القصائد إلى الزّوال ويتركون منها ثلاثة أحرف للمساء الواو لام الأف والياء.

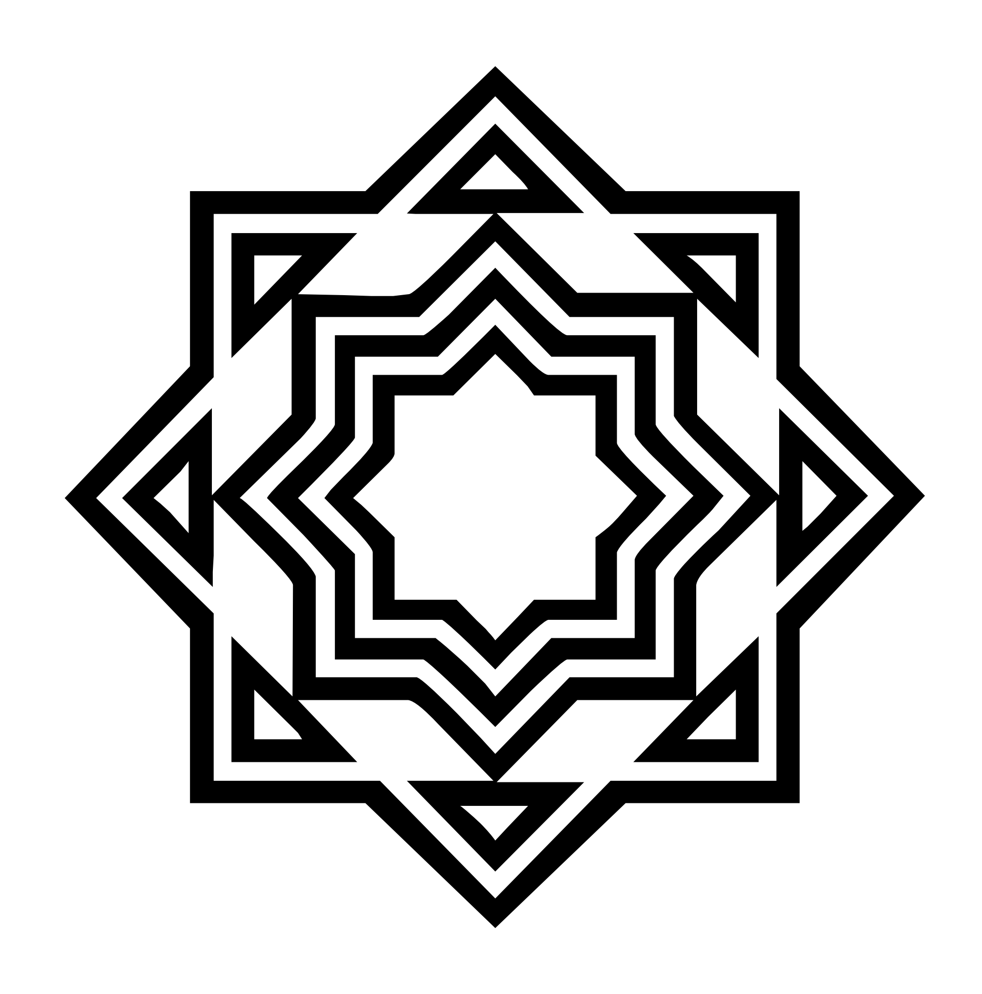
ويستعملون نفس النّغمات كباقي الفرق التنبكتيّة، ويضيفون نفس القصائد أيضا.

والوليمة تكون عند الإمام قبل صلاة المغرب بعد الختمة. اهـ.

وهاك جدولهم.

عددها	الحروف		
كل ليلة يقرؤون ما بين ثلاثة أحرف إلى أربعة إلى ليلة المولد		اليو م الأوّل	
			0

				1
29	ليلة المولد			2
				3
				4
				5
				6
				7
		ليلة		18
26	أ - إلى - الهاء	صباحا		
3	و - لا - ي	مساء		



الفصل الخامس وعشر: في القصائد التي تنشدها النّساء ليلة المولد وما هي تناري وما يجري فيها.

سجلنا للنّساء التنبكتيّات نشيدين بليغين كلاهما يحتويان على السّيرة النّبويّة، وعلى المدح والثّناء عليه ﷺ. ووجدنا أنّ في شرحيهما المشقّة والكلفة والرّجوع إلى بعض الآثار لأرجحيّة بعض الاستعارات والاقتباسات فلذلك حذفناه للاختصار.

فالنّشيد الأوّل مطلعه:" تِيجِكُرْ تِيجِكُرْ" فهو باللّغة السنغايوية المحلّية، ينشد في كلّ ليلة من ليالي ربيع الأوّل إلى آخر العيد وحيويته. فتسمعه في الطّرقات وعند آبار، وأمام الدّيار، وفي الأسواق عند البائعات خاصّة مع ضرب الطّبيلات.

وأمّا في ليلة المولد فيحين اللّيلة كلّها بإنشاد هذا النّشيد الطّيّب مع ضرب الدّفوف بأنواعها في أصوات رخيمة يؤثّر في الإنسان كلّ التأثير، ويحرّك القلوب

وأحيانا يسكب الدموع وتبكي، ولا سيّما إذا كانت المغنّية له شيخة والباقيات مراجعات لها.

وكذلك في ليلة العقيقة وفجرها إلى المساء، فأينما توجّهْتَ لا تسمع إلاّ هذا النّشيد الطيّب الذي يسحر السامعين بمضمونه وتفاصيله لآثاره ﷺ، وكيف لا؟ وهو يحتوي على ما شاء الله من سيرة نبيّنا محمّد ﷺ ومعجزاته، وكراماته، وأخلاقه، وخلقه، وآدابه. وقد أجمع الحكماء على أنّ من أحبّ شيئا أكثر من ذكره. فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبّين لا يريدون به بدلا و لا يبغون عنه حولا. ومن علامتهم لمحبّة هذا النّبي ﷺ وإغراقهم في حال المتصوّفة استلذاذهم عند ذكره الشّريف ﷺ، وإطرابهم عند سماع اسمه المنيف، وقد يكون سبب السكر قوّة الفرح بإدراك المحبوب أو بسماع خبره خصوصا هذا النّبي الكريم الذي كادت اختلاط كلام مادحه وتغبير أفعاله من شدّة الفرح ومن شدّة سماع الإنشادات بالصّفات النّبويّة المعرفة. وقد قيل:"إن صادفت مجلا قابلا فلا تسأل عن سكرة السّماع". وعلى هذا يشير الشّاعر الكبير محمد بن المبارك في ديوانه في الخبب:

يَا مَادِحَ أَحْمَدَ سَرْ مَتَكُو نِمَهَوْ نِـگمى نِمـَگَنْدَ سَكُو
نِمَوُرٌ كَكَاتِ مَفُمْ مَفَكُــو نِمَسَابُ نِسَنْدِ مَدُو نِسَكُـــو

وهذه هي القصيدة المباركة باللّغة السنغايويّة: :" تِيجِكُرْ تِيجِكُرْ"

1- تِيجِكُرْ تِيجِكُرْ
2- تِيجُونْكَبَا تِيجِكُرْ
3- جَارِكُورْ جَرِكُورْ
4- جَارُونْكبا جَارِكُورْ

5- محمّد يا رسول الله
6- الشَّفَا يا رسول الله
7- دُنْتُكُيْ يا رسول الله
8- هِنِّكُيْ يا رسول الله
9- تَمَلَكُيْ يا رسول الله
10- يَافَكُيْ يا رسول الله
11- الفَرَجِ كُيْ يا رسول الله

12- محمّد سي
13- هِنِّكُيْ سي
14- يَافَكُيْ سي
15- الفَرَجِ كُيْ سي
16- يَرَنَّبِسي
17- تَمَلَكُيْ سي
18- دُنْتُكُيْ سي
19- الفَرَجِ كُيْ سي



20- صلّى الله وَالي
21- يَرْبَرَ النّبي بَنْدَا
22- صلّى الله وَالي
23- يَرْبَرَ يَرْكُيْ بَنْدَا
24- صلّى الله وَالي
25- محمّدَ النُّورُ بَنْـگـيْ
26- صلّى الله وَالي
27- يَرْكُيْ دِيَ النُّورُ بَنْـگـيْ
28- صلّى الله وَالي
29- محمّد النُّورُ بَنْـگـيْ

۞ ۞ ۞

30- هَيَّني سُمَّنَيْكُيْ
31- بَري جِنْـگـرْ مَنَيْ كُيْ
32- يُو يَجِنْـگـرْ مَنَيْ كُيْ
33- بَري جِنْـگـرْ مَنَيْ كُيْ
34- هَوْ يَجِنْـگـرْ مَنَيْ كُيْ
35- بَري جِنْـگـرْ مَنَيْ كُيْ
36- بَري كَبَّرْ مَنَيْ كُيْ
37- بَري جِنْـگـرْ مَنَيْ كُيْ

۞ ۞ ۞

38- لَيْلاَهَا إِلاَّ الله
39- لَيْلاَهَا إِلاَّ الله
40- محمّد رسول الله
41- وَ هُورَيْ جِرَيْكُيْنُوسي
42- وَ هُورَيْ جِرَيْكُيْنُوسي
43- تي سي جِرَيْ كُيْ نُوسي
44- كَمْبَسي جِرَيْ كُيْ نُوسي

۞ ۞ ۞

45- وَهُورَيْ بِلاَلِ سي
46- تَمْ كُكُرُو بلاَلِ سي
47- تَمْ جِنَا بلاَلِ سي

۞ ۞ ۞

48- كُلْكُو مَتُنْ جُورِي
49- كُلْكُو جَنْـگـُ مَتُنْ جُورِي
50- سَنْدَ ايْنِيَا مِنَاتَ
51- گـاسُ مَتُنْ جُورِي
52- گـاسُجَنْـگ مَتُنْ جُورِي
53- سَنْدَ ايْنِيَا مِنَاتَ

۞ ۞ ۞

54- هَوْ يَمَنِينْ تِينْدِ
55- بَرِ يَمَنِينْ تِينْدِ
56- يُو يَ مَنِينْ تِينْدِ
57- فَرْك مَنِينْ تِينْدِ
58- فاجِ مَنِينْ تِينْدِ
59- أَيِينْدِ مَمُنْ گَنْدَا

۞ ۞ ۞

60- يُودِيَهُنْ مَگَّا
61- إِگَا تَجَوْانـگَيَجيجي
62- اليوم جَارُو جَرُو
63- اليَوْمَ سَبْعَتَيَّ◌َامْ
64- وَدِ گَيُودِ بَندَگَا

۞ ۞ ۞

65- يَلَرْمَهَيْ كَهِيجِنْدِ
66- يَلَرْمَهَيْ كَيُورُنْدِي
67- يَلَرْمَهَيْ كَبَنْكُودَمْ
68- مَاجَا مَاجَا
69- يَلَرْمَهَيْ كَهِيجِنْدِ
70- مَاجَا مَاجَا
71- يَلَرْمَهَيْ كَيُورُنْدِي
72- مَاجَا مَاجَا
73- يَلَرْمَهَيْ كَبَنْكُودَمْ

۞ ۞ ۞

والنّشيد الثّاني باللّغة الحسّانية ويسمّى بـ " التّمجاد" أي تمجيد النبي ﷺ فهو خاصّ للّنساء الحسّانيّات ومن معهنّ من الجواري. فهذا النّشيد بطوله، يحتوي على عدّة قصائد متنوّعة القوافي ومتفرّقة التّضمين، حيث أنّ كلّ فرع من القبائل الحسّانية له قصائده الخاصّة تختلف مع ما عند غيره.

وفيها أيضا ما يشتركون فيها، وربّما تجد الفرع الفلاني ينشد قصيدة الفرع الفلانيّ.

ففي ليلة المولد تحضر النّساء خارج المدينة وتجمعن على الرّمال البيضاء فوق الكثبان الموجودة بقرب مقبرة الشيخ سيد محمود بن أعمر مع طبولهنّ بأنواعها. فيبقين هناك تلك اللّيلة لإحيائها بإنشاد قصائد (التمجاد) المحتويّة على الثّناء والمدح لرسول الله ﷺ إلى الصّباح. ومن القصائد:

أَنَا وَنِّي سَـــــــعْدُ مُمِّي	إِلاَّ بـــــالنَّابِي محمّد
ذَا اللَّيْنْ انْتَفْتُلُو لَـــغْزَال	وَلِـــــــكَلَّمْ صَبِيَّمْهَا
وَلِّيَشْفَعْ يَـــوْمَ الزَّلْــزَال	ألاَّ سَيِّدْنَا مــــــحمّد
ذا لِّشَافْ السِّدْرَ بـــالْعَيْن	وَلِّشَافْ رَفْرَفْ تَجْعَد

مَـــاه الْخَاطِي مِرْك الاِثْنَيْن   أَلَّا جِبْرِيل مُـــــحَمَّد
الْيَوْم يُنْصْبَحْ قَبْرِي يُنْقَاسْ   وَانَالَيْهَا إِلاَّ مُـــوَجَّدْ
والســـِّوال قَالُوا يَا النَّاسْ   فَلَقَبْرْ يَكُونُو مُـــــتَّدْ
لاَ تَنْحـَزْنِي نَفْسِي لاَ بَأْسْ   رَحْمَةَ اللهِ فِي كُلِّ ابْلَدْ

ومنها أيضا:

بِـــذِكْرِ النَّابِي نَتْكَلَّمْ   نَبِي نَسُودُ الْبُـــــــرُوجْ
يَا عَدْلَ زِدْ الشُّكْرَ تَمْ   يَا لَوْلَاهُ لَمْ تَخْـــــــرُجْ
هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَـدَمْ   رَسُولُ الله أَعْـــــطَاهْ الله
مَعْطَى مَا جَبْرُ مُجَمْجَ   الرُّسْلَ مِنْ قَبْـــــلُ قِيفَاهْ
يَا سَعْدَ لِنْشَافْ امْبِينَا   اِصْغَيَّرْ كِيفِنَّ حَـــــــمَّ
وَالْـكَّـُفَّ كَحْلَ ظَلْمِيَّ   يَا نَصْرَ لْــــكَانَتْ تُبَسَّــمْ
بِسْمِ الْحِيلَ لَاهِ نَنْهَـــا   وَاقِفْ بُبَكَّرْ وَعُمَرْ وَعَلِي وَاقِفْ تُحَرَّمْ
تَمُّ كَرُّو شُـــكْرًا بِينَا   ذَاكْ الْبِيهْ الْوَحْشْ تُكَلَّـــــمْ
كَانُوا غَادَرْ يَشْفَعْ فِينَا   يَوْمِ الْعُودِ الْعَرْفُ لَجَّـــــمْ

۞۞۞

ومنها أيضا:

أنا ونّي محمّـــــدو   محمّد ظاهر ما ينضـــرّ
ولّسابق بوه جــــدّو   خلّق من نور فم اخلـــق
من نور خلّق وحــدو   والنّور يظوّي كيف ابرق
في اليل يدوّ رعــــد   محمّد فات اعطاها الربّ
ليلواطاه وحـــــدو   يا ربّ اجعلني حمـــاه
على جنب وعلى خدّو   محمّد ظاهر ما ينـــدرق
مرسول ربّ ويـــردّ   ما هو تالب يكون الحـق
انطالب السّلام بـگدّو   محمد هذا والحمـــــد
فمنين اخلق محمّـــد   بالبمسال سمّو وحـــــدو[1]

۞۞۞

ومنها:

نَسْبَقْ[2] بِاسْمِ الْعَالِي الْأَكْبَرْ   مَوْلَى المُلْكِ الوَاحِدْ فِي الذَّاتِ
القَدِيمْ البَاقِي الأَبَـــــرْ   خَلَاّقْ الخَلْقْ مِنَ النُّطْفَـــاتْ
إِلّشِي رَادُو مُقَـــــدَّرْ   مَا تَنْفَعْ فِيهِ المَخْلُوقَـــاتْ

---

[1] ـ هذه القصائد الثلاثة المتوالية حصلنا عليها من عند أم زين وعمرها 45 سنة تقريبا. حينئذ.

[2] ـ هذه القصيدة وجميع ما بعدها حصلنا عليها من عند الشيخة حفصة بنت المرحوم عبد الرّحمان من أهل أروان املاء، فهي تملي وأنا أكتب. وأقرّت أنّ عمرها خمس وثمانين سنة، ولها اجتهاد وعزم في إنشاد هذه القصائد. ومن اجتهادها أنّها تشرع في النّشيد في ليلة المولد من المغرب إلى ضحوة الصباح القابل.
وهي تقيّة، صوفيّة دائما في العبادات والأذكار وكثرة الصلوات على النّبي ﷺ فتقرأ السّور الطّوال في صلواتها الخمس غير أنها لا تحفظ القرآن كلّه، دائما مع سبحتها، وتأتيها جيرانها من كلّ فجّ وحتّى الرّجال الكبار يطلبون منها الدّعاء فتدعو لهم بالدّعوات الجامعة، وكذلك الأطفال فتضع يديها على رأسهم وتدعو لهم بالهداية والبرّ والنّبات الحسن. فلا تراها إلاّ في الذّكر . ولها أيضا قصائد من تمجاد نظمتها هي في مدح النبي ﷺ منها ما مطلعها: " أنت يا محمّد حتّى ** صاحب الخاتم مبتّا" وستأتي إن شاء الله وهي أربعة أبيات فقط.
وتقول أنّها تعلّمت هذه القصائد من سميّها حفصة بنت ددِّ بن اديبوسات، ومكثت سنة عندها تقوم بعمليّة البيت حتى حفظت عن ظهر قلب القصائد التمجاديّة التي تبلغ عددها نيّف وستين قصيدة. والحفصة التي تعلّمت هي عندها توفيت في كاوو عند أولاد أختها. محمود محمد ددب.

وَلِّ مُنْكُرْ مُو ذَا البَشَـــرْ   أَلَاّ يُتْقَلَّبْ فِي العَتْمَـــــاتْ
مِنْ لَبْنُ الْبِلْ وَالْبَنْ لَبْقَـرْ   ولبن لمعيز المعلومـــــات
يحجبهم في البرد في الحر   و باسمن بينا حاسيـــنا الذّات
واخيار لخلاّ مـــــــدر   من الرّجال ولعليـــــــات
لفضلو قبلو صـــــــوّر   والمولى جعلو فات اشتـــات
به الخلق في الارض تنوثر   وبيه تنوثر في السمـــاوات
واكتن فات الدّهر تمنكـــر   وأكثر جهلو والناس ابقـــات
تعبد الأصنام لأيمن وايسار   و لا تنفـگذْ ليلاه اتـــــلات
والكفر اكثر فيها وأحـــذر   وأعدم فيها فعل الحسنـــــات
واندر هو فمنين أنـــــدار   الأصنام امشافو مكســـورات
واهشم وأسرى وأصبح لبحر   ما فيه الما والنّار اطـــــفات
ما خاظ اشوي انشقـــو مر   إليّ في القلب من الـــزلاّت
وابق الصّافي يبنو جوفـــر   ظهرو فيه طبايع زيـــــنات
يمشي في الرّفـگ ما راحر   فيه المزن فوق ســـــدّات
ارجع عاد ألاّ يتحـــــيّر   في الخلاّق في العبـــادات
ما يعرف طهــــر يطهّـر   عاد الاّ ناقب للخـــــلوات
إلى جبريل بـــــليد انتر   قفيان زادوا باللّيـــــــات
واسر بيه في ليلة قـــــدر   واقبن فيها بالمناجـــــات
واكتن جاهم ردّ الخبـــــر   قالت قريش أنّو فـــــتّات
كيف امنين دعا للقمـــــر   طاح في كمّو هو كرظـــات
وامرگ من لوخر يتكركـــر   وقالو ذو ما هم معجــــزات
كيف الصّدر جات تتكبّـــر   وتتبايع لو وتشهّد جـــــات
وكيف الجذع وكيف المنبر   إلّحنّو لو تحنينـــــــــات
كيف الصّال إلّي عات مـر   إلّي منّو للفت تقـــــــدّات
واكتن ظمرت عادت تسكـر   من مّا هم مولّي زاد اروات
من مقلة قوت تجــــبّر   صابت نزل عند الممـــات
من عندها ذاگـــا اشطـــار   انزيز الرّتل والبيظـــــات
وادعا قريش الله أكبــــر   لسلام هي بـــــــوقـــات
وادعا يستسلم لو عمـــــر   واستسلم عمار بالدّعـــوات
واحلف عن لّعباد تظهـــر   ما تدرّگ عن حد تـــــــلات
قال البلاد أنّو يجهـــــر   يذانو لحقو في الصّـــــلات
كيف امنين عليها إثني عشر   أفگراش عليه تگــــــرات
وافقت لو قالوا ما يحظـــر   ولآدم بطريح أرايــــــــات
كونوا إبليسو جاهو الاعـور   و طرح أرايو واعليهو فـــات
وبخبار الكفّارو خـــــبّر   جبريل امبينا بيه فـــــــات
و عالي فوق فراشو منســـر   يحانيهم فيدو گــبظـــــات
بحديد السّيف و لا يخطـــر   راجل منهم شور ما مـــــات

وعاقب ذاكـ أمشي مستنصـر | للمدينة واصل استنگــــات
وامجيه لها عن كلّ اكـــدر | و امجيه لها عن الارض علات
نصروها أنصارو والشهـــر | وعادا معاها اثلاث ميـــّات
وامش بالسّفيان امتجّـــــر | شيخ الرّفق واكتـــن ولاّت
اسمع الأخبار وعنهـــم مـرّ | واعلم قريش إلين أغـــزات
بالعنّ والظلّ تنتّـــــــر | لجمت الأحرار مع الحـــرّات
والتّيدناتن والمــــزمر | بيهم مشهّــــر للفتنـــات
فيهم عتب خوف أدّثــــــر | أبا جهل جيش العصـــــات
واعلم محمّد واتغيّــــــر | قالو نّو ذلّ وبعد امّــــات
وأحلف حلف ما تكفّـــــر | على أنّو هو ذا ما فـــــات
خسّر الاعدو ويلو خسّــــر | دنّو يرجع ماراطيـــگات
غير الحقْ لعناد لعـــــگر | ما يزّوشي في المكتوبـــات
وهو جيش جيش مكــــدّر | وخيل ثنتين معلومـــــات
وغظبان للتّسع تحظــــــر | نقلع لك وحد عن لخـــرات
واعليهم كظّت تتمعيـــــر | قريش بالسّيف اتّحانـــات
و رجعت حشمان تتحسّـــر | بعد التّوك بعد الصّـــولات
و ارجع هوّ ماه مكشّــــر | فيهم خاصل گدّ الخصـــلات
منهم ظلّ الدّمّ يهـــــدّر | فيها اقطع جبريل الهمـــات
ويقطع الأصباع معمّـــــر | تحت حيزوم إلين اثنـــات
با جهل قاعو وطيّـــــــر | شابق لا لحقت الاعقبـــات
وابقا يمتو لاه ينجــــــــر | يعملّو انجز و لا اتلى ينشـــاف

۞۞۞

ومنها أيضا:

خيـــــــار لّيغنّى بيه | ألاّ شكر المصطفى الأميـــن
عنّو ما نقدر نحصيـــــه | فم خاليق أهل الثّقليـــــــن
وضعت گـا آمنتّ بيــــه | واخلق يا سعد الغانيّيـــــن
وسعد أمّات اليتامى بيـــه | وسعد الفقراء والمساكيـــن
ماذ من حزم كانوا فيــــه | وعقبوها للفرج لمتيــــــن
و اكتن عاد اطفل هاك عليه | في لاخل نصر ملكـــــين
وشقّوه مراسيلنّ اشيـــــه | و دارو فيه من النّور إليـــن
عمّت الانوار على عينيــه | وعمّ الدّيوان عمّ الزّيـــــن
واكتن رفد راس لفقيـــــه | و عدت تقولنّ بو صوميـــــن
يمشي لا عزّ قواليـــــه | و يعيّي القراشيّيـــــــن
إلى البيت الّ هوّ فيـــــه | هوّا واصحاب مجتمعيـــــن
وتدخل قومان ادّحل عليـــه | بدّاكين الشّين ولعجـــــين
و هو يكتن يدخل يحظيـــه | يطلع با الحيط لمنيـــــن
وامش مشيو ما خسرت فيـه | مسال قدّرها معيـــــــن

و ذاك الاّ فضلو فضّل بيــه	عن قوم أنّو بو ألخريــــــــــن
أسن صدّف أبو بكر بيـــه	صادق المرء والحسيــــــــــن
تابت عادت ذيك تناجيـــه	يغير إلاّ ما زال الدّيـــــــــن
ما يقدر حدّ يصرّح بيـــه	به الخوف من المشركيــــــــن
و دار الله السّلام قويّـــه	يا ربّ بحد من العمريــــــــن
ذاك الوقت السّا شاهد فيـه	الفروق إركاب المسكيــــــــن
و وقف رافد سيف فيديـــه	يسوّل محمّد فمنيــــــــــــن
گـالو لو وحدين شي لك بيه	قاللهم همّ فيـــــه امتيـــــن
انفدهم وافطن ما نبغيـــه	يلحقني كون في جيش امتيـــن
بحرو ذالّنافدهم بيـــــه	يكانوا زين يكانوا شيــــــــن
ووقف عندي البيت يفنـگيه	بالصّحّ يبطّ بطّ امتيــــــــن
البس درعو و وقف لا قيـه	محمّد خاتم لنبيئيـــــــــــن
حقّ نّو مزال ويحظيـــه	محمّد ما يخلط خوفيـــــــن
خوف من الرّبّ لّناشيـــه	و خوّف أخرى الأدميّيــــــن
وظلاّل فوق ترعـــــــاه	ما يحمل لشماس الحرّيـــــن
واتقو طربيه تـــراب الله	انزلّو جبريل بشي زيــــــن
أنّ الجنّه هي مـــــأواه	عاطيها لو حق المتيــــــــن

۞۞۞

ومنها أيضا:

سمع البشير أخبار العيــــــر	انهظ شورو بثلت ميّـــــات
عن قول البدوي الشّهيـــــر	زادو بثلاتّعشر الميّـــــات
وعضّم ضم قريش ذيـــــر	و اكتن جاها نهظت وامشات
و اركب جنقير مع بنقيـــــر	لا و لعمايم شاشيّـــــــات
و راهم وقت طلوع النّذيـــر	فالثّلت اعشر الاّ معـــدودات
لمحازم واكناين لّحريـــــر	بهم مّشهّر للفتنـــــــــات
و ابياظ ادّراعو كيف الجيـــر	يظّاو فالشّدّ الظّلمــــــات
و راكب فوق نواوير الخيـــل	بيظو حمر دهمو لحاحــــات
و يوشوفو للحرك ممّ مّيـــل	بر ثمهم واصگعهم زينـــات
و الهلب اتفرفر بتعنكيــــل	والرّ گـب گـوص اكبر نبـات
نشّادت فاقو والطّاويـــــل	تتفوق من زيــــــن الرّدّات
تمشي بيه إلى الارظ الطفيـل	أبا جهل امبو سيّئـــــــات
فيهم حنظلة خنزيــــــــر	و فيهم يقير لهم شي الـــزّات
و فيهم عتبة دار الجيـــــر	يرجع قير التّرب نـــــدات
قالوا قـــــومان بيه ذلّلـــو	و اتمعير من ذوك الكلمـــات
مكنت فاكتافو فم السّحيـــل	قريش إلى بدر الدّنـــــات
حرّر جيشو و استنّ أثيـــر	كحــــــلقة فيه فـلات
جيشو ما يجبر كونو الخيـــر	شرف و اولاد اشـــريفيّات

جنـاجير ولاد جنا جيــــــــر   صناديد أهل الحسنـــــــــات
وفيهم عمر مثل قليـــــــــل   ألاّلــفي دبّب في الحيـــــات
وفيهم عليّو ماه لكبيـــــــــر   كرّم الله وجهـــــو فــــــات
و لا يعبد الاصنام احليــــــل   النّابي عايد معجـــــــزات
فيهم حسيـــــــن و الطفيــل   اطّفيل اگـليعل الهزمــــات
إلين يعود الدّمّ يسيــــــــل   يظرق من بلد الضّربـــات
و الضّرب احساسو فوق الجيل   ألاّ يعمال الفرقيعــــــــات
ما تسمعو كونوا التّكبـــــير   و المعركة ما فات اسحـــات
ولّ تسمع لحلال احليـــــــل   ويلو ذا مات وذا ما فـــــات
افها ذا ما طال الميـــــــــل   جاو ملوك أهل السمــــوات
جبريل وميكائيل واسرافيــــل   في گـرظت ميّـــــــــات
عرّفت قريش التّاثيـــــــــر   والعظم للـــــواحد في الذّات
اشبه لها گـاع من قبيــــــل   لكان تابت و استهــــدات

۞۞۞

ومنها أيضا:

انشرّف محمّد لاميـــــــــن   خيار امراسيل الرّحمــــان
أنا صلّيت على الرّســـــول   بـگدّ الواعي و القفيــــان
و بـگدّ امنازز فلتـــــــور   الممقوس امعا ملكــــــان
وبـگدّ لّيعرف و يقــــــول   كلم من الاعجام وحسّـــان
رسول الله بالتّقريــــــــش   اعطاه المولى قلظ الشّـــان
صلّيت عليه بـگدّ احشيــش   الخطّ تـگـانت و گـــــان
و بـگدّ ازقب كلّ ليويـــــش   و بـگدّ ورگ صدر الـــودان
حجار السّن مع لفــــــش   منعند مـــــرت إلى ودان
حمدنا للاه القيّــــــــــوم   في اخلاقت محمّد عجــــلان
عمّ لسلام وخفّ الصّـــــوم   و جاوو الصّلوات بالامكــان
أرگ الخمر عاد بلا ســـوم   خلقت لحريث والزّيــــوان
و اشفع في لّمنها معلـــــوم   و انعت وجهو لهل العصيــان
مّا فيهم واحد شور لــــــوم   عثمان و عثمان وعثمـــــان
عليّ في الفتن مسمـــــــوم   عايد روع لاهل الغظبـــان
ما قطّط خلّف عنهم يــــــوم   منهو مصدّق في الصّبيـــان
و عاد القوم الكفر بلا ســوم   حقروا رجليهم والفرســــان
مان رادّتها حقّ اعــــــليك   فرقو فم فروق الذّنبــــــان
ما جبرو ماه التّنـــــــــدّم   ولعيّ وافروق يقليــــــــان
هذا باط اعليهم مقســــــوم   محمّد گـا أثر ينـهــــــان
إلّما تلبو عاد احمــــــــوم   ربّكما تكذّبــــــــــــان
و رايلها دمهم مبــــــروم   انزلّو فاثمانو الـــــــقرآن
اصلان لاه حق انــــــدوم   بشكر و يلحيّ السّبحــــــان

انقولو متكحل بالنّـــــــوم	و انقولو حتّى في الوعيــــــان
و انقولو منثور ومنظـــــوم	عند الطّبيـــــــل و ظـــــوان
أنا با محمّد محمــــــــــود	امنين اعليك الشّكر زيـــــــان
اندور اشفاع وانعـــــــود	اندوّر مسنون الهيــــــــــدان

۞۞۞

ومنها أيضا:

أنت يا محمّد حـــــــــتّى	صاحب الخاتم مبـــــــــــتّا
و انتاي الذي نزلـــــــــتا	بملك يوم الدّيـــــــــــــن
و أنت صاحــــب جبريل أنتا	و أنت سيّد الكونيـــــــــــن
و أنت شفيعـــــــــي وأنتا	مناي من الدّاريـــــــــــن

وفي هذه كفاية إن شاء الله، ومن الجدير بالذّكر أنّ هؤلاء النّساء ما زلن ينظّمن أمثال هذه القصائد التّمجاديّة إلى يومنا هذا. هـ

تناري: ما هي؟ وماذا قيل فيها؟ وما يجري فيها؟

تناري (بالإمالة) هي المرحلة الأخيرة من الاحتفالات المسجّلة في عيد المولد النّبوي. وبها يختم التنبكتيون هذا العيد المبارك. وتكون في مساء يوم التسمية (العقيقة) أعني اليوم الثامن عشر من الرّبيع النّبوي. وتحضر لها جميع النّساء والصبيان بعد الختم من الفاتحة أمام مسجد سنكري. وهي حفلة كبيرة، موقعها في ساحة متوسّطة في الشارع النّافذ بين السّوقين: الكبير والصّغير.

وفي سبب انشائها روايتان:

الأولى: أنّها من محدثات العيد.

والثانية: أنّها تقليس لرجوع الباشا مع جيشه من المغرب، والفلس كما هو في شراح بعض كتب الأحاديث : (هو الضرب بالدّفّ والغناء، وقيل المقلس الذي يلعب بين يدي الأمير إذا قدم المصر، والتقليس استقبال الولاة عند قدومهم بأصناف اللّهو).

و القولة الصحيحة التي يمكن الاعتماد عليها أنها أوّلا: من محدثات العيد قياسا على ما أخرجه أبو داود عن أنس ﷺ قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لعبت الحبشة لقدومه بحرابهم، ثمّ حولت ثانيا يوم مجيء هذا السلطان المغربيّ إلى التقليس واتّخذها كلّ من ينتسب إلى قبيلة أرْمَ، عادة يحضرون فيها ويقومون بمؤناتها كلّ سنة إلى يومنا هذا.

وفي أمر مجيء السلطان حكاية مرفوضة، مسطورة في بعض كتب التّواريخ و روايات مزوّرة لا أصل لها، ويفهمها من أمعن الفكر فيها ودقّق النّظر.

وفي حاشية الأستاذ الفاضل الإمام أبي الحسن محمد بن عبد الهادي الحنفي المتوفى سنة 1138هجرية المعروف بالسّندي على سنن ابن ماجه قال: قال السيوطي: قال يوسف بن عدّي أحد رواة الحديث: التقليس أن تقعد الجواري والصبيان على أفواه الطرق ويلعبون بالطّبل. والحديث المشار إليه هو ما ذكره ابن ماجه ونصّه: " حدّثنا محمّد بن يحي ثنا أبو نعيم عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن

عامر عن قيس بن سعد قال: ما كان شيء على عهد رسول الله ﷺ إلاّ وقد رأيته إلاّ شيء واحد، فإنّ رسول الله كان يفلس له يوم الفطر".

والحديث الذي قبله: حدّثنا سويد بن سعيد ثنا شريك عن مغيرة عن عامر قال: شهد عيّاض الأشعري عيدا بالأنباري فقال ما لي لا أراكم تقلسون كما كان يقلس عند رسول الله ﷺ.

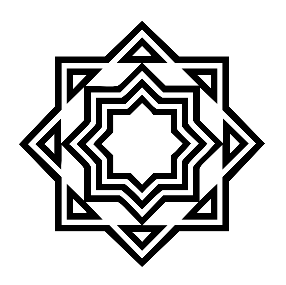
وفي كلا الحديثين يستخرج منهما إظهار آثار الفرح والسّرور والحبور عنده ﷺ، وتقريره ﷺ على هذا القلس أمامه دالّ على جوازه كما هي حكاية الجواري، والجارية التي نذرت ضرب الدفّ بين يديه ﷺ. وقد قدمنا الكلام في الفصل الثّامن على ضرب الدّفوف وإظهار الفرح في الأعياد راجعه.

إذن فتناري داخلة في هذا القبيل. فماذا يجري فيها؟

فبعد حضور النّساء والصبيان في الموضع المعيّن، وأخذ كلّ مكانها، بعد تكوين حلقة كبيرة، يشرعن في ضرب الطّبول والزّغاريت والتصفيقات وغيرها من أنواع اللّهو والطّرب واللّعب، ويستمرّون فيها إلى أن يحضر فارس (من قبيلة معروفة هنا تسمّى قبيلة أَرْمَ وهم الذين كانوا يقودون جيش الملك منصور) على خيله. فيرقص به مدّة في وسط الحلقة المتهيّئة له من غير انقطاع، وينظر أيضا بأية حيلة مع فراسته وسياسته يمكن له تفريج أكبر الطّبل بحوافر خيله. فإذا نجح في مقصوده فنعم، وهو المطلوب. وإن لم ينجح فيراجع عدّة مرّات ركضه وترويضه، وربّما يقدّمون له الطّبل وينصبونه في الأرض ليسهل عليه مراده. وإن لم يقدر بأيّة حيلة وبأيّة سياسة، فسيكتفي بوضع قائمة فرسه على الطّبل فقط من غير تفريج.

وبعد هذه الألعوبة يشيّعه الجماعة بالطّبول والتصفيقات إلى أن يصل إلى بيته. وهنا يقدّم للنساء هديّة كبيرة جزاءًا لاجتهادهنّ، ومن هذه الهديّة مبلغ خاصّ لإصلاح طبل جديد للسّنة المقبلة إن شاء الله.

وهذه العادة ما زالت مستمرّة إلى يومنا هذا. والتي يقوم بها هي أسرة المرحوم الكاي الذي كان قديما أميرا في تنبكتو.



الخاتمة

نسأل الله حسنها والتوفيق لما فيه رضاه آمين

ولمّا تمّ المقصود ممّا أردنا بيان ما كان عليه السّلف التنبكتي في إحياء عيد المولد النّبوي، وما يجري فيه من العوائد الحسنة الممدوحة، وعلمنا بواسطتها

اجتهادهم وعزمهم في تنظيمه على أحسن منوال، والخطوات التي كانوا عليها يسيرون لنجاحه وإصلاحه، والآداب التي كانوا يتخلّقون بها في مجالس المدح والأذكار وغيرها.

فالواجب على المقلّد أن يتشبّه بهم ـإن أراد حقيقة أن يقلّدهم ـ لأنّ التشبّه بأهل الصّلاح فلاح بل خير كلّه. فقد قيل:

فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم إنّ التشبّه بالكرام فلاح

وفي رواية نجاح. وأن يتخلّق بأخلاقهم الحسنة الطيّبة ويتعلّم من العلوم ما يخرجه من دائرة الجهل ليفهم حقيقة ما يقرؤون في الموالد فيتأدّب بالآداب القرآنيّة والأخلاق النّبويّة والأمثال الأدبيّة السائرة التي لم يزل ابن مهيب في تخميسه يردّدها ويكرّرها كرّة بعد كرّة ومرة بعد مرّة. ويشير في كثير من الأبيات إلى أشياء من الموضوعات المفيدة النّافعة التي لا تتمّ الحياة الاجتماعيّة والفرديّة إلاّ بها.

فترى في بعض الأحيان من عيون بعض المدّاحين تفيض الدّموع لما فهموا ممّا بيّنت لهم معانيها من النّصائح والمواعظ.

واليوم ماذا نشاهد؟

فقد اتّخذ شبابنا اليوم ليلة المولد فرصة للفساد والعناد واللّعب مع البنات في الفنادق والغرف والمجاهرة فيها؛ فخاضوا في المحرّمات والأباطيل بأنواعها، و ركنوا إلى المعصيّة وتوابعها وركضوا في الفسق والفجور والنّفاق وما يسبّبها، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون! فتراهم يفعلون الموبقات و يصرفون فيها و في إقامتها و تنظيمها أموالا لا تعدّ و غير ذلك من المصائب و الآفات التي ننزّه أقلامنا عن تعدادها و تقاييدها، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون!

وسبحان الله! ما أبعد ما كان عليه السلف في عصرهم الذهبي وبين ما نحن فيه اليوم.

وسبحان الله! قد نبّه عليها ابن مهيب في تخميسه ونصح بها المدّاحين ـ مثلا ـ قال في مطلع تخميس حرف الذّال:

ألا فاقبلوا منّي نصيحة مرشـــــد يصيخ إلى إرشادها كلّ مهتدي
إذا شئتم أن تحرزوا الفوز في غد ذروا كلّ شـــغل لامتداح محمّد
فذلك منحى للنّجاة ومأخذ

وفي حرف الكاف قوله:

صن النّفس واصرفها عن اللّهو والدّد لمدح نبيّ بالرّسالة مهتدي
... الخ وغيرها... وغيرها...

فيدعونا في هذه الأبيات، وفي كثير من أمثالها إلى التأدّب وإظهار الخشوع والتفكّر والاعتبار عند ذكره ﷺ. فلا شكّ أنّ كلّ من خلا قلبه عن ما ذكر وكرّر في كتابه لأثّر فيه حلاوة المدح، وينتفع به، فلذلك عيّن في تخميسه فرقتين فقط فقال في آخر التخميس من حرف الثاء: {يفوز به المصغي له والمحدّث}.

فعلى المادح المقلّد أن يبعد عن ما فيه شبابنا اليوم في ما أحدثوا ليلة المولد، فإنّ هذه المصيبة، هي المصيبة التي أمرنا الرسول ﷺ أن نستعيذ بالله منها، وتعوّذ أصحابه أيضا من أن يدركوها، ومع عدم إنكارنا إيّاها وزجرنا هو السبب الذي

أوقعنا فيما نحن فيه اليوم من الضّعف وانتشار الأمراض التي لم تكن معروفة، فتولّدت منها آفات ومصائب وستولّد أيضا غيرها بل ما هو أشدّ إن لم نعالجها بأيدينا أو بألسنتنا أو بقلوبنا. وقد ورد: " والله ما ظهر في أمّة اللّواط والزّنا والخمر والقمار والرّبا، وتطفيف المكيال والميزان، إلاّ فيهم الغلاء وانتشر فيهم البلاء والأمراض التي لم تكن معروفة في أسلافهم وظلم السلطان، وما بدّل قوم دينهم بعد ما عقلوه، وخالفوه بعد ما عرفوه وألّفوه إلاّ مات خيارهم وعاش شرارهم، وقلّت أمطارهم وغلّت أسعارهم واستحوذ عليهم الشيطان وكذلك يكون في آخر الزّمان.

وفي الحديث: ذات ليلة استيقظ رسول الله ﷺ فزعا محمّرا وجهه يقول لا إله إلاّ الله ويل للعرب من شرّ قد اقترب. فتح الليلة من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها قالت زينب بنت جحش: فقلت يا رسول الله أ فنهلك وفينا الصّالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث. فإذا فهمت هذا أيها المادح المقلّد فاعلم أن ما أنت فيه من الصّلاة عليه ﷺ ومدحه والثناء عليه من أفضل القربات ومن الأعمال الصالحات كما قال جلّ علا: " إنّ الله ملائكته..الخ الآية" وقال رسول الله ﷺ: " من صلّى عليّ واحدة...الخ الحديث. وهي مشروعة في جميع الأوقات ومتأكّدة في بعض المذاهب في التشهّد الأخير وشرط في الدّعوات وفي كثير من المواضع مثل بعد الأذان وعند سماع ذكره و يوم الجمعة وليلتها كما هي مسطورة في كتب الأحاديث وذكر لها العلماء فوائد لا تحصى كامتثال أمر الله تعالى وصلاته عليه وعلى من صلى عليه والسبب لنيل شفاعته وكفاية الهموم الدّنيوية والأخرويّة وغيرها ممّا لا تعدّه الحصر.

فهاك أيّها الأخ القارئ الكريم الخلاصة المقنعة من الكتاب والسنّة و آراء جهابذة الأمّة في جواز الاحتفال بالمولد النّبويّ وهدفهم في إحياء لياليه وأيّامه بإنشاد وتدريس القصائد المدحيّة المحتويّة على سيرته الكريمة وشمائله اللّطيفة ﷺ **فبعد البحث العميق والإمعان الدّقيق** وجدنا أنّ الاحتفال بالمولد النّبويّ يحتوي على النّقاط التّالية:

1- **مدح النّبي** ﷺ فقد مدح الله هذا النّبي في عدّة آيات وبيّن فضله ومقامه كقوله تعالى: " وإنّك لعلى خلق عظيم" وغيرها من الآيات التي ذكرناها في مقدّمة هذا الكتاب فراجعه.

2- **ومدحه أنبياء الله** صلوات الله وسلامه عليه وعليهم وهذا في حديث إسرائه وقول بعض الأنبياء له: مرحبا بالنّبي الصالح، والإبن الصالح.

3- **مَدَحَ الرّسول** ﷺ نفسه وبيّن الكيفيّة في حقّه بما ينبغي ويناسب ومن مدحه لنفسه حديث التّرمذي: أنا أوّل النّاس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشّرهم إذا أيسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربّي و لا فخر. رواه أنس. ومثله حديث أبيّ بن كعب في الترمذيّ أيضا وأخرج الشيخان والنّسائي عن جابر رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي كان كلّ نبيّ يبعث إلى قومه خاصّة وبعثت إلى الأحمر والأسود وأحلّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض طيبة وطهورا ومسجدا فأيما رجل أدركته الصّلاة صلّى حيث كان ونصرت بالرّعب على العدوّ بين يدي مسيرة شهر

وأعطيت الشفاعة. وفي رواية زاد بعثت بجوامع الكلم. وأخرج الترمذي قيل: يا رسول الله متى وجبت لك النبوّة قال: و آدم بين الرّوح والجسد. وعن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ آتي باب الجنّة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول: محمّد. فيقول بك أمرت أن لا لأفتح لأحد قبلك. أخرجه مسلم.

4- **مَدَحَ غيره** من الأنبياء كما أخرجه مسلم و أبو داوود والترمذي عن أنس ﵁ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا خير البريّة فقال ﷺ : ذاك إبراهيم خليل الله. وأخرج البخاري عن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

5- **مَدَحَ أصحابه** بما فيهم وبما يناسب مقامهم، رضي الله عنهم، وعلى طريق المثال حديث أبي هريرة ﵁ قال، قال رسول الله ﷺ: " لا تسبّوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنّ أحدا أنفق مثل أُحُد ذَهَبا ما بلغ مدّ أحدهم و لا نصيفه. أخرجه مسلم. فهذا مدح عامّ لأصحابه وهناك مدح اشترك فيه جماعة منهم عن سعيد بن زيد ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أبو بكر في الجنّة وعمر في الجنّة وعثمان في الجنّة وعليّ في الجنّة وطلحة في الجنّة والزبير في الجنّة وسعد بن مالك في الجنّة وعبد الرحمان بن عوف في الجنّة وأبو عبيدة بن الجرّاح في الجنّة وسكت عن العاشر فقالوا من العاشر فقال: سعيد بن زيد (يعني نفسه) ثمّ قال: والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ تغبّر فيه وجهه خير من عمل أحدكم عمره ولو عمّر عمر نوح. أخرجه أبو داوود وهذا لفظه والترمذي، وكذلك ما أخرجه الترمذي عن أنس ﵁ قال، قال رسول الله ﷺ: أرحم أمّتي بأمّتي أبو بكر وأشدّهم في أمر الله تعالى عمر وأشدّهم حياء عثمان وأقضاهم عليّ وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرأهم أبيّ بن كعب ولكلّ أمّة أمين وأمين هذه الأمّة أبو عبيدة بن الجرّاح وما أظلّت الخضراء و لا أقلّت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذرّ أشبه عيسى عليه السلام في ورعه فقال عمر ﵁: أ نعرف ذلك له؟ قال: نعم فاعرفوه له، رضي الله عنهم أجمعين. وكذلك حديث الشيخين عن جابر﵁ في بلال وعمر بن الخطاب ومنه أيضا مدح على الإنفراد في الرّجال والنّساء كمثل ما جاء في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ومن النّساء كخديجة وعائشة وغيرهما.

6- **ومدحه أصحابه** كحسان بن ثابت الأنصاري وهو ابن ثابت بن المنذر بن عمير بن النجار الأنصاري وكنيته أبو الوليد أو أبو عبد الرحمان وفضل الشعراء لأنّه كان شاعر الأنصار جاهليّة وإسلاما، وشاعر النبي في النبوّة وشاعر العرب كلّها في الإسلام بل وشاعر الإسلام، عن أبي هريرة ﵁ أنّ عمر مرّ بحسّان وهو ينشد الشّعر في المسجد فلحظ إليه فقال: قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك ثمّ التفت إليّ فقال: أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: أجب عنّي اللّهم أيّده بروح القدس قال: اللّهم نعم. عن البراء ﵁ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت: أهجهم أو هاجهم وجبريل معك. رواه مسلم. ومن شعر حسان:

هجوتَ محمّدا فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

هجوت محمدا برّا حنيفــا ... رسول الله شيمته الوفــاء

في ثلاثة عشر 13 بيتا في صحيح مسلم و غيره.

7- **ومدحته النّساء** و على طريق المثال القصيدة المشهورة للشيماء ومطلعها: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع.
وكذلك ما رواه مسلم في صحيحه في حديث الهجرة أو الرحل في آخره أنّ الرجال والنّساء صعدوا فوق البيوت وتفرّق الغلمان والخدم في الطرق ينادون: يا محمد يا رسول الله يا محمد يا رسول الله. اهـ. وفي تفسير القرطبي ج/ 14 قال القشيري: ضرب بين يدي النبي ﷺ يوم دخل المدينة فهمّ أبو بكر بالزّجر فقال رسول الله ﷺ: دعهن يا أبا بكر حتى تعلم اليهود أنّ ديننا فسيح. أخرجه أحمد في مسنده فكنّ يضربن ويقلن: نحن بنات النجار حبّذا محمد من جار. اهـ.

8- **إكرامه لمولده** ﷺ ببيان فضيلة يوم ولادته وذلك في الحديث الذي رواه أبو داود ومسلم عن أبي قتادة ﷺ قال سئل النّبي ﷺ عن صوم يوم الاثنين والخميس قال: فيه ولدت وفيه أنزل عليّ القرآن، وحكاية أبي هلب بفرحه بمولده وصار ذلك سببا لتخفيف العذاب عنه كلّ يوم الاثنين، وقد فضّل الله يوم الجمعة بخلق آدم أبو البشر وهبوطه إلى الأرض وغير ذلك ممّا عدّه الرّسول ﷺ في الحديث في فضل الجمعة وأين المانع فيمن أكرم يوم الاثنين أو كلّ يوم صادف مولد سيّد البشر ﷺ لإحياء ذكره لأنّه ولد فيه على القولة الصحيحة وظهرت آيات كثيرة لمولده ذكرناها في محلّه وفي ليلة الاثنين أيضا أنزل عليه القرآن في السابع عشر من رمضان فتخصيص الله هذا اليوم بهاتين النّعمتين حكمة لأولي الأبصار وخصّ الرّسول ﷺ بالدّعوة للعباس في غداة الاثنين فقال له: "فآتني أنت وولدك غداة يوم الاثنين حتّى أدعو لك بدعوة... الخ" رواه التّرمذي.

9- **إظهار المحبّة له** ﷺ كما في الحديث الصّحيح من قول عمر بن الخطّاب للنّبي ﷺ: " لأنت أحبّ إليّ من كلّ شيء إلاّ من نفسي التي بين جنبيّ" فقال له النبي ﷺ " لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه" فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحبّ إليّ من نفسي.

10- **الاعتزاز بالدّين** وهذا من أهمّ ما ينبغي للمسلم أن يتبختر به ويقتخر به ويرفع به أنفه وهو بلا شكّ و لا ريب عمل صالح كما في الآية :{ ومن أحسن قولا ممّن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنّني من المسلمين} ونظير هذا الاعتزاز ما وقع يوم أُحُد حين صاح أبو سفيان: أعل هُبل. فقال النبي ﷺ قولوا: "الله أعلى و أجلّ" فقال أبو سفيان: لنا العزّى و لا عزّى لكم. فقال النبي ﷺ قولوا: " الله مولانا و لا مولى لكم" ومثله ما رواه الشيخان عن البراء ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو ينقل معنا التّراب ولقد وارى التّراب بياض بطنه وهو يقول:

والله لولا الله مـــا اهتدينا و لا تصدّقنا و لا صلّينا
فأنزلن سكيـــنة علينـــــا وثبّت الأقدام إن لاقينـــا
والمشركون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنــــة أبينـــا. (ومنهم من قرأ للتعزّز بزائين)

ويرفع بها صوته" ومن العلماء من يرى في إنزال الملائكة ليلة القدر أصل عظيم لإقامة المواكب لإحياء ذكرى أيّام مجد الإسلام وفضله.

11- **التعليم التّصادفي أو المناسبي** وهي من أقوى الطّرق لترسيخ التّعليم في الذّهن وتمكّن الطّالب من الفهم والاستفادة، ولذلك تمسّك به العلماء إقتداء برسول الله ﷺ الذي هو المعلّم الأوّل والمثالي كقراءته سورة الجمعة وهل أتيك يوم الجمعة. وكذلك الحديث الذي أخرجه الشيخان والتّرمذي في بيان قوّة إيمان بعض الصّحابة الذي رواه أبو هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ : بينما راع يرعى في غنمه إذ عدا الذّئب فأخذ منها شاة فطلبها حتّى استنقذها منه فالتفت إليه الذّئب وقال: من لها يوم السُّبُع يوم لا راعي لها غيري؟ فقال النّاس: سبحان الله ذئب يتكلّم فقال ﷺ: فإنّي أومن به وأبو بكر و عمر وما ثمّ أبو بكر وعمر. وكذلك حديثه في الأمر بزيارة القبور وهدفه تذكير الآخرة. ومثله في تعليم النّاس بقيمة الدّنيا عند مروره بالشّاة الميّتة. ومن ناحية أخرى التعليم بطهارة جلد الميّتة إذا دبغ. ومثله ما جاء في ترجمة أبي مريم الغساني من كتاب الإصابة عن أبي بكر بن أبي مريم عن أبيه عن جدّه قال: أتيت النّبي ﷺ فقلت يا رسول الله إنّه ولدت لي اللّيلة جارية قال: واللّيلة أنزلت عليّ سورة مريم فسمّها مريم فكان يكنى أبا مريم، وأخرج هذا أبو أحمد الحاكم وابن مندة من طريق بقية. وبيّن بعض العلماء أنّ ذكر الشّجرة في آية " لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشّجرة...الخ الآية" للتنويه بالمكان لأنّ ذكر مواضع الحوادث و أزمانها لها معان تزيد السّامع فكرة وتصوّرا كما وقع في قول ابن عباس، رضي الله عنهما: " يوم الخميس وما يوم الخميس اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه." وقد سمّى سيّدنا عمر آية " يا نساء النّبي من يأت منكنّ بفاحشة...الخ الآية" عهدا، فإنّه كثيرا ما يقرأ في صلاة الصّبح سورة الأحزاب فإذا بلغ هذه الآية رفع بها صوته فقيل له في ذلك فقال: " أذكرهنّ العهد" ويرى بعض العلماء في قوله تعالى " وذكّرهم بأيّام الله" أنّ الله قد جعل للمواقيت المحدودة اعتبارا وهذا الاعتبار للتذكير بالأيّام الفاضلة العظيمة القدر تذكرة لأمر عظيم حتّى قيل ولعلّ هذا هو السّبب الذي جعل الله لأجله سنة الهدي في الحجّ لأنّ في مثل ذلك الوقت ابتلى الله إبراهيم بذبح ولده. ومثله لمّا جاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصبّها في حجر رسول الله ﷺ فدخل الرّسول يده فيها ويقلبها ويقول: ما شرّ ابن عفّان ما عمل بعد اليوم اللّهمّ لا تنس هذا اليوم لعثمان. رواه التّرمذي مختصرا فقد خصّ هذا اليوم لعثمان بما لم يخصّ به غيره من الأيام. **وهذه الطريقة في التّعليم** هي ما أشار إليها القرطبي في تفسيره في ذكر يوم عرفة ما نصّه: " لا بأس بالتعريف في المساجد بيوم عرفة بغير عرفة تشبيها بأهل عرفة، روى شعبة عن قتادة عن الحسن قال أوّل من صنع ذلك ابن عبّاس بالبصرة يعني اجتماع النّاس يوم عرفة في المسجد بالبصرة وقال موسى بن أبي عائشة رأيت عمر بن حريث يخطب يوم عرفة وقد اجتمع النّاس إليه وقال الأثرم سألت أحمد بن حنبل ﷺ عن التعريف في الأمصار يجتمعون يوم عرفة فقال: أرجو أن لا يكون به بأس قد فعله غير واحد: الحسن وبكر وثابت ومحمّد بن واسع كانوا يشهدون المسجد يوم عرفة". **وتأسيس** سيدنا عمر تاريخ الهجرة من باب ذلك. والذي اتّخذ وفاة الرّسول للتاريخ أيضا كذلك. ومن هذا الباب اتّخذ السلف قراءة كتاب الشّفا للقاضي عياض في مساء رمضان إلى آخر الشّهر والقرآن للصباح والليل ودراسة السيرة النّبوية والقصائد المولوديّة في شهر

صفر وربيع الأوّل فهذه طريقة محمودة عند علماء التّربية. وحيث كان دين الإسلام تحيي الذّكريات فللمسلمين عدّة فرص لإحياء عدّة مناسبات وقعت في الإسلام كتخصيص يوم لحقوق العمّال ويوم لبيان حقوق النّساء والأطفال وغيرها كما نرى اليوم والإسلام سبق الأديان كلّها على ذلك وبالله التوفيق. وأنظر ما تحت قوله تعالى" وكلاّ نقص عليك...الخ الآية" وهو أيضا من باب الذّكرى فذكّر فإنّ الذّكرى تنفع المؤمنين.

12- **المفهوم من حديث [لا تطروني]** فهذا الحديث يراه البعض نهيا عن إحياء ذكره ﷺ ونحن نراه بالعكس بل هذا الحديث يبيّن الكيفيّة والصّفة التي ينبغي للمسلم أن يمدح بها نبيّه وتظهر ذلك في القطعة الأخيرة من نصّ الحديث، أوّلا فمعنى الاطراء المبالغة ونحن لم نطلع أبدا على قصيدة أو مكتوب فيه إطراء للنبيّ ﷺ وقد أشار البوصيري إلى ذلك بقوله: دع ما ادّعته النّصارى في نبيّهم ** واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم ** فإنّ فضل رسول الله ليس له ** حدّ فيعرب منه ناطق يهم** وقال صاحب التخميس: بمد ح النّبي اقطع زمانك ترشد ** بنظم و نثر إن أطقت مسرمد ** وقال في بيت آخر: و لا تغل في شيء من القول واقصد...الخ. ونصّ هذا الحديث ما أخرجه الشيخان عن ابن عبّاس، رضي الله عنهما قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول سمعت النّبي ﷺ يقول: "لا تطروني كما أطرت النّصارى ابن مريم فإنّما أنا عبد فقولوا عبد الله و رسوله" فعند قوله: فإنّما أنا عبد بيّن صفته، و قوله فقولوا عبد الله ورسوله بيّن كيفيّة المدح وعدم الإطراء وأمر بالمدح أيضا بقوله: قولوا. **والذي يؤيّد** معنى القطعة الثّانية حديث الرّبيع بنت معوذ الذي رواه البخاري و أبو داود والتّرمذي حين بنى بها ﷺ وجعلت الجويريات يضربن بالدفّ حتّى قالت إحداهن: " وفينا نبيّ يعلم ما في غد" فقال: " دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين". اهـ. **وقد أشار** إلى هذا صاحب البوصيري بقوله: دع ما ادعته النّصارى في نبيّهم...الخ والله أعلم.

13- **ما رآه المسلمون حسنا** فهو عند الله حسن فقد اتفقت الأمّة الإسلامية اليوم على إحياء ذكرى مولده ﷺ ويعدّ من الأعياد الإسلامية ولا تجتمع أمّتي على ضلالة ومن سنّ سنّة حسنة...الخ الحديث. ولم نسمع بإنكار أحد من جهابذة العلماء الذين نشروا الدّين ولم نقف على تقييد لهم في ذلك في ما سطروه إلاّ في بداية هذا القرن الذي نحن فيه ودليلهم في ذلك المشابهة بأهل الكتاب وما يقوم به البعض من السّفهاء بالفساد في ذلك فالصّراحة والصّريح في الأوّل أنّ الرّسول ﷺ كان يحبّ موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء كما ثبت في البخاري في كتاب المناقب في باب صفة النّبي ﷺ وفي أواخر هجرته وأصحابه إلى المدينة وفي باب إتيان اليهود النّبي ﷺ حين قدوم المدينة وفي كتاب اللّباس في باب الفرق ومسلم أيضا في كتاب الفضائل في باب سدل النّبي ﷺ شعره وفرقه...الخ. وأبو داوود في الترجّل من سننه والنّسائي في الزّينة من سننه وابن ماجه في اللباس من سننه والترمذي في الشّمائل عن ابن عبّاس، رضي الله عنهما، كان رسول الله ﷺ يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رؤوسهم فكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم وكان رسول الله ﷺ يحبّ موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ثمّ فرّق رسول الله ﷺ رأسه. أي في

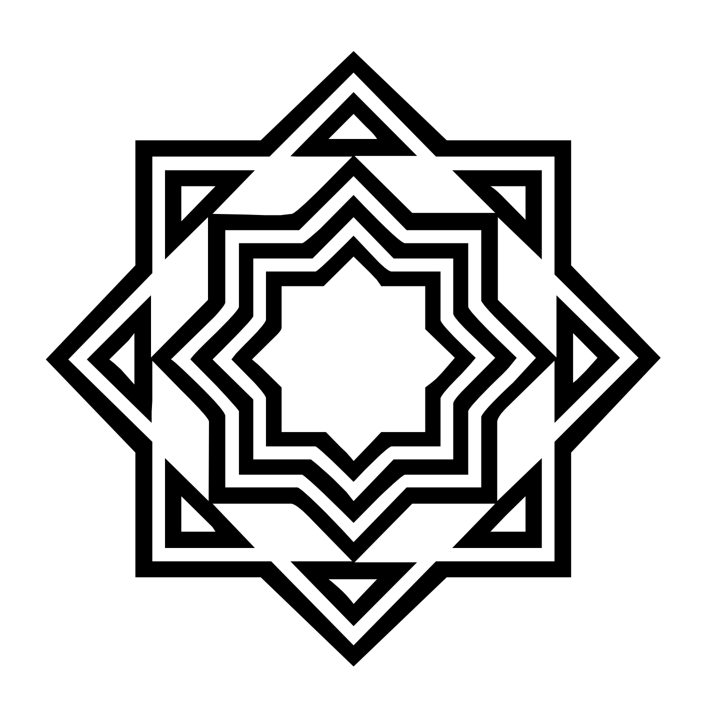
أمر لم يؤمر فيه من الله تعالى بشيء من الأحكام ولم ينه عنه فيستخلص من هذا الحديث أن موافقته لأهل الكتاب أحبّ إليه من موافقة عبدة الأوثان. وكذلك الحديث: " ما سكتّ عنه فلا تناقشوه" أو كما قال. **وأمّا في الثّاني** فالذين أسّسوا هذا المولد لم يأمروا فيه بالفساد فالذي أقام فيه بالفساد فيرجع لومه عليه فالطريقة التي سطرها السلف عندنا قد تكون سببا لهداية المفسد إذا استمع إلى ما تضمنته القصائد المولديّة فنسأل الله الهداية والتوفيق للجميع آمين.

14- **جزاء المادح** فقد شوهد أنّ من اعتكف على مدح النّبي ﷺ ودرس ما في القصائد المولديّة ثبّت الله فؤاده لقوله تعالى :" وكلاّ نقصّ عليك...الخ الآية" و نال من الله الجزاء وقد أشرت إلى البعض في محلّه كحكاية الأعمى الذي كان يمدح حتى وصل عند قول صاحب التّخميس: { به أبصر العميان وانتظم الشّمل} وما يستعمله الأطباء ليلة مولده في قطف شجرة (أتيل) التي تنبت غالبا في المساجد وغيرهما من الحكايات الصّحيحة وما ذلك على الله بعزيز إنّ الله على كلّ شيء قدير. فإنّ العكوف والفكرة في القصائد المولديّة يربّي الإنسان التربيّة النّبويّة ويؤثّر فيه الأخلاق المصطفويّة ويكون ذلك سببا للتمسّك القويّ بسنّته فمهمى ازداد المادح كشفا في أخلاقه ﷺ يزداد شوقا إليه ويتخلّق بأخلاقه و لا يريد به بدلا فلذلك يستفيد بالمدح القارئ والمستمع كما أشار إليه صاحب التّخميس: " يفوز به المصغي له والمحدّث".

فهذا أيّها الأخ القارئ المادح الكريم هدف السّلف في إحياء ذكرى مولده ﷺ و لا تظنّ بهم غيره فقد بسطنا القول على حسب الطّاقة والمعرفة ما يسّر الله علينا والحمد لله أوّلا و آخرا وظاهرا وباطنا وسرّا وجهرا على إتمام هذا المجموع و أسأله متوسّلا بوجه نبيّه العظيم أن يجعل هذا العمل مقبولا وخالصا لديه وينفع به النّفع العميم ويمنّ علينا بالحسن والحسنى وزيادة ويغفر لنا ولوالدينا و لأشياخنا ولمن سبقنا بالإيمان ويبسط علينا من افضال نبيّه ﷺ ويجعل لساننا رطبة بالثّناء عليه ومن أهل شفاعته وأن يحشرنا في زمرته مع الذين أنعم الله عليهم من النّبيئين والصدّقين والشّهداء والصّالحين آمين بل ألف آمين:

فيا ربّنا في أرضه وسمــائه أمتنا على تصديقنا باصطفائه
فإنّا و ذو الأشواق يعيا بدائه يشقّ علينا العيش دون لقائــه
إذا الدين لم يكمل فلا كانت الدّنيا

وكان الفراغ منه في يوم الجمعة السابع من شهر الله ذي الحجّة بعد صلاة العصر سنة 1402 هجريّة على صاحبها أفضل الصّلاة والتّسليم بقلم جامعه محمود محمّد ددب الملقّب بحمّو الأرواني التنبكتي غفر الله له و لوالديه و لأشياخه و لإخوانه و تلامذته و لكلّ من تعلّق به من جميع المسلمين ولجميع المسلمين ولمن سبقنا بالإيمان والحمد لله ربّ العالمين.



بسم الله الرّحمن الرّحيم اللّهم صلّ على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم

هذا وقد بعثت بهذا التنبيه إلى العالم العلاّمة والفقيه الفهّامة والشّاعر البليغ المفلق الأستاذ الكبير والإمام الشهير السيّد ألفا سالم بن الإمام بابير اللّمتوني إمام مسجد سنكري فكتب لي ما يلي:

أمّا بعد فقد وقفت على كتاب تنبيه المادح لابننا محمود بن محمّد ددب الأرواني التنبكتيّ و تصفّحته ورقة ورقة وصحيفة صحيفة فوجدته على منوال حسن قد أفاد فيه مؤلفه و أجاد و غاص في بحر العلوم فأخرج اللّئالي والدّرر وأيقظ الأفكار وألهم لمقصد أسنى كاد أن يندرس وهو ذكرى مولد سيّد الأنبياء و ممد الأولياء والأتقياء الذي لا مدخل لمخلوق إلى وصول حقيقة الثّناء بعد قول الله عزّ وجلّ : " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم" كيف لا؟ و هو الرّسول المقرّب والمختار المحبّب. فللّه درّ الإمام محمّد البوصيري حيث قال:

دع ما ادّعته النّصارى في نبيّهـــم واحكم بمـــا شئت مدحا فيه واحتكم

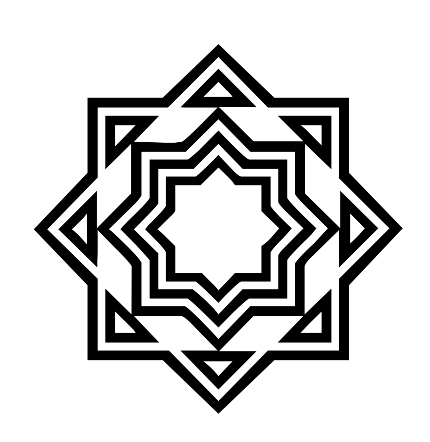
وأنسب إلى ذاته ما شئت من شرف وأنسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإنّ فضل رسول الله ليـــــــس له حـــــــــــدّ فيعرب عنه ناطق بهم

ولله درّ هذا الشّاب الأبرك الرّشيد بإيراد هذا التّأليف الذي يشهد له بسعة الباع في العلوم وبإدراك المنطوق فيها والمفهوم جزاه الله عن الإسلام خيرا وأعطاه ما يتمنّى سرّا و جهرا إنّه سميع قريب.

بتاريخ يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر الخير عام 1403 من هجرة سيّد الأنام عليه أفضل الصّلاة و أزكى السّلام.

ألفا سالم بن الإمام بابير



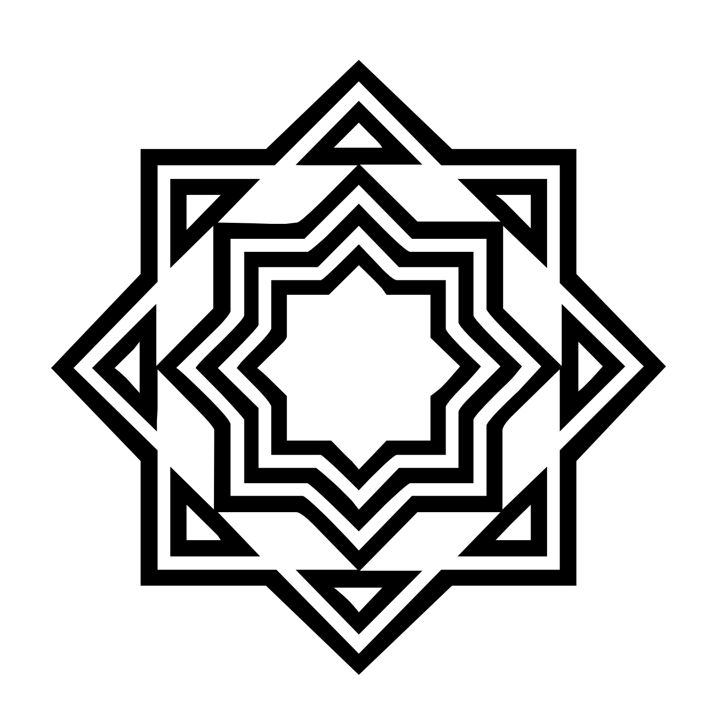
وممّا كتب لي الأستاذ الفرضي رحبي زمنه السيّد مولاي أحمد بابير الأرواني:

بسم الله الرحمان الرّحيم الحمد لله ربّالعالمين والصلاة والسّلام على إمام الموحّدين الواسطة العظمى وباب الله الأعزّ الأسمى وعلى آله وصحبه وعترته وحزبه.

وبعد فقد أوقفني ابننا وتلميذنا البارّ بنا محمود بن محمّد ددب على تأليفه الذي لم يسبق إليه و وجدته أنّه حسنة من حسنات الدّهر وشجنة من شجن هذا العصر وقد أرضيت به ربّك و أقررت به عين نبيّك و حبوت به أهل العلم و شرحت به صدر كلّ محبّ لهذا النّبي فلك جزاء الله و رضا نبيّه وشكر العلم وأهله و دعاء منّي إلى الله أن يجعلك على الدّوام موفّقا لإبراز مثل هذا الجوهر المكنون

إلى عالم الوجود فتكون لآلي فضلك حلية لتيجان الفنون جميعها أرجو قبول اغتباطي وثنائي و احترامي.

كتبه عبد ربّه مولاي أحمد بن بابير الأرواني بتاريخ الخامس والعشرين من ربيع الأوّل عام 1403 هجريّة. والسّلام. هـ



المصادر والمراجع

بسم الله الرحمن الرّحيم اللّهم صلّ على سيّدنا محمّد و على آله وصحبه وسلم

التّفاسير

1- تفسير ابن كثير، طبعة دار إحياء الكتب، لعيسى الباب الحلبي.

2- تفسير القرطبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثّالثة، 1387.

3- تفسير الصّاوي على الجلالين

4- تفسير روح المعاني في تفسير القرآن، والسّبع المثاني للشّيخ محمّد الألوسي البغدادي المتوفّى سنة 1270.

5- تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقّي البروسي، المتوفّى سنة 1137.

6- تفسير المراغي

الأحاديث

7- صحيح البخاري
8- صحيح مسلم
9- سنن النّسائي، المطبعة المصريّة بالأزهر، الطّبعة الأولى، 1371.
10- سنن أبي داوود، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
11- موطأ الإمام مالك، وعليه تنوير الحوالك.
12- سنن التّرمذي.
13- سنن ابن ماجه، طبعة الحلبي وشركائه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
14- نيل الأوطار للشّوكاني، على منتقى الأخبار.
15- التّاج الجامع للأصول في أحاديث الرّسول.
16- بلوغ المرام مع حاشيّة محمّد أمين كتبي المدرّس بالمسجد الحرام وكلّية المعلّمين.
17- بلوغ المرام من أدلّة الأحكام للعلامة الكبير والمحدّث الشهير الحافظ بن حجر العسقلاني 773 – 852 هجرية.
18- سبل السّلام للسيّد الإمام محمّد بن إسماعيل الكحلانيّ ثمّ الصنعاني، المعروف بالأمير، وهو شرح بلوغ المرام من جمع أدلّة الأحكام لأحمد بن علي بن محمّد بن حجر الكناني العسقلاني القاهري، مطبعة مصطفى 1379.
19- بهجة النّفوس، شرح مختصر أبي جمرة للبخاري.
20- حاشية الشّنواني على مختصر أبي جمرة للبخاري.
21- الشّفا للقاضي عياض بن موسى اليحصبي.
22- نسيم الرّياض شرح الشّفا للقاضي عياض.
23- شرح على القارئ على الشّفا للقاضي عياض.
24- الإكمال للأبي وحاشيته.
25- حاشيّة السّندي على ابن ماجه.
26- عارضة الأحوذي على التّرمذي لابن العربي المالكي.
27- شرح سنن أبي داوود المسمى بعون المعبود على سنن أبي داوود للعلامة أبي الطّيّب محمّد شمس الحقّ العظيم آبادي.
28- فتح الباري على صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني.
29- سنن النّسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، مع حاشية الإمام السّندي.
30- سنن أبي داوود مع تحقيق محمد محي الدّين عبد الحميد.
31- غاية المأمول شرح التّاج الجامع للأصول في أحاديث الرّسول ﷺ.
32- رياض الصّالحين للإمام النّووي.
33- دليل الفالحين على رياض الصّالحين.
34- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم لمحمّد حبيب الله بن مايابى الجكني الشنقيطي، وعليه فتح المنعم، طبعة مطبعة مصر 1655.

35- تحفة الأحوذي بشرح جامع التّرمذي للحافظ المبارك، مطبعة المدني، القاهرة 1384.
36- شرح صحيح مسلم للإمام النّووي، بهامش إرشاد الساري.
37- إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري للحافظ القسطلاني، الطّبعة السّابعة 1326 ببولاق.

العلوم الأخرى

38- تدريب الرّاوي للإمام النّووي
39- المواهب اللّدنيّة للإمام القسطلاني.
40- تقريب المدارك للقاضي عياض، طبعة وزارة الأوقاف بالمغرب.
41- الحاوي للفتاوى للحافظ السيوطي، الطّبعة الثانية دار الكتب العلميّة.
42- الأنوار المحمّديّة من المواهب اللّدنيّة، للشيخ يوسف بن إسماعيل النّبهاني.
43- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيّم، مطبعة مصطفى الباب الحلبي و أولاده بمصر 1390.
44- مختصر الشّيخ خليل، وعليه شرح الشيخين الحطاب والمواق، الطبعة الأولى، 1328، مطبعة السّعادة بمصر.
45- الإرشادات الرّبّانيّة بالفتوحات الإلهيّة في شرح الهمزيّة للعلاّمة الشيخ علي حرازم من العلاّمة الشريف وليّ الله تعالى الشيخ التّجاني.
46- إحياء السنّة وإخماد البدعة، لعثمان بن محمّد بن عثمان فودي، ن/محمّد بن زروق، 1362هجرية، خ/ صحراوي، م/ 22.5 × 17سم، ص/ 208، س/ 18، رقم/ 382، مركز أحمد بابا، (مخطوط).
47- الأجوبة المهمّة لمن له بأمر الدّين همّة، للشّيخ سيد المختار الكنتي، ن/ محمد الطّاهر بن محمّد، 1284 هجرية، خ/ سوقي، م/ 16 × 21 سم، ق/ 73، س/ 17، رقم/ 21، مركز أحمد بابا، (مخطوط).
48- الفتاوى الحديثيّة لابن حجر، في خزانة المرحوم محمّد الطّاهر.
49- اختصار القول البديع للسّيوطي، و أصله للسّخاوي.
50- اقتضاء الصّراط المستقيم لابن تيميّة.
51- جواهر البحار للنّبهاني. في خزانة مولاي أحمد بابير.
52- الدّيباج لابن فرحون.
53- كفاية المحتاج لأحمد بابا السّوداني، خ/ سوداني، م/ 15 × 21 سم، ق/ 57، س/ 23، (قطعة) تحت رقم (RAS 750) مركز أحمد بابا، (مخطوط).
54- الطرائف والتلائد في ذكر كرامات الوالدة والوالد، للشيخ سيد محمّد بن الشيخ سيد المختار الكنتيّ، خ/ صحراوي، م/ 17.5 × 22.5 سم، ص/ 510، س/ 27، تحت رقم (FA 124) مركز أحمد بابا، (مخطوط).
55- مولد إنسان الكمال للمزاكشي، محمّد بن المختار، (مخطوط).
56- تخميس البردة لعبد الله المزاكشي (مخطوط كثير بأيدي النّاس).

57- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، لابن خلكان.
58- فتاوى شلتوت.
59- تاريخ الفتّاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر النّاس، مخطوط رقم 2 مركز أحمد بابا، خ/ سوداني حديث جدّا، م/ 16 × 20 سم، ص/ 289، س/ 18. وكذلك رقم 64، ن/ أبو بكر بن الفا همّ عمر بن الأمين الدارمي، 1330هجريّة، خ/ سوداني، م/ 17 × 22سم، ق/ 63، س/ 27، مركز أحمد بابا.
60- تاريخ السّودان، خ/ صحراوي، م/ 21 × 29.5 سم، ص/ 77، س/ 26، نسخة مصوّرة، تحت رقم 61 (مركز أحمد بابا).
61- سراج السالك شرح منظومة أسهل المسالك.
62- الصّفتي على ابن التّركيّ على العشماوية.
63- كتاب الاستقصا بتاريخ المغرب الأقصى.
64- گنون على مختصر الشيخ خليل.
65- المدخل لابن الحاج.
66- طبقات النّحويين واللّغويين، لأبي بكر بن محمد بن الحسن الزّبيدي.
67- المواقف للشيخ عبد القادر الجزائري.
68- عمل المولد للشيخ عبد العزيز بن باز.
69- حاشيّة ابن حمدون على الميّارة.
70- عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية لأبي العبّاس أحمد بن أحمد الغبريني، تحت رقم (؟) مركز أحمد بابا.
71- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، للزركلي.
72- الإسلام في نيجيريا، وعثمان فودي، تأليف آدم عبد الله الألوريّ.
73- الأدب والنّصوص للصفّ الثالث الثانوي.
74- السيرة النّبويّة للشيخ دحلان.
75- نور اليقين في مبحث التّلقين لمصطفى بن إبراهيم.
76- إنسان العيون للعلاّمة عليّ بن برهان الدّين الحلبيّ الشّافعيّ.
77- مغني اللّبيب على ابن مهيب، لمحمّد بن عمر الغلاّوي الشنقيطي، (مخطوط عند أسرة أهل بلعراف).
78- الحِكم المندرجة في شرح المنفرجة، لإسماعيل الأنقروي، شارح المثنوي.
79- مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، 1493 – 1591، تأليف عبد القادر زبادية.
80- ذخائر كنزيّة على القصيدة الهمزيّة، لمحمّد بن أبّ بن حميد بن عثمان المزمري التّواتي. (مخطوط).
81- الأطرزة الإبريزيّة على القصيدة الهمزيّة لمحمّد فتْحا، مخطوط تحت رقم (RM.A 679) مركز أحمد بابا، ن/ محمّد عبد الله بن عبداو، خ/ صحراوي، م/ 13 × 20 سم، ق/ 58، س/ 23.

82- العنبري على العشرينيات، مخطوط رقم (68) مركز أحمد بابا، ن/ محمّد سالم بن سيد إبراهيم بن أحمد، 1306 هجرية، خ/ سوداني، م/ 17.5 × 22.5 سم/ ق/ 139، س/ 43.

83- نوازل الشيخ باي بن عمر، (في خزانة الشيخ مولاي العربي بن مولاي هاشم الأرواني).

84- نوازل ابن الهاشم، لأبي عبد الله سيد محمد بن أبي بن الهاشم الغلاّوي، مخطوط في مركز أحمد بابا، تحت رقم (؟) نسخ سنة 1356 هجرية، خ/ صحراوي، م/ 15 × 21سم، ص/ 250 س/ 21.

85- النّظم الظّريف لنوازل حمى الله الشّريف، (عند أهل بلعراف) مخطوط في مركز أحمد بابا رقم/ (B.380).

86- إزالة الرّيب والشكّ والتّفريط، لأحمد بن أبي الأعراف، بخطّ ابنه محمّد عبد الله بلعراف، وفي المركز تسويده بخطّ ابنه أيضا تحت رقم/ 379.

87- سفينة السّعادة لأهل الضّعف والنّجادة، للحاج عمر بن سعيد الفوتي في تخميس ابن مهيب، وقيل أنّه مطبوع.

88- نوازل المعيار، (عند أهل أبي جبيهة).

89- فتح الشّكور في معرفة أعيان علماء التّكرور، مخطوط رقم/ 15، مركز أحمد بابا، لأبي بكر الصدّيق البرتليّ، خ/ صحراوي، م/ 21 × 28.5 سم، ص/ 62، س/ 25. وكذلك أيضا الرّقم/ (FD 958) بخطّ/ عبد الله بن محمّد أبي بكر بن عليّ البرتلي سنة/ 1264 هجرية، خ/ صحراوي، م/ 15 × 21.5 سم، ص/ 123، س/ 25.

90- نوازل التّكرور، IV أجزاء، مخطوط رقم/ 122، ن/ أحمد بلعراف، 1354، خ/ مغربي، م/ 18 × 23سم، ص/ 309، س/ 22، مركز أحمد بابا.

91- نوازل القصري، للقصري بن محمّد بن المختار بن القصري، خ/ صحراوي، م/ 17.5 × 22 سم، ق/ 313، س/ 33، مخطوط رقم/ (FA 174) مركز أحمد بابا.

92- جذوة الأنوار في الذّبّ عن مناصب أولياء الله الأخيار، للشيخ سيد المختار الكنتيّ، ألّف سنة 1205 هجرية، ن/ محمّد بن أحمد الإمام السباعي، 1275 هـ، خ/ صحراوي، م/ 18.5 × 22، ق/ 53، س/ 29 ، رقم/ 228، مركز أحمد بابا.

93- أجوبة في شأن الاحتفال للمولد النّبوي، ن/ محمّد الفقيه بن عبد الله، خ/ صحراوي، م/ 10.5 × 17 سم، ق/ 3، س/ 24، مخطوط رقم / (RC796) مركز أحمد بابا.

94- التّرجمان في تاريخ الصّحراء والسّودان وبلد تنبكتو وشنجيط وأروان ونبذة من تاريخ الزّمان في جميع البلدان، للقاضي محمد محمود بن الشيخ، خ/ صحراوي وسوداني، م/ 22 × 28 سم ص/ 112، س/ 28، مخطوط رقم 762، مركز أحمد بابا.

95- الأجوبة النّاصريّة في بعض مسائل الباديّة، خ/ صحراوي، م/ 15 × 19.5 سم، ق/ 38، س/ 37، مخطوط رقم (WR 149)مركز أحمد بابا.
96- نوازل الورزازي، مخطوط عند أهل بلعراف.
97- فوائد أحمد الصّغير، مخطوط في خزانة بلعراف، وعند مولاي أحمد بابير في خزانته.
98- دلائل الفرج للشيخ عبد القادر الجنّاوي. (مخطوط كثير في أيدي النّاس).
99- منح الربّ الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشّكور، للمحجوبي، خ/ صحراوي، م/ 11 × 17.5 سم، ق/ 173، س/ 26، مخطوط رقم/ (FD 624) مركز أحمد بابا.
100- السّعادة الأبدية في التّعريف بعلماء تنبكتو البهيّة، لمولاي أحمد بابير، مخطوط مصوّر رقم/ (؟)، ن/ محمود محمد ددب، خ/ صحراوي، م/ 21 × 28.5 سم، ص/ 119، س/13، مركز أحمد بابا.
101- نوازل الدّيلبي لأبي عبد الله محمّد البشير بن الحاج الهادي الدّيلبي، مخطوط مركز أحمد بابا رقم (FMM710)، خ/ صحراوي، م/ 14.5 × 19 سم، ق/ 176، س/ 25.
102- نوازل الحاج الهادي، (مخطوط عند أهل بلعراف).
103- فقه الأعيان، للشيخ سيد المختار الكنتي، (مخطوط نادر الوجود).
104- نوازل الزّيدي، للشيخ الحاج الحسن بن ءآغبدي الزّيدي، ن/ محمد صالح بن عبد الوهاب، 1258م، خ/ صحراوي، م/ 10 × 15 سم، ص/ 361، س/ 21، مخطوط رقم/ 757، مركز أحمد بابا.
105- نظم نوازل الشيخ أبي محمّد عبد القادر بن يوسف الفاسي، لزين العابدين بن حمدّ، مخطوط رقم/ 1284، مركز أحمد بابا، خ/ سوداني، م/ 19 × 24 سم، ق/ 12، س/ 23.
106- نوازل العلوي، لسيد عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، مخطوط في مركز أحمد بابا، رقم/ 377، ن/ عبد الرّحمان بن سيد بن عثمان، خ/ سوداني، م/ 17.5 × 22.5 سم، ص/ 204، س/ 19.
107- شرح مراقي السّعود لسيد عبد الله بن الحاج إبراهيم، والشرح لأحمد زيدان الجكني، مخطوط رقم/ (؟) مركز أحمد بابا، ن/ 1299هجرية، خ/ سوداني، م/ 11.5 × 12.5 ، ق/ 82، س/37.
108- اختصار نوازل أنبوي الولاتي، لابن سليم الولاتي، (مخطوط عند أهل بلعراف).
109- النّوافح العطريّة من النّفحة العنبريّة، لمحمّد غبريم بن محمّد غانم الدّغري.
110- نوازل حمى الله، (عند أهل بلعراف).
111- تخميس ابن مهيب مع حاشية بعض علماء تنبكتو.

112- تنبيه الأنام في الصّلاة على النّبي، لعبد الجليل بن محمّد بن أحمد بن عظوم القيرواني المغربيّ

113- توضيح المرام ومسرح الأفهام في شرح تنبيه الأنام في الصّلاة على خير الأنام للسيّد حسين بن حبيب بن آدم الورّهْبنيّ بلدا، والباهوشبيّ قرية.

114- مهبط الإحسان في ليلة النّصف من شعبان، للشيخ عبد الفتّاح بن أحمد شريف السكندري، (مخطوط).

115- المنجد في اللّغة، (الطبعة الخامسة والعشرون).

116- أبو الحسن الأشعريّ، بقلم فضيلة الشيخ حماد بن محمّد الأنصاري، طبع على نفقة جماعة من المحسنين، بتاريخ 4 - 11 – 1382 هـ، مؤسّسة النّور للطباعة والتّجليد ، الرّياض، شارع الوسيطي.

117- كتاب أوضح المسالك على منظومة أسهل المسالك، للبرقوقي.

118- شرح المقامات الحريريّ، للشريشيّ.

119- دليل السّالك إلى موطأ الإمام مالك لمحمّد حبيب الله بن مايابى الجكنيّ.

120- غرّة الصّباح للشيخ سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، مع شرحه داعي الفلاح بشرح غرّة الصّباح في اصطلاح البخاري، للعلامة الشيخ محمّد بن عمر دكري، مفتي مالي وشرق موريتانيا.

121- إضاءة الحالك من ألفاظ دليل السالك إلى موطّأ الإمام مالك، لمحمّد حبيب الله بن الشيخ مايابى الجكني.

122- مجموعة الورد العام لجميع طوائف الإسلام، لمحمّد بن محمّد بن عبد الله الموقّت المراكشي.

123- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

124- نور الظّلام على عقيدة العوّام.

125- الأضواء البهجة على القصيدة المنفرجة.

126- نيل المراد في تشطير الهمزيّة، والبردة، وبانت سعاد.

127- الوسيط في أدباء شنجيط.

128- كتاب السّعادة لمحمّد الموقّت.

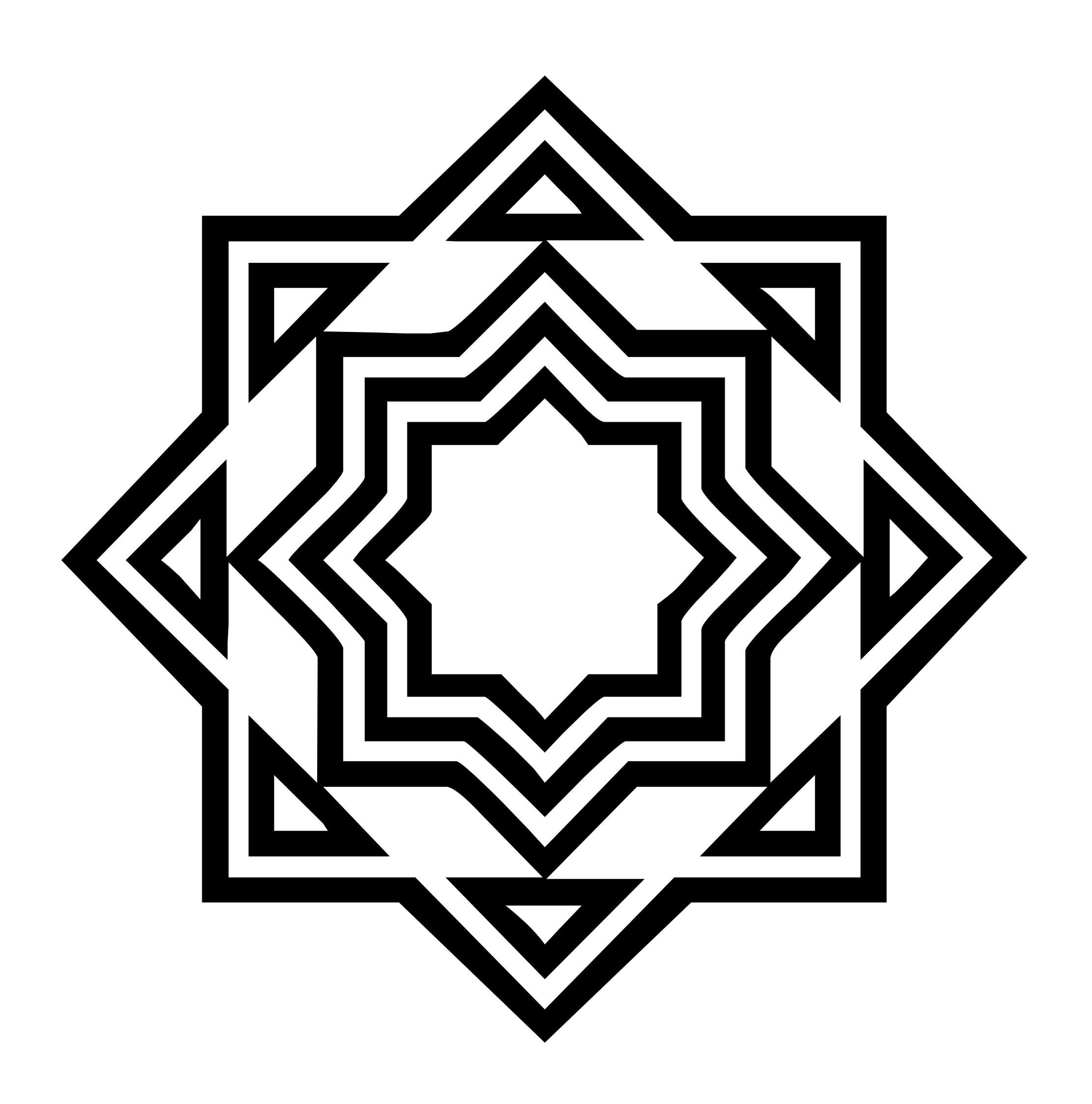
129- أجوبة عن المسائل الفقهيّة للشيخ سيد محمّد بن الشّيخ سيد المختار الكنتيّ. مخطوط رقم/ 376، مركز أحمد بابا.

130- حاشية العدوى على شرح أبي الحسن لرسالة أبي زيد القيرواني، مطبعة دار الفكر.

131- فضل الذّاكرين والرّد على المنكرين، تأليف الأستاذ عبد الغنى حماده،(1391هـ/1971م)

132- طبقات الشّافعيّة الكبرى، لشيخ الإسلام تاج الدين أبي نصر عبد الوهّاب بن تقيّ الدّين السبكي، طبع على نفقة ملتزمه حضرة الشّريف مولاي أحمد بن عبد الكريم القادري الحسني المغربي الفاسي، الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينيّ’ المصريّة الشّهيرة التي مركزها (بكفر الطماعين) بقرب المشاهد

الحسينيّة الزّاهرة المنيره، (إدارة محمّد عبد اللّطيف الخطيب، ستّة أجزاء في ثلاث مجلّدات).



فهرست كتاب تنبيه المادح

14 8	